

روايات عبير



لندسای أرمسترونج

ذروة الأحداث



www.elromancia.com
قرمية

روايات عربية

HARLEQUIN - «ABIR» - No. 204

ذروة الأحداث

«أنا أفضل سيداتي أكبر قليلاً وأكثر أناقة ونظافة.

كانت مقابلة سيرينا الأولى مع سين وينت وورثا الخبر
بالحياة والبشر مدعاه للأرباك. وأقل ما يمكن قوله أنها قد
صدمت بشدة عندما اكتشفت أن وظيفة مربيه أطفال
—والتي كانت في أمس الحاجة لها— تعنى رعايتها لابنها
شقيق سين الصغيرين. وذلك في محطة البعيدة المسماة
كونيزلاند.

وعلى نحو مفاجئ... منحها سين الوظيفة. وأخيراً
احست سيرينا أنها أستطاعت الهرب من وضعها التусع
وأستهلال بداية جديدة. وأزدادت سعادتها عندما بدأت زهور
علاقتها مع سين تفتح.

إلا أن الماضي كان يصر على ملاحقتها.

السودان £ 1,280	البنان ١٩,٢٠
U.K. £ 2,40	سوريا ١٩,٢٠
France F 16	الامارات ١٩,٢٠
Greece Drs 320	الأردن ١٩,٢٠
Cyprus P 2,40	العراق ٨٨٠
	السعودية ١٩,٢٠
	لبنان ١٩,٢٠
	تونس ١٩,٢٠
	ليبيا ١٩,٢٠
	البحرين ١٩,٢٠
	لقطر ١٩,٢٠
	عمان ٢٤٠
	مصر ٢٠٠
	النetherlands ٦٤٠
	الى اليونان ٦٤٠



الفصل الأول

(السيد مرسيدس)

لم يكن المطر غزيراً، بل كان رذاذاً منصلاً. وانعكست أضواء الشوارع متألقة في يرك الماء الفضله التي تكونت على قارعة الطريق في مدينة سرفز باراديس بأستراليا.

هرت سيرين سانت جون كتفها في ضجر. كانت ترندى معطف مطر أشعرها أنها تحمل على كتفها حام ساينا في حارـ رطب. وجدت فى نفسها رغبة شديدة فى نزعه وأستقبال قطرات المطر على بشرتها لكن ذلك سيكون قد الحماقة رغم أن الشارع تقاد تكون مهجورة، فقد كان الوقت بعد منتصف الليل.

ترددت لحظة، ونظرت إلى سيارة الأجرة الوحيدة فى موقف السيارات ثم هرت رأسها فى تصميم وإيجاز الرصيف لتعبر الشارع، وما كادت تنزل بقدمها من على الرصيف حتى سقطت فجأة تحت عجلات دراجة بخارية مزدحه برزت بسرعة البرق من أحد المنعطفات.

جلست سيرينا فى وحل الشارع مرغفة لاهنة الأنفاس وقد منبت بعض الكدمات والسعادات. ولأول وهله لم تدرك أن هذه مشكلتها الوحيدة ولكنها فوجئت براكب الدراجة البخارية يشب عن دراجته وأقبل عليها ناظراً إليها بعينى ذئب مبنسم تبركان بومبيض لا يخفى. وابعدت عنه سيرينا مجفله.

القدرة الداعرة إلى سيرينا ثم ففر إلى دراجته وانطلق متقدماً.
ترنحت في وقتها حيث أحسست بإيقاعك ثام . ولم تغطى بكلمة ، وساعدتها
الرجل الثاني حتى أركبها المرسيدس . ثم جلس أمام مقود السيارة وأضاء
مصباحها الداخلي وقال فجأة :
« هل تعرفينه ! »

رفعت سيرينا يدها عن جيئها وحدقت في الرجل بإرتياح . وأنه فوق
الثلاثين ... طويلاً ذا شعر أسود مصفر وعيونه بدا أن لونها ... عادي أم
أخضر؟ ولم يكن هناك شك في جواحاته والحكمة الذي يحيط به .
ورغم أنه لم يكن وسبماً بالمعنى النام للكلمة إلا أنه كان محاطاً بعومن
الذكاء .
إبسم فجأة وقال في صوت مهدب : « هل إنتبهت تماماً؟ لقد
سألتك سؤالاً .»

أعادت كلمة الوعي إلى سيرينا فرددت بعده : « أنا لا أعرفه ... ماذا
نظن بي؟ »

رفع حاجبيه وقال : « أنا لست مناكداً مما يبني في أن أظن . هل من
عادتك التجول بمثل هذه الملابس في الثانية صباحاً؟ »
وتنبعت نظراته إلى معطفها المتسع المزيف وقد هدل مفتوحاً ليكشف
عن ملابسها الرقيقة الشعبية . كان جوربها الأسود الطويل قد تمزق أيضاً
بينما كانت الدماء تنزف من أحد ركبتيها وفجأة أحسست أن ذلك أثقل من
الميت . ولم يتبنا إلى صوت توقف حركتها القرى . وعندما استطاعت أن
تلخص إحدى ذراعيها لترجمة صفة قوية إلى رأس ذلك العندى كان
ذلك قد حدث فعلاً ولكن ليس بواسطتها . وتکور راكب الدراجة في
وحول الطريق .

فتحت سيرينا عينها في دهشة لتتجدد أن الضوء يغمر المكان حوطاً بينما
تف إلى جوارهم سيارة مرسيديس زرقاء لامعة . واستدارت لتتجدد رجلاً
يقف خلفها وغفر عندما جلس راكب الدراجة البخارية على الأرض وقد
علا أبهـ، ثم بعـض بصـعـونـة مـتـأـمـلاً ماـيـاهـ أـمـامـهـ ووجهـ سـيدـاـ منـ نـظـارـاهـ

صـحـكـ بصـوتـ أـجـشـ وـقـالـ : « حـسـناـ . وـالـآنـ لـابـدـ أـلـيـسـ أـلـىـ
يـقـاسـ فـيـاـ المـلـظـ . إـلـيـاـ مـصـادـقـةـ رـائـعـةـ أـنـ التـقـيـ بـطـائـرـ رـفـيقـ مـثـلـكـ ».
التـقطـتـ سـيرـينـاـ مـعـطفـهاـ مـنـ عـلـىـ الـأـرـضـ بـعـصـبـهـ وـمـلـاـ الـفـضـبـ عـيـنـهاـ
وـهـنـ نـسـخـ الـمـكـانـ بـيـصـرـهـ .

وـبـيـدـوـ أـنـ سـيـارـةـ الـأـجـرـةـ الـوـحـيـدـةـ قـدـ قـرـرـتـ الـاستـغـنـاءـ عـنـ أـجـرـتـهـ إـذـاـ لمـ
نـرـمـهاـ سـرـىـ أـذـيـالـ أـنـوـارـهـاـ وـهـنـ تـبـعدـ مـخـتـبـةـ فـيـ نـهـاـيـةـ الشـارـعـ .
وـبـنـظـرـةـ غـاضـبـةـ أـخـرىـ اـكـشـفـتـ أـنـ لـاـ يـرـجـعـ حـوـطـاـ مـخـلـوقـ . وـلـذـلـكـ
حاـوـلـتـ أـنـ تـهـضـ عـشـفـةـ وـفـيـ نـفـسـ الـوقـتـ أـنـ تـدـفعـ مـعاـونـةـ رـاكـبـ
الـدـرـاجـةـ . وـلـكـهـ فـشـلـتـ فـيـ كـلـ الـأـمـرـيـنـ .
وـضـحـكـةـ خـتـهـ أـخـرىـ مـدـ بـدـهـ بـجـدـهـ وـأـوـفـهـاـ عـلـىـ قـدـمـهـ وـهـوـ يـفـتـ
حـوـطـاـ سـعـباـ حـمـلـةـ بـرـاحـةـ الـمـبـرـ .

صـاحـتـ فـيـ صـوتـ وـاهـ مـتـورـ: « دـعـنـيـ أـذـهـبـ ».
ردـ هـسـرـنـاـ: « مـنـ ذـاكـ الذـىـ خـاـولـنـ خـدـاعـهـ يـاـ مـعـبـوشـ؟ » مـنـ تـابـعـ قـاتـلـاـ:
« لـقـدـ رـأـيـتـ مـنـ قـبـلـ ، وـأـنـ أـعـرـفـ السـاقـطـاتـ مـنـ أـمـثالـكـ جـيدـاـ ».
صـاحـتـ مـهـدـدـهـ: « سـوـفـ أـصـرـ ».
حاـوـلـتـ بـكـلـ مـاـ أـوـقـيـتـ مـنـ قـوـةـ أـنـ تـعـذـبـ نـفـسـهـ بـعـدـ أـنـ كـانـ الـأـنـ أحـكـمـ
ذـرـاعـهـ حـوـطـاـ . بـيـنـاـ كـانـتـ تـقاـومـهـ بـاسـتمـانـهـ .

فـلـ يـسـمـعـ صـرـيرـ إـطـارـاتـ إـحـدىـ السـيـارـاتـ وـهـيـ تـوـقـفـ عـلـىـ الـطـرـيـقـ
الـبـلـيـلـ . وـلـمـ يـتـبـناـ إـلـىـ صـوتـ تـوـقـفـ حـرـكـهـ القرـىـ . وـعـنـدـمـاـ إـسـطـاعـتـ أـنـ
تـخلـصـ إـحـدىـ ذـرـاعـهـ لـتـرـجـمـةـ صـفـحةـ قـوـةـ إـلـىـ رـأـسـ ذـلـكـ العـنـدـىـ كـانـ
ذـلـكـ قـدـ حدـثـ فـعـلـاـ وـلـكـنـ لـيـسـ بـوـاسـطـهـ . وـتـکـورـ رـاكـبـ الدـرـاجـةـ فـيـ
وـحـلـ الـطـرـيـقـ .

فـتـحـتـ سـيرـينـاـ عـيـنـهاـ فـيـ دـهـشـةـ لـتـجـدـ أـنـ الضـوـءـ يـغـمـرـ الـمـكـانـ حـوـطـاـ بـيـنـاـ
تـفـ إلىـ جـوـارـهـ سـيـارـةـ مـرـسـيـدـسـ زـرـقاءـ لـامـعـةـ . وـاسـتـدارـتـ لـتـجـدـ رـجـلـاـ
يـقـفـ خـلـفـهـاـ وـغـفـرـ عـنـدـمـاـ جـلـسـ رـاكـبـ الدـرـاجـةـ الـبـخـارـةـ عـلـىـ الـأـرـضـ وـقـدـ
عـلـاـ أـبـهـ،ـ ثـمـ بـعـضـ بـصـعـونـةـ مـتـأـمـلاـ مـاـيـاهـ أـمـامـهـ وـوـجـهـ سـيدـاـ مـنـ نـظـارـهـ

أليس كذلك». قالت بصوت متلعم لا يخلو من الرعب: «ولكن... ولكن إلى أى مكان تأخذنى؟»

قال بلا مبالاة: «إلى أين... في ذلك؟... إنه مكان خاص وجبل حيث يمكننا أن نعرف بعضاً بصورة أفضل» وغار صوته وهو يقول: «أنا واثق أنت رفيق أفضل من صديقنا راكب الدراجة». أنا أشك في إذا ما كانت لديه خطط «... ليكافئك على خدماتك». ثم سأله ساخراً: «ربما يكون ذلك هو سبب أخلاقك هذه الشاجرة؟» وكأنها أنهى لسانها. وأخيراً صاحت بأنفاس لاهثة: «قف... قف فوراً. هل تسمعني؟»

هز كتفيه مستهزئاً وقال: «حسناً» ثم أوقف السيارة في إحدى أماكن الانتظار بالقرب من الشاطئ. كانت السماء لاتزال تمطر. وكان البحر المظلم يند أمامهم غير تميز عن الأرض. قال بابتسامة ساخرة: «هذا مكان جيداً للبداية».

وازدردت سيرينا لعيها عدة مرات وقالت: «أنا...» وعندئذ دفعت مقبض الباب ولكنه رفض أن يتزحزح. أدركت أن بالسيارة مزودة بجهاز لغلق الأبواب مركيزاً. ومن الواضح أن استخدامه خلال المسافة القصيرة التي قطعاها بالسيارة.

وعندما أستدارت له غضبه قال متشدقاً: «مال الأمر؟» «أنا لا أريد أن أبدأ أي شيء معك».

«ربما لا يكون لديك فرصة كبيرة للأختبار».

«لماذا تحملت مشقة إنقاذه إذا كنت لاترى لي فرصة كبيرة للأختبار؟»

«أنا أظن أن لديك فرصة كبيرة للأختبار لأنك لا تفهمين أنك في موقع لا يمكنك فيه...» وهز كتفيه مستهزئاً ثم أضاف: «الأختبار». لعقت سيرينا شفتيها وحاولت أن تفكك في مخرج ولكن كل ما شغل

هذه الطريقة إنما يبحث عن المشاكل ويرجعها» ثم نظر لها مدققاً وقال: «من تكون في السابعة عشرة يجب أن تعرف أكثر من ذلك؟» ثم أضاف بهدوء «إذا لم يرغبن في هذا فيجب أن يكون لديهم الاستعداد لقبول حكم الآخرين عليهم».

قالت سيرينا في صوت مرتفع: «هل لك أن تدعوني أذهب من هنا؟». أنا لست ملزمة بالجلوس والأشخاص لك... كما أنت في الثامنة عشرة».

ضحك قائلة: «الثامنة عشرة؟» وتتابع: «إنك لرائعة الجمال حتى وأنت تصررين على أسنانك. إن أي فرد لديه قليل من الأدراك كان لابد أن يمنعك من الخروج لعامين آخرين. هل تدرك عائليتك إنك بهذا الأسلوب تتدفعين بعناد إلى الانتحار؟ لقد غبت أنت تعelin بأحد الملاهي المشبوهة... فعلاً يجب أن يوضع قانون حول ترك أمثالك للضياع».

النقطت أنفاسها وكتبت غبطها قائلة بصوت مضطرب: «حسناً، لقد سمعنا قوله.. من الواضح أنك تشر بآن من حبك أن تقول لي مثل هذه الأشياء رغم أنني لا أستطيع أن أرى شيئاً لـ...» قاطعها قائلة: «لقد أنقذتك توأماً يعلم الله».

«هذا لا يزال...» وتوقفت وعوضت على شفتيها ثم قالت بصوت جاف ضيقاً: «شكراً لك» ولكنها لم تستطع منع نفسها من أن تضيف: «إذا أمكن أن ترفع يدك فقد أستطيع أن أررك من مشكلتي هذا فضلاً عن خلصك من شخص ملوث خلقاً وجسدياً. وأيضاً لم تستطع منع نفسها من توجيه نظرة ساخرة مونية له».

ما كان منه إلا أن قال مهدتاً: «لا أظن أنني قد رأيت عيوناً بنفسجية حقيقة من قبل». وقبل أن تنطق بأى حرف كان قد انطلق بالسيارة. شهفت سيرينا وما كان منه إلا أن نصحتها بأن تدع الباب خاله. وقال: «أنت لا تريدين أن تسقطي في الوحل مرتين في ليلة واحدة».

كان شعرها ينطلي عنقها . وطول الوقت كان ينظر لها من تحت جفنين
نصف مفتوحين .

أحسست سيرينا أنه لا بد هناك شيئاً متواهماً معاً مفهوماً في هذه النظرة
الحادية التي كانت لا تزال تحدق فيها . كان شيئاً آخر الزمها السكون .
وأنفغر فيها وعلت دقات قلبها بينما أصاب الشلل أطرافها .

عندئذ خفض رأسه وأحسست بشفتيه تلامس شفتيها وتعطضاها وقبلتها .
لم يسبق لسيرينا أن قبلت جدياً على الأطلاق . كانت ترعد بمرد
الفكرة نفسها . أما الآن فهناك لا مبالغة غريبة تختاحها . كان الأحساس
بذلك الرجل مختلفاً . ولقد حاول جاهداً بطريقة ما أن يجعل أحاسيسها
مختلفاً... ناعماً ورقباً... ضيئلاً وهشاً وفي حاجة للحماية إلى قدمها
ذراعاه .

كان شيئاً ساحراً . وعندما رفع رأسه وأضاء المضمار الداخلي للسيارة
مرة أخرى كانت كل تلك الحيرة واضحة في عيونها البنفسجية الواسعة
ذات الأهداب السوداء . وذلك قبل أن تظرفها .

بعد برهة لوى شفتيه بإتسامة ساخرة وقال : « لم يكن ذلك شيئاً جداً .
أليس كذلك؟ »

قطعت سيرينا جيبتها وقالت بعماقة : « إن عينيك حضراء وليس
رمادية ». .

« لكن ما تكون يا صغيرتي » لم تكن شفتاه تنفرجان وتتابع قائلاً :
« أنت لا تعرفين الكثير عن تبادل القبلات . أليس كذلك؟ »

هست : « أنا .. ليس كثيراً ». .
« لكنك تعرفين إلى التعلم؟ ربما تتذمرين الرجل المناسب ... لتشدئ إليه
بمحك ». .

طرفت عيناً سيرينا مرة أخرى .
« حسناً » قاماً وتتابع : « لقد توقفت عن فنالي مسترخمة؟ نعم؟ » « لم يتضرر
رأً وتتابع : « إذن هل سنكل؟ »

عللها هو أنها كم كانت غبية لأنها لم تستقل السيارة الأجرة . وتوسلت
فالله : « أرجوك .. فقط دعني أذهب ». .

« إلى أين؟ هل تقصين قريباً من هنا؟ »
ردت بسرعة : « ليس بعيداً... أرجوك... »

حدق فيها بتراخ وقال : « ربما أسمح بذلك بعد أن تنتهي من إياضحة بعض
الأمور . هل تخاولين — على سبيل المثال — أنه رغم ارتداوتك — وربما
تجبردك — هذه الملابس القصيرة للفتيات المستهترات وبهذا الزي صمم ليجعل
الرجال يسودون إليك نظرات الغرام فأنت ترتدين هذه الملابس وتعملين
في مكان برزاده الرجال لهذا الفرض على الأقل . فهو تخاولين رغم ذلك
أن تقولي بأنك تبغضيه أثناء فعلك له؟ وسألها بهدوء : هل تعلمين أي نوع
من الفتيات أنت؟ »

كانت سيرينا صامتة . صامتة مفعمة الألم .

« ربما تشعرين أن المظهر المتزمن المتغافل العاصب قد يضيف بعضاً من
التوابل إلى الصورة . هل لنا أن... ختبره؟ » وما لغامها واضحاً يديه
على كتفها .

وأنزوت سيرينا في مقعدها وحاولت أن تنتهي بعيداً عنه . ولكن
مقاؤتها كانت سقية بالمقارنة بقرة ذراعيه البالدة . وجدت نفسها نصف
جالسة ونصف رافقه بين ذراعيه وكانت نظرة عينيه الرمادية الخضراء تبرق
وهي تحملق فيها .

وغمغم : « لا تقاميتي يا حبيوبتي ، فلن نتالي سوى الأذى ». .
ورفضت الانصياع لهذه التصريح ، ورغم أنها لم تؤذ فقد وجدت نفسها
أخيراً ترقد ساكتة بين ذراعيه وهي منهكة تماماً .

قال بهدوء : « هذا أفضل . ولربما تكونين على فطرتك في هذا الفن
فدعيني أريك كيف يُنفذ . ورفع يده ببطء وتعقب مساراً خط من خلف
أذنها إلى عنقها الرقيق ثم إلى قاع حلقها . كانت لمسة رقيقة لطيفة
وأستطرد فازاح معطفها عن أحد كتفها ليكشف عن جسدها العاري .

ردد سيرينا في ذهول: «نكل؟ ... هل تقصد...؟»
«وماذا غير ذلك؟»

«أنا... أوه» وحاولت أن تنتزع نفسها من بين ذراعيه فما كان منه إلا أنسم وقال: لا تخذلي نفسك يا محبوبتي. وحتى إذا أردت ذلك. وهو ما أشئت فيه. فلا توجد وسيلة تستطيعين بها منعى مما أردته أيا ما يكون. أليس كذلك؟» وشدد أحضانه قليلاً ولكن بدرجة ملحوظة.

لم تستطع سيرينا سوى أن تomic برأسها في حركة واهنة فقد عقد الذهول لسابا وكانت أضعف من أن تستطيع الكلام. وللحظة مرتكة رأت أن السخرية في عينيه قد خفت حدتها بعض الشيء. وفوجئت به يلتف ذراعيه من حولها ويدفع خصلة من شعرها بعيداً عن عينيها ثم أجلسها في مقعدها وشد عليها معطفها ليستر جسدها بأقصى ما يمكنه.

قال بصوت مفاجئ خال من الأنفعال: «إذن يا طفلتي، دعني ذلك يكون درساً لك. وذلك إذا كنت لم تقطع مسافة طويلة في ذلك الطريق الذي أخترته. وفي الحقيقة دعني ذلك يكون درسني. الأول أن هناك وظائف مبنية مفتوحة لأستثمار المواهب يمكن للفتاة أن تضع نفسها فيها. والثاني أن أستثمار المواهب لا يحتاج لأن يكون في مجال الغزو الشهوانية. هناك الكثير من الرجال الذين يجدون الاستحواذ على الفتيات الصغيرات فليلي الخبرة ويرغبون كيف يدفعونهم للسقوط. إن حياة المرأة يمكن أن تكون قوية إلى حد كاف بدون أن غواطري بنفسك بهذه الطريقة».

وأشاح بوجهه قائلاً: «والآن. أين تقفين؟ سوف أعيدك لمنزلك» وأدار محرك السيارة حاولت سيرينا هراراً أن تتحدث. وفي آخر الأمر لم تستطع سوى أن تندق فيه.

قال في حلم: «لابد أنك لست منزلاً تذهبين إليه. أليس كذلك؟» وأستدار بالسيارة. أغلقت فيها وتنحنت تخرج بعض البلغم من حلقاتها. وأخيراً قالت بصوت مبحوح: «أجل». وأعطيه العنوان.

سألها: «هل تعيش والدك معك؟»
«لا. أنا أعيش بمفردي».
«بالطبع. وأظن أنك فتاة بنتمة بائسة لا يوجد في هذا العالم من يهم بك».

علقت سيرينا على شفتيها هذه السخرية التي تبنت في صونه بينما تابع قائلة: «هل هذا هو ما دفعك هذا الخصيص؟ أم أن رجلاً ما قد دفعك فعلاءً لذلك؟.... إنه الشارع القادم على البار. أليس كذلك؟ وعندما لم ترد وأحكت غلق شفتيها أضاف قائلة: إذا كنت تظنين أن بإمكانك بهذه الطريقة أن تتأثر لنفسك من كل الرجال فإن ذلك أيضاً بعد حادة كبرى».

شهقت سيرينا وووجدت روحها الفتالية تعود إليها فقالت: «أنا لا أفعل. إن الأمر ليس كذلك. من الواضح أنك لم تجد في قبلي خبرة كبيرة» لم أضيفت بلهجة آمرة: «توقف هنا. إنه هذا المنزل».

وقف السيارة ولكنه لم يفتح لها الباب وقال: «ربما لا يرجع ذلك لعدم الخبرة. إنما ربما لم يتم تعليمك جيداً. وهكذا فهو وداع. أود أن تذهبين إلى فراشك وتفكري فيها قليلاً. ولكن على أية حال خذى حذرك أيتها الصغيرة» ومال تجاهها ومهيدة وفتح الباب قائلة: «أذهبي».

رفعت سيرينا رأسها فجأة ثم ترددت وهي لاتندري إن كان بإمكانها أن تفهم هذا الرجل أن كل ماضنه بها ليس صحيحاً.

ولكه قال متندقاً: «أوه... لا... أنت لا... يجب أن أقول لك أنت أفضل نسائي أكبر سنًا قليلاً وأكثر خبرة وأنفظ. أذهبني» وعندئذ قفرت من السيارة ولم يكن يباها سوى فكرة واحدة وهي أنها سنتوت كماً وأماماً إذا رأت هذا الرجل مرة أخرى.

ترسخ هذا الشعور داخلها عندما سمعته يقول: «طابت ليلتك أبتها الصغيرة».

وإندهضت خمار الطريق إلى المرجل القدم الذي نكسه الواقع الخنز

وكان هناك من يطاردها. عندما دخلت حجرها قذفت نفسها إلى المراشر ثم هي فجأة وخلعت معطفها وطروحت به إلى أحد الأركان. ثم نزعت ثيابها الضيقة القصيرة وجوهرها الطويلين ذي اللون الأسود وكورتها ثم قذفت بها ليلحها بالمعطف. وتناولت إزار الحمام من على الشجب والتقطت أسفنجه الاستحمام ثم سارت عبر المرت إلى حجرة الحمام. وبائل ما يمكن فتح الدش القديم ذي الصبر المزعج حتى تخبئ نفسها إهانات صاحبة المنزل في هذه الساعة المتأخرة. وأخيراً غاصت في الحمام وهي تطلق تهدات غفف من توقيع أصواتها. كانت عادتها أن تستحم كيما أتفق في الحمام الصغير الملحق بحجرتها وذلك بعد انتهاء عملها الليلي.

بعد نصف ساعة كانت قد عادت لحجرة نومها وأحكت غلق الباب. كانت كل بوصة فيها نظيفة وبراقة ما عدا ركبتيها ورفقيها حيث وضمت عليها مادة مطهرة. وأكتشفت أيضاً كدمة داكنة على أحد ذراعيها ما بين المرفق والكتف.

وأخيراً رقدت في فراشها وأطفأت النور. وقالت لنفسها: «هاهي... ليلة من حالي مخربة إلى أبعد الحدود. وإنما يجب أن تنسى.. أنه أمر بسيط جداً».

ولكيما لم تستطع النوم أو أن تطرد من تفكيرها تلك العيون ذات اللون الأخضر الرومادي. ولكن ترداد الأمور سوءاً فإنها عندما استطاعت النوم أخيراً رأت في الحلم أحراشاً وغراً ذا عيون غريبة ورأت نفسها تundo وتتعثر ما بين الشجيرات الخضراء الملوقة وهي توقن أن الحيوان يطاردها بلا رحمة. ولكن عند كل مواجهة فيها كان انثر يتوقف ويعملق فيها ثم يستمر في طريقه.

وفي الصباح حادث صاحب العمل تليفونياً.

جاء صوته عبر التليفون: «لاميكنك الجنى؟ اللبلة؟ لماذا؟»

وضعت سيرينا ساعة التليفون ما بين أذناها وكفها حتى تتمكن من

فحص الكبدة الموجودة بذراعها والسبحقات الموجودة برفقها.

قالت: «حسناً. هذا ما حدث ياتوني» كانت لا تزال تنظر بطرف عينها إلى جراحتها. وتابعت فائلاً: «أنا.. حسناً.. لقد سقطت على الأرض بالأمس وأصبحت بعض السبحقات والكبدات. أظن أن مظهرى سيكون سخيفاً إذا ما أردت ملابسى المعنادلة كما تعرف».

ساد صمت طويل. وخليلت صورة صاحب العمل ورد فعله لما أخبرته به. لا بد أنه يجري يده خلال شعره الأشعث ويضع سبکاره.

قالت بتردد: «تونى؟»

أرجأها بيضاء: «أوه.. هه» ثم تابع: «أنت تحاولين القول بأنك صادفت ياتينا قريراً؟ أكان من ذلك النوع الذى يوزع النظرات الشريرة؟»

ردت متصرفة: «باباً قريراً؟ نظرات شريرة؟... أنا ليس لي نظرات شريرة. هل تعنى... هل نظن أن...؟»

فاطعها فائلاً: «نعم» ثم أضاف: «أو إلى حد ما كنت أظن»

تابع: «أقصد أن أول ما خطر لي أنها متابعة حبيبين. إن إنتكارات القبيبات لا تتقطع للأحتياط على وترير نفيهم. من ناحية أخرى أنا أعني جيداً أتنى أخدت مع سيرينا وهو ما يمكن أن يعني تفسيراً آخر. لماذا لا تخبرين بالقصة كاملة أيها الطفلة؟ فقد يدفعنى ذلك للمبادرة بعمل شيء».

قالت سيرينا بعراوة: «أنا أشك أن يكون هذا ممكناً ياتوني. ولكن على سبيل الذكر.. سوف أفعل».

وحكت سيرينا ما حدث ولكنها حررت بعضاً مما جرى مع ذلك الرجل صاحب السيارة المرسidi.

نهى بصوت مسموع غير أسلوك النابغون. وأخيراً قال: «حلويني. هناك بدلاً مضافاً لراتبك ليعطي ركوبك سيارة أجراة بعد اتصالك من العمل. لقد أوضحت لك ذلك في بداية تعينيك» وسأل باللحاج: «هل فعلت ذلك أم لا يا سيرينا؟»

قالت بصوت خافت: «لقد فعلت. لكن أنا.. حسناً. إن منزلتي ليس بعيداً وأنا أحيا التوفير كما تعرف. ورغم ذلك فاعتقد أنه كان شيئاً سخيفاً أن أفعل ذلك» وأضافت في صوت متواضع: «أنا أعدك إلا أفعل ذلك مرة أخرى».

«أنت على حق. فلن نفعل يا صغيرتي». وسوف أخبرك بالسبب وستكرهيني لذلك ولكن صدقيني.. إني أعمل لمصلحتك قبل مصلحتي. أنت لاتلائين الوظيفة يا سيرينا. وهذا هو كل ما في الأمر. وسوف أوظف فتاة أخرى مكانك اليوم.

تمضي قائلة: «ولكن يانوبي... أنا أعرف إني كسرت كل هذه الأكواب. ولكن ذلك حدث مرة واحدة فقط وأنت نفسك قلت إني أحسن».

ورد ببساطة: «المشكلة ليست في الأكواب رغم إني يجب أن أعترف بأنني لم أر مطلقاً من تكسر كل هذا العدد دفعه واحدة. وإنما المشكلة فيك أنت. أنت لست النوع المناسب من الفتيات لهذا العمل. فانتظرى كيف يمكنني تحمل مسؤولية ذلك؟ أنا لا أدبر هنا بيتاً للدعاارة كما تعرفيين جداً، ولكنني لأنكر أن النادلة هنا يجب أن تلتفت الانتظار وتعجب بما الجمیع. هناك من الفتيات من يمكنهن عمل ذلك ويمكنهن التعامل مع الزبائن وإيقافهم إذا تجاوزوا هذا الحد. وهن يستطيعن عمل ذلك دون تصريح الأمور ودون دفعى للشاجر من أجلهن رغم إني أكون هناك دائماً عند حدوث أي شيء. أما أنت فلا يمكنني معالجة ذلك. أنت تربكيني ونهاجين إذا نظر إليك أي شخص. وتعلم الله ما يحصلت إذا حاول أحدهم أن يلمسك على غوا ودي.. حسناً.. لازمال أمامي فاقورة سراء نصف درزين من الأكواب.. وأنا أفك في صنع أطاراتها.. «لوم يكينوا مكدسين كلهم بذلك الطريقة فرعاً لم..»

«هذا خارج الموضوع يا سيرينا. الشيء الآخر أنك جعلتني أخوم مثل حاجة تخمي صغيرها. فهذه هي كيبيدا تغلبت على الأمر تماماً. هل

تفهمني ذلك يا محبوبتي؟»
قالت سيرينا بصوت يائس: «أنا.. أظن ذلك».

قال بصوت قوي: «حسناً سوف أخبرك بشيء آخر. فرغم كل الرواية المخربة التي أخبرتني بها عندما أستأجرتك للعمل.. وعلم الله ما دفعني لذلك في المقام الأول فلابد إني كنت متبرأة.. ولكن رغم ذلك فانا متأكدة تماماً أن لك بيتاً عريضاً ينتظرك في مكان ما. لقد أدركت ذلك من طريقة خدنك وشبك ونظرتك المندھنة لنا كمحلقات بشرية ذات تعلم أقل... حسناً. فلنعود إلى الله يا سيرينا. أتعلم كبراءتك وعدوى إليه يا طفلتي. وصدقيني فهذا أفضل مما يكتنفك عمله».

وصدمها صوت القائمة سماعة التليفون منها المكالمة.

حلفت سيرينا في سماعة التليفون التي تمسكها بيدها ثم وضعتها ببطء. هكذا كانت النتيجة. لقد أتيت أولى محاولاتي للاستقلال إلى هذا القتل الكثيب. ظلت جاحظة العينين تحملق في الفراغ لوقت طويل ثم رفعت رأسها فجأة. وحدّدت نفسها.. ربما تكونين قد أهزمت يا سيرينا ولكنك لست عاجزة عن متابعة المسير. فيبي لم تكن وظيفة طيبة. وللامانة فناناً لم أكن بارعة فيها. وبالإضافة لذلك فإني.. حسناً. فإنني أكره أنه أراه على حق في أي شيء... ذلك السيد مرسيدس ولكنه استطاع الحصول على نقطة.

ولكيها عندئذ ذكرت نفسها بأن مواردها قد أعدرت إلى مستوى خطير. ورغم أنها تلقت تعليماً رفيع المستوى إلى حد كبير فإنه لم يوصلها تماماً للخروج إلى العالم العثور على وظيفة. إنها تحدث الغرنسية بطلاقه ولكنها لا تعرف كيفية استخدام الآلة الكاتبة. لقد حصلت على درجة منازلة في أنتاريج القدم وشهادة في الجغرافيا والأخبزية ولكنها لا تعرف شيئاً عن الحاسوب الآلى. وهذا يبعدها عن أمكانية العمل كموظفة مستقبل في الفنادق أو على خطوط الطيران. ولكن تزداد الأمور سوءاً فقد كانت في الثامنة عشرة وهي تقرب من الناسمة عشرة وذلك يعملاها

وتاديهم . والمقدرة على ركوب الخيل شرط أساس . ولابد من وجود شهادة شخصين من المعارف عن أخلاق المتقدمة ومقدرها . أطلقت سيرينا صيحة فرح وفقرت غبوب الحجرة وبناؤً ورفقاً ثم إنقطعت الجريدة لتعرف عنوان وكالة الاستخدام التي تجري المقابلات المبدئية . وزاد ذلك من سرورها ، فهي ستقابل هناك سيدة ودودة متعاطفة . وحدّثت نفسها .. هناك مشكلة واحدة فقط : شهادة أثنين من المعارف . يمكن أن تكون احداها ناظرة المدرسة الخاصة الشهيرة التي درست بها ولكن من أين لها بالشخص الآخر؟ بالتأكيد ليس ثوفن . ولكن من الممكن أن... نعم لا لا؟ كادت تطير وهي تندفع من حجرتها وبيط الدرج عدنا عن صاحبة المنزل . وأخيراً وجدتها في حجرة الغسيل .

«سيدة برسون؟ هل لك أن تفعلني شيئاً لأجلني يا سيدة برسون؟» كانت السيدة برسون ملفوفة القوام في متوسط العمر . كانت تضع الملابس في ماكينة الغسيل وأستدارت لدى ساعتها صوت سيرينا وقالت : «أوه... سيرينا... هذه أنت... أنت... أنا أريد الحديث معك بخصوص...»

قالت سيرينا في صوت ينم عن الأحساس بالذنب : «أنا أعرف... بخصوص الحمام في الليلة الماضية . أنا آسفه ولكنني زلت قدمي وسقطت على الأرض كما ترين وكان جسدي منسخاً .

قالت صاحبة المنزل في تذمر : «حسناً . طالما أنت لم تتخذها عادة . هناك آخرون بالمنزل ومن حفهم الاستمتاع بنوم مريح». وأستدارت إلى ماكينة الغسيل .

قالت سيرينا بلهفة : «سيدة برسون... لقد أتيت لأطلب منك معرفة» .

أستدارت السيدة برسون إلى سيرينا وتوقف جسدها المنقوف عن الحركة بينما أرست أمارات الاهتمام على وجهها وهي تقول : أي نوع من

أكبر من كل الوظائف التي لا تحتاج إلى مهارة مثل حسابات الحال التجارية أو حتى العمل في المطابخ .

طلت قابعه في الظل لفترة تطيل التفكير في هذا الأمر وفي نظام الأجر الذي يعتبر الموظفين في الثامنة عشرة زائدين عن الحاجة حيث يمكن استخدام غيرهم في الخامسة عشرة ومنهم أجوراً أقل .

كان هناك مخرج آخر يتمثل في مجتمعات الاستجمام التي تقع على ساحل «باربريف» وكذلك في «نورث كوتزلاند». ولكنها وجدت أنه يجب على المرء بصفة عامة أن يتحمل تكاليف إقامته وهذا لن يدع لها شيئاً ذا قيمة .

ولكى تزداد الأمور سوءاً كان اليوم صحوأ . ولابد أن الجو رائع على الشاطئ . وهو الشىء الوحيد الذى يمكن الحصول عليه فى مدينة سرفز مجاناً ويدون أي تكاليف . ولكنها أدركت أنها ستشعر بالذنب بمجرد فعل ذلك . ولذلك نشرت الجريدة في أحياط على فراشها وجنت على ركبها تنسج بصرها أعمدة الوظائف الخالية ولم يكن لديها كثير من الأمل .

وامت بكل الأعلانات تقريباً وهى تمر بأصبعها على صفحة الجريدة بحثاً عن طلب موظفات فى أحد البارات ولم يكن هناك نفس فى العمال فى هذا الحال . وأنجئت إلى أعلانات الكتابة على الآلات الكاتبة والكتابة بالإختزال ثم تراجع أصبعها ودار حول أعلان يطلب مربية أطفال قبل الأقامة لفترة طويلة .

تسارعت دقات قلبها وسألت نفسها .. لماذا لم أفك فى هذا الأمر من قبل؟ وبدأت تقرأ في حاسة .

كان المطلوب مربية تعمل كمرافقه لتوأمين في الثامنة من عمرها يعيشان في مقاطعة منعزلة ل التربية المائية . و يجب أن تكون المتقدمات في الثامنة عشرة من عمرهن على الأقل ولديهن شهادة عالية وتم إعدادهن للأشراف على الدروس الحرة . ولكن أهم شيء أن يكون لديهم حب شديد للأطفال وتم إعدادهن للاندماج في حياتهم تماماً والتکفل بتعليمهم

المعروف؟»

موقع هذه المقاومة؟ فكما تعرفن قد يكون بعض من هؤلاء الرعاة الغربين منظفين حشنة، وربما ي يريدون معرفة شيء عن عائلتك» لم تكن السيدة بسون نفسها قادرة على مقاومة طابع الفضول فيها. فكتيراً ما كانت بود معرفة شيء عن هذه الفتاة الصغيرة الحميمة المفعضة حب رأيها في سيرينا. وحاذنت نفسها بأنها لم تكن لتفاجأ إذا ما كان للسيدة بسون السبب في ذلك. ولكن من الواضح أن هناك خطأ ما قد حدث.

قالت سيرينا بذوق: «إن عائلتي هي شيء خاص بي. وبرغم كل شيء فقد بلعب سأبكل لي حق الانتخاب ولد بالتأكيد أني كبيرة بدرجها تكفي لأن يكون لي إعتباري المستقل بعيداً عن عائلتي».

لاح الأسف على وجه السيدة بسون وهي تومي فائلة: «هذا حقيقي، كي ما في الأمر التي كنت أتباه.. متى تذهبين لمقابلتهم؟» هي سريراً واقفة وهي تقول: «الآن فوراً» ثم أضافت في حرارة: «لا أستطيع أن أوفيكم حقكم من التكريم يا سيدة بسون» ثم مالت نطبع قبلة على وجه تلك السيدة الطيبة. كان اليومان التاليان بالغين الطول.

برغم كل شيء فقد أحست سيرينا أن المقابلة مع وكالة التوظيف كان بشارة بالخير. وللمرة الأولى أحست أن سهام تعليمها يقذفان في صفوها. وفي الصباح التالي تلقت مكالمة تليفونية، تطلب منها المحضور لمقابلة أخرى. ستكون هذه المرة مع السيدة دينيس في أحد الفنادق الفاخرة.

كانت السيدة دينيس تجلس إلى إحدى الموائد تحت القهوة عندما أقبلت عليها سيرينا. كانت سيدة ذات شعر رمادي بادية العطف وقدمت نفسها على أنها السيدة دينيس ثم أبسمت فائلة: «كيف حالك يا سيرينا؟ هل يمكنني أن أناذيك بذلك؟»

قالت سيرينا مبتسمة: «بالطبع». «أنا.. أرى أنك لم تحصل على وظيفة منذ تركت الدراسة يا سيرينا؟» «لا... لقد قررت أن أقوم بما بهي أجازة عمل حول أستراليا. حتى

قالت سيرينا: هل... أنا أقصد. هل تكثك أن تكتس لي شهادة بالجامعة؟ فكما ترون أنا سائحة لوظيفة مرشدأطفال وليس أدرى إن كان تكث فقط أن تعلمي... أنت تعرفي الأن على مدى قلادة سيدتي. وأنس لأسرب الحسوس ولا أدخل ولا أنس أي فلافل - وأنا في الحقيقة أنس سب الحمام بالأسس وأنس أنس... شيء ما من هذا الفضل هل تكتس؟»

أنفرجت أسرار السيدة بسون وقالت بلهجة مسجعة: «بالطبع ساعمل ذلك لأجلك. وفي وافق الأمر فأنا سعدني ذلك. أنت فناء طيبة ماسيرينا وكلما أسرع بترك المكان الذي تعيش به حالياً كلما كان ذلك أفضل سوف أحضر نظاري ونكتب ذلك سوياً». وأضاف صاحبة: «هل تعرفين أني أحبست بالقليل لأول وهلة. فقد ظلت أنت سلطيس فرضاً أو بقولي أنت لن تستطعي دفع الأجراء».

ردت سيرينا متساءلة ساحبة قلبي وهي تدرك أنها إن لم تحصل على هذه الوظيفة أو أي وظيفة أخرى في وقت عاجل في إن ذلك سكون رافقها هرراً.

وكباً الشهادة معاً وهي خمسان كوبين من الشاي. أزاحت السيدة بسون طيرها للخلف وهي تقول: «ها هي.. ها زانك؟»

ضحك سيرينا ضحكة حادة، وهي تقول: «إليها بدو... بارعة جداً وكأنها حفيدة» ثم أضاف بصوت هادئ: «لا أصدقاء رجال لا زانك. شخصه لطيفه متسدة وصعاؤده، هل تعتقدين أنه مصدقون ذلك؟»

قالت السيدة بسون بلهجة حادة: «سوف أقول لهم ذلك في وجوههم». والآن لو كنت مكانك يا مخوبين فلن أقول أني سعيدة. لا حاجة به لمعرفة شيء يخصوص ذلك. هل.. هل ذكر الأعلان

فانتقلت رعابهم لى مباشرة. وحتى الآن فلا توجد مشكلة. حسناً...
ولما كون صادقة فرعاً يجب أن أقول أنها مشكلة تقدم سهلاً. إنني أنا وغيري
نعده شيئاً صعباً بصفة مطردة أن نرافقهم ونقتفي أثرهم. ولذلك فكرنا في
أحضار مرية تكون مهمتها الوحيدة هي العناية بها، وأن تساعدها على
أحرار قدر من التعلم وإلا في سيكون هناك الأحتمال الذى لا ريب فيه أن
يشيا غير منحضرين على الأطلاق. غير أن عمها المسئول عنها الآن لا يريد
مجرد مرية. هو يريد الحصول على من يمكن للديها الوقت والرغبة فى
الساحة ورکوب الخيل معها. ويكون للديها الوقت لنقرأ لها ونساعدها
على تفريح أخلاقيها. هل يمكنك يا سيرينا تحيل نوع الإنسانى الذى نبحث
عنها؟»

«أظن ذلك ... إبها إنسانه لنكون أمّا إلى حد ما أو رعا لن تكون كأنها أخت كبرى».

مدحت ها السيدة ديني نظره حانية غير عاديه وقالت برقه : « هذه هي الفكرة العامة . وبالطبع فالقرار النهائي لا يتوقف على . أنا أحاول اختصار القاعدة التي أعدتها وكالة التوظيف لأوفر وقت مخدومي . وأيضاً لأنه أيا كان من سيحصل على الوظيفة فإنه سيكون على اتصال مباشرى . ولذا فـ المهم أن نتفاهم وجهـاً لوجه » .

قالت سيرينا بهدوء: «بالطبع» ثم أضافت: «هل... متى نظفين أنكم ستحذون فراراً؟».

« ربما في وقت فتأخر من اليوم . هل يمكنك حضور مقابلة أخرى ...
مثلاً .. في وقت مبكر من المساء ؟ »

قالت سرنا حمامة: «أوه... نعم» ثم أضافت: «وليس لدى أي

أتساطيلات أخرى . ولذلك فيمكنت أن أبدأ وقنا تشاءون » .

قالت السيدة دنست: «هذا شعب طيب أن تعرفه» ثم رفعت يدها

ومنها للسلام وهي تقول: «بالتأكيد سوف أتصل بك في أي حالة

با عزیزی. شکرا علی اهتمامک».

الآن فيه في الغالب... أجازة. لقد حصلت على بعض وظائف هنا وهناك ولكنها كانت فقط ملائمة الوقت».

دست سرنا أصابعها، في حجرها أخذت نعدها وغدّها وهي تمني
لو كانت غصن الكذب بدرجة أفضل.

سألها السيدة ديني: «هل لديك أستعداد للعمل بهذه الوظيفة لمدة طويلة؟»

قالت سيرنا بمحاسة: أوه... نعم، أنا أقصد أنتي لو تبت أنتي
ملازمة... لو ظننت أنتي علامة فبسعدني جداً أن أبقى». «وماذا عن عائلتك؟»

كانت سيرينا غاضبة لهذا السؤال، ولكنها أستطاعت أن تقول في هجاء صبيحة: «لقد توفى والدى ورغم أن لى زوجة أب فإننا لسنا.. متفاهمين تماماً»، وتوقفت وقد شعب لونها.

ولكن السيدة ديني أومات بفهم سألتها: «أخبرني.. هل سبق لك
حياة في الريف؟ إن روزوود معزولة تماماً. ورغم أنها خربة هناك في
منطقة سعادة لكن الأمر يحتاج بعضًا من التكيف والتوفيق وبالذات بالنسبة
لنا من المدينة».

استرخت أعصاب سيرينا وقالت: «لن يكون ذلك مشكلة. لقد
د وثبتت في إحدى مقاطعات رعى الأغنام في وسترن فيكتوريا،
د ركبت الجبل لأول مرة وأنا في الخامسة ثم انتسست وهي تضيف:
«أنا أحب أن هذين التوأمين مفتونين بركوب الجبال».

ضحك السيد ديبي ب بصوت خفيض وقالت: «أنت لست على
أ في ذلك». وتابعت: «أنها مصدر إزعاج دائم لي في هذا الصدد.
يجب أن أعطيك خلية ماضية؟، أنا أعمل كمدبرة للمنزل
روزود». وأضاف بصوت حزين: «في الواقع الأمر أنه هناك منذ
تبدو أطول منه أن أذكرها» ثم هلا الحزن عيناها وهي تقول: ولوه
... ذهب والد التوأمين ضحجة حادثة مريرة منذ بضع سنوات

بلوزتي ذراعي. وعلى أبيه حال فكيف تبدو م瑞يات الأطفال؟ رجاءً كان يجب أن أرتدى ملابس ركوب الجيل...؟ أوه.. يا إلهي. أرجوكم ساعدنى لأحصل على هذه الوظيفة.

قابلتها السيدة دينى على باب الجنانج. وقالت بحرارة: «سirينا، أدخلنى. أنا آسفة لأننا تأخرنا إلى هذا الحد في الاتصال بك. ولكننى قررت التحدث مع ناظرة مدرستك. وقد أسلزم الأمر بعض الوقت للعثور عليها. وبالمناسبة فقد أعطت عنك شهادة مشرفة. أدخلنى مباشرة يا عزيزنى، أنا أريد تقديمك لخدومى بين ونت وورث» وأنطلقت إلى بى داخلى وهى تقول: بين هذه هي سيرينا سانت جون» ثم أضافت فى فجوة ودود: «سوف أدى كـما معاً» وأوصدت الباب خلفها.

إندفعت يد سيرينا تعطى فيها عندما أهند بصرها عبر الحجرة. كانت أول فكرة راودتها أنها رماديتين وليس خضراوين. مضت حوالي ثانيةين قبل أن تأتيا أي أفكار أخرى. وهلأتها رغبة عارمة لو أنها كانت تعيى فى الأسترالبين القدماء فى الاختفاء عن العيون. ولكن لم تكن هناك أشجار سقط أو ساحر يساعدها فى تحقيق رغبتها. فقط كان هناك رجلًا طويلاً ذا شعر أسود مصفر وعينين حاکرتين. وأرتمست على شفتيه أبتسامة ساخرة وهو يقول متندفاً: «حسناً. حسناً ها قد التقينا مرة أخرى يا صغيرتى».

في السادسة من مساء ذلك اليوم كانت سيرينا في قبة اليأس رغم أنها كانت تذكر نفسها بأن مفهوم المساء المبكر يمكن أن يختلف من شخص لآخر.

على أبيه حال فقد فقدت الأمل تماماً في السابعة وبدأت تشعر بانقباض عرب في صدرها. وبدأت تشعر بالخوف من غيابها الكثيبة للمستقبل. وعندئذ جاءها صوت السيدة بنسون ودوداً يناديه من الخارج وهي تقف على درج البيت.

ردت سيرينا: «نعم. أنا هنا» ثم قالت: «أظن أنهم قد اختاروا فناة أخرى».

ولكيهم لم يفعلوا. لقد كانت السيدة دينى تأسى عن أمكانية حضورها خلال نصف ساعة مثلاً.

وضعت سيرينا ساعة التليفون وقد ألم بها نوع آخر من أحتباس الأنفاس. وقالت للسيدة بنسون في صوت مرغف: «رعا يقلدوني. وعلى الأقل فإننا الآن ذاهنة لخاتمة المدير. أوه يا عزيزنى أشعر بأن سافى لا نصلحاتى».

قالت السيدة بنسون مستجدة: «إن ما تحتاجينه الآن هو كوب من الكويا القوية. سوف أعدها لك حالما ترتدىن ملابسك. تخرسى. لأنقذنى هكذا».

وبما كان المصعد يحملها إلى الدور العاشر بالفندق الذى زارته فى وقت مبكر اليوم أهندت يدها تصر على توزيعها (جونيتها) ذات اللون الأصفر الشاحب. ثم فحصت أزرار المعصم فى بلوزتها الحريرية. وعندئذ لمست الفلامنة الحريرية التى تسلّم شعرها الجميل الغزير فى أحشام على هيئة ذيل حصان. ونظرت إلى حزامها الناعم الذى يلف حضرها لتأكد من موافقته لزها وكذلك لخداعها الجلدى ذى الكعب المتوسط الأرتفاع. وحدأت نفسها بأستعراض... أتمنى أن أبدو كمربيه أطفال. وعلى الأقل فإن التبرة تعطى ركتين إذا راعت ذلك أثناء جلوسى وكذلك تعطى

أن يعطيك حيرة تكفي للأجابة على بعض الأسئلة... مثل... ما هي
الأختلاقات الكاذبة التي قصصتها على السيدة دينى لكن تفويت بهذه
المقابلة؟»

قالت سيرينا بصوت ضعيف: «أنا لم أقل لها أى أكاذيب». قال بصوت هادئ: «لا... هذا شيء غريب. لقد فدمت لي موجزاً طيباً جداً عنك ولكنك لم تشر أطلاقاً إلى ملهمي بليكان. ربما ثنيت أنت أن تشيري له؟ من المتم... عن قصد؟» كان شراب البراندى يجري في أحشائها بعنف محدثاً أثراً غير عادى. وسألته في قسوة: «إذن، ماذا في ذلك؟ أنت نفسك طلبت مني أبداً صفححة جديدة منذ ليلتين فقط لو كنت تذكر. ولكن حتى في ذلك الوقت كان لدى إنطباع بأنك تماديتك كثيراً في تصريحاتك لأنها لا تمسك.. فضلاً عن ترويعي من الحياة وسرقة الفيلات».

قال في صوت رزين رغم الوهمه الساخرة في عينيه: « طفلنى العزيزة. أنا مسror بأناك التفت لتصبحى. صدقيني. ورغم ذلك فأنا لست سعيداً بفكرة أنك قصصت على السيدة دينى حنة من الأكاذيب وذلك لسبب واحد وهو أنه يمكن أن يضعها في موقف حرج جداً».

قالت سيرينا: «على وجه الدقة... أنا لم أكذب. فالأشخاص الذين شهدوا لي حقيقين وقد أخبرتني أنها تأكدت من ذلك».

سألها ساخراً: «ألم تسمى مطلقاً عن الكذب بالخدف؟»

غضت سيرينا على شفتها. وقالت بتورٍ «إذن أخبرتني كيف يمكنني أن أبدأ ببداية جديدة نظيفة إذا كان على أن أخبر كل شخص بأننى كنت أعمل كنادلة فى ملهمي (بليكان)؟ وكم من الناس يصدقون بأننى كنت قبلت العمل بذلك المكان لأننى كنت قد فقدت الأمل؟ أخبرتني بذلك إن أستطعت».

لوى قسمات وجهه وقال: «أتعذر يا سيرينا. أنا لم أولد بالأمس. هناك بذائل لله فى بليكان أمام أى شخص منها كان قادرًا للأجل. هناك

الفصل الثاني

(الصفقة)

ترجمت سيرينا وأحست بوجهها يتوجه والعرق يملأ كفها. ولكن ذلك شيئاً هيناً بالمقارنة بخفقات قلبها المتلاحقة والدوار المفاجئ الذى أصابها حاصلة أنها لم تستطع تناول طعام طول اليوم.

ترنحت في وقوتها وقالت بصوت واهن: «أنت؟»

قطب جيئنه وقال متندداً: «حقاً إن الحياة مليئة بالمفاجآت. ولكن من الأفضل أن غلسي قبل أن تسقطى من الإعياء».

قالت: «لا... لا. أنا أعتقد أنه من الأفضل أن أذهب... أوه. أرجوك». كان صوتها متسللاً بين تردادي شبعه أمامها. وأنهى بها الأمر أن تهاوت على أحد المقاعد بينما صب لها شراباً وقدمه لها. قال في هدوء ولكن في تضليل واضح: «أشربى هذا». «أنا...»

قال بلهمجة آمرة: «عدي يدك».

رفقت سيرينا بديها في ترافق وتناولت الكوب وغمرت الشراب الماء فسررت بديها قشعريرة بسيطة. قال سين وينت وورث: «جرعة أخرى». وبعد جرعة أخرى تناول الكوب من بديها المرتعشتين وجلس في مقابلتها.

لاحظ الدماء وهي تعود ثنياً إلى وجهتها فقال: «حسناً. هذا يجب

وهي تقول: «أرجو أن تعتذر بالنيابة عن السيدة ديني فربما أكون قد أضمنت الكثير من وقتها ومن وقتك».

ودارت من خلفه وقد نكست رأسها ولم تجد في نفسها المقدرة على النظر في عينيه. لم يكن بها سوى رغبة شديدة في الهرب بأسرع ما يمكنها بعيداً عن حضوره البعض قبل أن تنخرط في البكاء. فهذه هي المرة الثانية التي ينالها فيها الخزي على يديه في مثل هذا الوقت الفصیر.

وبداً كما لو كان قد تولدت لديه أفكار أخرى. فبیناً كانت تندفع نحو الباب سمعته يقول: «أجلسي يا سيرينا». أرتفعت رأسها بحركة متشنجه وأستدارت تحدق فيه بعيون بنسجية جاحظة. كان لا يزال واقفاً بجوار مقعدها واضحاً يديه في جيبه وقد بدت في عينيه نظرة ما.. هل هي سخرية؟

ترددت للحظة. ومرة أخرى أحسست أن هذه النظرة الخضراء الرمادية تقعها في أحجولة غريبة. وعندما ذكرت آخر مرة حدث فيها ذلك سرت دماء دافقة خضب وجهها. ورغم ذلك أرتعد جسدها وأستدارت نحو الباب مرة أخرى. كادت تمسك عصبيين الباب عندما واصلت سين وبرت حديثه دون أن يتحرك من مكانه فقال ببطء:

«لأنه دفعني للسعى وراءك وأعادتك يا سيرينا. لقد تقدمت أنت هذه الوظيفة ولكنني أنا الذي أفتر مني تنهي المقابلة».

ودون ان تستدير له قالت بصوت متلعثم: «أنا... أنا لا أفهم. لقد ظلت أنت أنت».

قال بصوت رقيق: «ليس تماماً. هناك وسيلة حيث يمكننا... أن نصل إلى تفاصيل».

بلغت سيرينا شفتيها بينما أرخت يدها إلى جانبها ببطء. وقطبت جيوبها في حيرة وهي تقول: «أى نوع من التفاصيل. قند أقل من دقيقتين كتب تهمي بأنني عاهرة أو مدمنة مخدرات.. وربما كلها.. أو بأنني عالة».

وكرر: «أجلسي يا سيرينا» لكن هذه المرة كانت هناك نبرة تحذيرية

إغاثة البطالة على سبيل المثال. كما أنت أتفق في أنه لا يوجد من يدخل عليك بالأمن الاجتماعي فيضطرك للعمل في ملهى سوء السمعة. إذن فمن الواضح أن هناك في مكان ما عائلة تفك فيك كثيراً ولذا أرسلتك إلى مدرسة خاصة باهظة التكاليف والتي لا شئ أنها زودتك بتعليم رفيع المستوى. وكما أكدت السيدة ديني فإن لديك شهادة عالية رفيعة المستوى. ولكنك الآن على بعد أيام من منزلك وتحاولين أقناعي بأنك تعانين من الفاقة: هذا لا ينطلي على باعزيزتي. إلا إذا..» وتوقف ثم نظر لها بإمعان وقد ضافت عيناه فجأة.

سألته سيرينا في حذر: «ماذا إذن؟»

«إلا إذا لم تكوني فعلاً سيرينا سانت جون على الإطلاق»

«أنا... أوه» أطبقت سيرينا فمها بصوت مسموع وأرتمس على وجهها تعبير أكثر حذراً. لكن سين وبرت كان يتنظر وقد أحاط به جو من التحفز أعاد لذهابها حلمها حول المتر وتربيصه لانقضاض علىها.

قالت في صوت ضعيف ولكنه متزن: «أنا سيرينا سانت جون ولكنني أدرك أنني أخطأت في... في محاولتي خداع السيدة ديني بهذه الطريقة و....»

قاطعها فائلاً: «أنا سعيد لأنك أدركت ذلك يا سيرينا» وبهض واقفاً. حدق في يتوتر ثم حفظت بصورها لسفر على يديها.

وأيا فائلاً: لأنك أدركت.. وأنك عندما أقول ذلك لست بالضرورة أتهمك به ولكن أماكن من هذا النوع يكون لها في الغالب إرتباطات يفرض بالمخدرات والبغاء وهكذا» وتململت سيرينا في ضجر ولكنه تابع يقول: «مرة أخرى فأنا لا أقول ذلك لأنني أقصده في حد ذاته ولكن عندما تبحثن عن شخص تتكلفين إليه رعاية طفلين صغيرين ليس بإمكانك إلا تهمي جداً من ختارين».

قالت بصوت أحش: «أنا أعني ذلك. ولكن لم يكن لي دخل بشيء كهذا. وإذا كان الأمر قد أستمر قليلاً أكون لأدركه».

وبهض واقفة

«أنا لست متأكداً مما يجب أن أصدقه. لو أنت أسطعت أن تكوني
أمينة مع وخبرني بصدق كيف حدث كل ذلك..؟» ونلافت عيونهم.
ترددت سيرنا ثم خففت بصرها وهي تمسك «لا أستطيع... حقيقة
لا أستطيع».

هز كفيه ثم قال: «حسن جداً» ثم جلس في مقابلها وتابع: «إذن
فسنعقد صفقة. إذا كنت قد خرحت عن الخط المستقيم فإني سأشكلك
فرصة للأصلاح. والآن» ورفع يده عندما همت بالكلام وأستطرد: «قبل
أن تبادرين بالرد فإذا كانت هذه الفكرة بينك فإني أيضاً سأبرئك
لفقدان الأدلة الكافية. فحسب كل ما أعرفه رعا تكونين فتاة غرة بريئة
تورطت في شيء لم يكن بإختيارك. ولكن الوظيفة وظيفتك بشرط أن
تعمل على هذين الطفلين أهم جزء في حياتك وألا تتوطى في أي عمل
مزعج بما في ذلك النوع الرومانتسي»..

أغمضت سيرنا عينها. وأراحت رأسها على يدها وقد أخذها الذهول
النام بغري الأحداث. وحادثت نفسها.. كيف كان يمكن أن أكون
بساطة ضعيبة مثل تلك المصادفة الجبنونة، فضلاً عن سوء الفهم؟ وذلك
إذا عاشرت قد ذهبت إلى الشاطئ في صباح الأمس. ففي الوقت
الذى كنت سأعود فيه للمنزل من المتملل أن يكتووا قد أوقفوا مقابلة
المتقفين. وعلى الناحية الأخرى.. هل كانت في موقف يسمح لها
برفض عمل كهذا حتى لو كان أدى لوجودها في هذا الموقف الغبيض؟
واعتبارها متهمة بكل ما قد يخطر على بالها من الرذائل؟ ووضعيتها في
موقف من تقدم لها الفرصة لأصلاح نفسها. وكانت الضحكة التي
أندفعت إلى حلقتها وأخذت نفساً عميقاً.

قال ببطء: «أنا.. سوف أقبلها طالما أن بأمكانى الوفاء بهذا
الشرط». وتجاهلت حاجبى سين وينت وورث اللذين أرقهما في هكم.
وابعدت نقول في هدوء: «إذا أديت العمل جيداً سوف أصلح نفس»
ولم تستطع منع التوارد شفتها وهي تنطق بكلمة «أصلح» وقامت:

واضحة في صوته.

حدفت فيه بتمرد ولم تتحرك من مكانها. تقدم نحوها ودفعها إلى أحد
المقادير. وعندئذ أدركت أن تمردها الخدود لا يبعدها شيئاً إزاء قوته البالغة.
وغمغم قائلاً: «أظن أنك قد تعلمت شيئاً في الليلة الماضية».

وجهت له نظرة حافظة متوجهة بالغضب وقالت: «لقد تعلمت التدقق
في الأخبار» والتقطت غلالها الحريرية التي كانت تجمع بها شعرها
ووضعته في حجرها حيث كانت قد أزليت أثناء مقاومتها الواهبة وتابعت
فائلة: «لقد تعلمت شيئاً بخصوص ترك نفس عرضه للأستغلال.
وبالمصادفة فقد كان ذلك درس لا يحتاج إليه في الواقع» ثم حدفت
فيه بغضب وهي تضيف: «لا. أدرى كيف بددعني كل ذلك للبقاء في
حضرتك وقتاً أطول».

أرسمت على وجهه ابتسامة بسيطة وهو يقول: «لقد أستعدت الكبير
من الحياة. أليس كذلك؟» ثم أضاف بلا مبالغة: «الست تريدين
الوظيفة؟»

شفقت سيرنا ثم بدأت تتكلم بدون أي ترابط في حديثها.
أنتظر حتى صمتت ثم قال: «لا. أنا لا أخدعك ولا أغدبك... إذا
ما كان ذلك هو ما تغوايلين قوله. كل ما أفعله أنتي أعطيك التبر». التي
حدثت عنها ياقع شديد منذ قليل.

مال تجاهها وزرع غلالها الحريرية البنية من بين أصابعها التي كانت
تحكها وتسلخ خيوطها في عصبية. وسألته وقد أمنيات عيناها بالذراع:
«كيف... ولكن كيف يمكنك إذا كنت تظن بي هذه الأشياء».

قال بهدوء: «لأن الكلمة الأساسية هي تظن» ثم تابع: «أنا لا أعرف
أي شيء سوى أنك أوقعت نفسك في ورطة وأنا على استعداد لمساعدتك
في الخروج منها».

سألته بصوت مرتعش: «ولكن ماذا لو كانت بي كل هذه الأشياء؟
أنا أقصد هل تصدق أي شيء مما قلته لك أم لا؟»

«سأودى عملاً طيباً مع هؤلاء الأطفال. أن لم تتألنى أية أستلة أخرى أو
غتير و تستطلع... حسناً» وأضافت بصوت حاد: «أنت تعرف ما أقصده
لأنك إذا حاولت أن تنهب في جنورى فسأرحل سريعاً ولن تكدر نلحظ
أى الطرق أختفيت فيها». .

نظر لها مين وينت وورث في حيرة ثم قال بيله فه: «هذا ليس
سهلاً في روزوود ولكن إذا أردت ذلك فسوف أتعهد إليك بهذه المهمة
على أساس محدد. سوف يجعل ذلك اتفاقاً خاصاً يجدد كل شهر إذا أردنا
ذلك. ولكن إذا قتلت في المهن وأغرفت عن المسار المحدد وحاولت
خداعي في ذلك فسوف أجده طريقة لتسليمك لن هربت منه أيا كان».
قال كلامه الأخيرة بصوت رقيق ولكن في تصميم ملحوظ.

لم يفت ذلك سيرتنا، وعُضت على طرف أحد أصابعها في فلق. ليس هناك مشكلة في أن تكون هريرة سوى هذه الشكوك. كانت المشكلة هي: هل ثق محافظته على أداء ما يخصه في هذه الصفقة؟ قالت بطاعة: «سكنى الله أبا عبد الله».

قال بيده: «سيخون شيساً جديراً بالأذدراء أن تراجع عن كلمتك». وبعض ثم مد يده وجدتها ليفقها على قدمها ثم قال: «أنت تعرفين الشروط وعندما أعقد صفقة فإنني التزم بها. و يجب أن نطمئنى لذلك. أنا أكبر من أن أقسم لك وأرجوك حتى الموت».

خرجت سيرنا زفرات غاضبة وهي تشعر كأنها عادت إلى سن السادسة من عمرها وقالت: «هل تعلم أنسى لا أحبك كثيراً؟ أنت شديد الـ... أنا لا أعرف الكلمة الملائمة. ولكن ليتك تعلم كم هو شيء مثير للحق أن أكون في مثل هذا الموقف. وكل ذلك لأنني لم أفطن إلى أنهية ركوبى سيارة أجرة فى ليلة ما. من الغريب جداً أن ترى كيف يمكن حلباتك؟ ... أن تنقلب رأساً على عقب بغير قرار واحد بسيط كهذا؟» قال فى أسى: «أوه... أنا أتفق معك». كان ينظر بعينى غر إلى وجهاً الذى بدا عليه منزح من الدهشة والفضول. وتابع: «هذا فضلاً عن ترويعك من الحياة وأستراق القبلات منك. كل ما أطلبه منك أن

ترجمى ذلك إلى دوافعه الحيرة.. وبالمناسبة.. لقد أعددت نفس لأدفع لك مرتب أسبوع مقدماً لكى أساعدك تجاه ما قد يكون لديك من ارتباطات أخرى» ثم سألاها: «هل يساهم ذلك بأى قدر في تعيني سمعتي في تقديرك؟» كانت عبناه لازلاً تتفحصان وجهها ولما
للمعان بالسخرية.

وفضلت سيرنا التزام الصدق فكانت وقد لوت قسمات وجهها:
«سوف يساعدني ذلك على دفع أجرة المسكن. فشكراً لك».

وفي غمار الأفكار الخيرة والمتعددة التي طافت بعقل سيرينا في الأيام القليلة التالية تذكرت أن سين وينت وورث قد ذكر ملهمي بليكان بالاسم قبل أن تذكر هي ذلك. وتعجبت إذا كيف عرف أن ذلك الملهم؟ فهناك ملاه كثيرة في تلك المنطقة ولم يكن هناك في زها ما يشير إلى بليكان على وجه التحديد. ولذلك فلا بد أنه كان يعرف الرزى وهذا يعني أنه هو نفسه لا بد كان هناك. وطابت بذهنها كل الأفكار التضاربه. ولكن فطرتها السليمة أشارت عليها بأن تطرد من تفكيرها كل الغيط الذى أحسته تجاه مخدومها الجديد. ولم يكن ذلك سهلاً. وأستغرقت فى التفكير... فهو ليس سهلاً ولكنه ضروري.

بعد أسبوع من تلك المقابلة العاصفة تم انتفاحها من نادلة ملهي فاشلة إلى مربية أطفال وبدا ذلك اليوم لها وكأنه حلم عندما وقفت على درج المنزل في مقاطعة روزوود التاريخية ترقب غروب الشمس.

في هذا الصباح طارت من كولاغانا في طائرة خفيفة ذات لون أبيض وقد كتب عليها «متلكات روزوود». كانت هي الراكبة الوحيدة وقد تقامت الطائرة مع الطيار وجموعة من حزم الورق المقوى. وعرفها

لم تُحب سيرنا بها كانت الطائرة الصغيرة تتجه نحو الأرض. والحق
يقال أنها لم تُحد الكلمة المناسبة لتصف أحاسيسها المفاجئة الذي لا يصدق
نحوه هذا الباء والجمل الاصارخ في تلك الصورة الطبيعية المجردة.
كانت هناك لجنة أستقبال تستظرها عند نهاية ممر المبوط. كانوا يقفون
تحت مظلته ضخمة نافعه مجموعة من العربات والشاحنات الكثيرة
والدراجات البخارية القوية. كانت طائرة هليوكوبتر براقة تقف على
مساحة واسعة ذات أرضية مقاطة بالخرسانه بجوار المظلة وبالتحديد فوق
صلب مرسوم في مركزها.

نزلت من الطائرة وقد دخلتها بعض التوجس حيث فوجئت بهذا الكم
من الخطيبين بها وراغبها السكون الذي ساد عند ظهورها. وعندئذ أندفع
نحوها ولدان متماثلان تماماً لها شعر أشقر جيل وقدمها نسبياً على أنها
ريشارد وينت وورث وكامبرون وينت وورث.
ويادر أحد هما بالقول: «إنا توأمين».

صاحت سيرنا وقالت: «يمكنني أن أرى ذلك. لست أدرى كيف
يمكنني أن أهرب بينكما؟»

استوعبت سيرنا الموقف الغريب لها وأبسمت لنفسها أبتسامة ساخرة.
في الواقع قد يبدو ريشارد وكمبرون متشابهين. ولكن لكل منها شخصية
مختلفة تماماً. ولذلك تمنت الا تكون هناك مشكلة في التفريق بينها.
والشيء الذي أثار دهشتها بدرجة أكبر كان هو حجم المقاطعة حسباً وأنه
وكذلك عدد من يعيشون ويعملون فيها. وقد تم تزيب رحلة لها بصاصحة
دليل لشاهد العالم القرية ومها سود عديدة وجدواول يمكن استخدامها
في المساحة وترويض الحيوان وغير ذلك. ثم تقديمها لكثير من
المستخدمين. وأحسنت أن المقاطعة أشبه ما يكون بأمبراطورية صغيرة. ثم
اعطاوها فكرة مبسطة عما بعد مقبلاً وما بعد مرغوباً في المقاطعة.
وأحسنت أن روزوود باعتبارها أمبراطورية صغيرة فلابد أن هناك سلماً
اجتماعياً وأن قته هي منزل الأسرة. روجدت أن وظيفة مربية أطفال تعد

الطار بأسمه: بيل أو جراوى. كان رجلاً غيلاً وقد ندى بعض من شعره
الرمادي الداعم على جبهه.

لم يمض وقت طويلاً على أفلاعها حتى قال في جل فصيرة مختصرة
أنها سبقت بالان كثيراً لأنه هو الآخر يعيش في نفس المنزل مع سين وينت
وورث وأبنى أخيه والسبدة دينس.

قال في ملاحظة عابرة: «أنت تحتاجين إلى برود أعصابك واستجماع
دكتك». «أوه... لماذا؟»

قال متوعداً: «إنها كالبرق الخاطف».
«هل تقصد التوأمين؟»

قال: «بالتأكيد ولكنها طفلين ظرفاء رغم ذلك». وعندئذ حلق فيها
كانها يستشف رد فعلها. وبدها بأنه يريد أن يضيف شيئاً. ولكن عندما عاود
الكلام أكتشفها أنها فوق سلسلة جبال أجتازها سريعاً ليحلقا فوق المنطقة
الخطبة جنوب كوبنلاند والتي تسمى دارلينج داونز.

حذفت سيرنا في الريف الجميل الممتد أسفلها وقالت: «إنه رائع
 جداً». كانت المنطقة مقاطة بأصنبلات الحيوان وحقول تربية الماشية
مختلف أنواعها وقد أحاطت بها الأعتاب وزراعات الحبوب. وبعد
الحدود الغربية لدوازير فقد كانت الأرض أكثر جفاً وأقل خصوبة.
وأمنت الصورة الطبيعية إلى حيث تتدخل حقول القمح والذرة.
قال: «إن الأرض ليست خضراء ولا جميلة إلى هذا الحد حول
روزوود».

«لا؟» ثم قالت بلهمجة مشححة: «حدتني عن روزوود».
ورغم عدم أسهابه في الحديث فقد وجدت عندما هبطاً أخيراً أن بيل
قد أعطاها وصفاً دقيقاً ساحراً للمنطقة.
وقال في إيجاز: «ريف الماشية» ثم تابع: «والأغنام. قد يبدو جافاً
ومزرياً بالنسبة لك، ولكنه أفضل مما رأيته على مدى أعوام».

ذكر الماضي. إنه فقط يزيد من سوء الأمور. وتنشفت سيرنا دموعها مرة أخرى وأستدارت لتدخل وهي تلعق الدمع من على شفها العليا. وما كادت تستدير حتى فوجئت بسین ورن وورث.

مد يدها.

قالت في تلعم: «أنا... أنا آسفة. لم أدرك أنك موجود».

ورفع يده من على ذراعها وأشار للشجرة قائلاً: «هذا ليس مقاجئاً. إيم بخدعون جلبة واضحة. أليس كذلك؟» ثم استقرت عيناه الخضراء الرمادية على عينها. وضاقت نظرته وهو يسألها: «لماذا الدمع؟» أزوردت سيرنا لهاها عدة مرات. وجاست يدها في جيئها بعثاً عن منديل. وقالت: «لست أدرى» وتمخطت ثم أضافت: «لم تكن رؤية هذه الطيور سوى شيء جيل. وعندها...» وهزت كتفها وطرفت عينها عدة مرات ثم قالت: «ها أنا قد أصبحت بخير الآن».

نظرها سين متأنلاً وقال: «كما تعرفين، فهي ليست جريمة أن تشعر بالوحدة وأ فقد أصدقائك في يومك الأول. ولكن من معرفتي بالتأمين والسيدة ديني ويل فإنك ستكونين كفرد من العائلة».

ولسبب ما جعل ذلك الدمع تملاً عينيها مرة أخرى. ولأسباب أخرى غريبة ابتسم سين محاولاً أن يُسرى عنها. ودفع خصلة من شعرها خلف أذنها وأحاطتها بأحد ذراعيه وضغط كتفها قائلاً: «أنت تدينين في الثانية عشرة عندما تبكين» وأضاف بصوت هامس: «وهو ما يجعلني أتساءل إن كان قد أصبح لدى الآن ثلاثة أطفال».

وحيث أن ذلك قد حدث فقد كان بالضبط ما يتوجه سيرنا. أمالت ذفنه الصغيرة في كبراء ونظرت إليه. وقبل أن تنطق بكلمة أخرى عنها ذراعه ثم نظر إلى ساعته قائلاً: «لديك حوالي نصف ساعة لستعيدى حمرينك. أراك على العشاء». وخرج تاركاً سيرنا تعس شفها في أحياط.

وظيفة مميزة لأنها تتضمن المعيشة في هذا المنزل الكبير. وأبسمت نفسها لدى ما قوبلت به من أحترام وقالت: «آه لو كانوا يعلمون».

كان سين ورن وورث يكث بالقرب منها ليتأكد أن معظم هذا التعليم المبكر قد أفاد من وجودها. ويجرد أن تراه كانت سيرنا تحاول جدياً أن تبدو طبيعية في وجوده. ولكنها أحس بعض الارتجاع عندما سمعته يعتذر لأنشغاله ويتركها للسيدة ديني.

أبسمت نفسها: «لقد حدث ذات يوم ولم ينته بعد» وأستندت بعض السأم إلى عمود الشرفة. كانت السيدة ديني قد نبهها أن بإمكانها ترك التأمين لها في هذه الشرفة والأستراحة قليلاً قبل العشاء.

كان المنزل قدماً ولكن بحالة ممتازة. كانت غرفة تصل بكل حجرات النوم. ومن خلال هذه الشرفة كانت حجرة نوم سيرنا تطل على رقعة خضراء تنشر بها أحواض الزهور. وكانت هناك إحدى أشجار الصنوبر المهيبة التي أرتفعت كأنما هي حارس يقف بجوار بوابة الحديقة.

عندما همت بالدخول لتنبعد للعشاء خلت عينها برقاً فرنفلياً بلوح بين أغصان الصنوبر. وأمتلأت السماء بأصوات صاخية لسرب من البيقاوين ذات الألوان الرمادية والفرنفالية. وأخذت تنفس على الشجرة ثم خوم حوها وأخيراً استقرت على فروعها.

حدقت فيها سيرنا مسلوبة اللب، ولكن الطيور لم تبق طويلاً. لقد حلقوها كأنما كانوا يستجيبون للأشارات غير مرئية. وداروا حول الشجرة مصدرين ضوضاء رهيبة ثم أبعدوا مختفين في الظلام.

أبسمت برقه عندما خيم الهدوء مرة أخرى. ولكن فجأة كانت هناك دمع في عينها وسالت على وجهها عندما تذكرت بيها. وتذكرت سرب البيقاوين ذات الأعراض الصفراء الذي كان يزورهم بانتظام. تشفت سيرنا دموعها ورأرت كيف أن كل ذلك بعيداً جداً عنها الآن... ليس فقط في المسافة ولكن في كل شيء آخر. وتهدل كتفها وهي تحاول أن تسد الطريق على ذكريات طفولتها السعيدة الجائرة. فلبيت هناك فائدة

في حياتها كلياً مثل هذا المظاهر الوحشى فضلاً عن قطعة القماش ذات المزيج من الألوان التي كانت تغطي جسده.

وقال ريتشارد: «نعم يا أستاذة، إنه عبد ميلاده. أليس كذلك يا كامبرون؟» ولووح بيده ودون أن ينتظر تأكيد أخيه قابع قائلاً: «أضيق أو أنقص يوماً أو يومين». وباعتبار أنك من المفترض أن تكوني أفضل صديق لنا بدأه من الآن فقد فكرنا أنك ربما ترجعين بحضور حفلته».

«حسناً، سأفعل» قالتها سيرينا في سرعة وأقتضاب وقد كتلت أنفاسها محاولة تحبس الكلب الضارى الذى لم يكتفى بأن يتصرف كأنه يشاء في فراشها بل أخذ يحاول لعق وجهها مظهراً تودده. وقالت: «لكننى لا أظن أننى قد قابلت ديجى؟ فمن هو؟ وبالمناسبة فتى تكون الحفلة؟ كان بإمكانك إخبارى في الصباح..»

ولكن العوامين أغترطا في نوبة عارمة من الضحك بينما أنه الكلب خوطها مصدرأً نباحاً قصيراً حاداً في أذنه البشري. وخفت نباح الكلب عندما بادر ريتشارد وكامبرون بالأنقضاض عليه.

أتسلزم الأمر بعض الوقت حتى استطاعت أن تخلص نفسها من تلك البركة التي تكونت من الأذى والأرجل والكلاب. وعندما تمكنت من ذلك أخيراً همست في صوت ضاحك: «لقد فهمتكا. هذا هو ديجى أليس كذلك؟» وأشارت إلى الكلب.

رد ريتشارد هاماً بلهجة مشجعة: «لقد أصبت. هل تريدين الحضور؟ لقد أعددنا كل شيء في حجرة نومنا» وشجعها بنظرة حادة ضيقة.

أدركت سيرينا الموقف. ورأيت أنها لا زالت قيد التجربة. ولكن ما الضرر من احتفال يقام في منتصف الليل ل الكلب أثير؟

بعد دقائق كانت تنظر في تعجب إلى الحيوان ذى المظهر الغريب وهو يلهم ما أكد لها ريتشارد وكامبرون في إجلال أنه ضعافه المفهول. كان كل شيء قد تم أعداده سراً طوال اليوم وتغزيله تحت فراش ريتشارد.

كانت متعبة ومتعبيرة. وحدقت بعين في سقف حجرها المظلمة. كان النوم لا يزال يستعصى عليها ويعجز الليل أنخفض درجة الحرارة وهذا المنزل تعددت أصوات صرير أبواب وبعض أصوات أخرى غريبة. ووجدت نفسها لا تزال بعثة العينين. وتقلبت في فراشها.

كان سريراً واسعاً فسيحاً ذا فرش ثicker. ولم يجد مبرراً لعدم استطاعتها النوم عليه. وفي الواقع الأمر فقد كان واحداً من السمات العديدة المرعية في منزل روزوود. وعرفت سيرينا خلال جولتها المبكرة أنه قد بني منذ حوالي هاتة عام. وقد أضيف له منزل خشبي ولكنه ظل ذا طابع أمريكي قديم بحجراته ذات السقف المرتفع والشرفة التي تحيط كوفاء من حرارة الصيف. ومصطليات التيران التي أعدت للبالي الشتاء الباردة. كان المنزل بسيطاً وغير منكفل الزينة رغم اللمسات العربية ومؤشرات الزراء مثل الأثاث المصنوع من أختشاب الورد في الردهه وجحرة الطعام، ومثل السجاجيد الوبرية ذات اللون الأزرق الراائع التي تملأ هذه الحجرات. كان الترمان يملأ المنزل هواً ومرحاً.

صدرت منها ضحكة خافتة لدى ذكرها التوأم. لقد تطابق انطباعها الأول مع وصف بيل أو جرائ لها فهي حشد من الطاقة الواقفة والأزعاج البالغ. ولكن كان الجميع يحبونها لذلك وينقلونه منها إلى حد غريب.

توترت سيرينا وقطعت جيبها عندما سمعت طرقاً خفيفاً على الباب الداخلى المؤدى إلى الشرفة وعندما مدت يدها لتضيء المصباح المجاور لفراشها سمعت الطرق مرة أخرى. وعندئذ فتح الباب وتسلل منه ولدان صغيران ومعهما كلب ضخم.

سألت في قلق: «ما هذا؟ هل هناك خطأ؟» كان ريتشارد هو الذى أجاها بعد مجموعة من الأشارات فهمتها بأنها طلب بأن تخفض من صوتها. وهي: «إنه ديجى».

قطعت جيبها متسائلاً: «ديجى؟» ووثبت جائباً في وجل عندما أفلت الكلب الأسترالى من قبضة ريتشارد وقفز إلى الفراش. ربما لم تر

خدماتها ضبطها وهي تسلل خلال المنزل في طابور يضم معها التوأم والكلب. ولكن لم يتحرك أى فرد. وأخيراً تم تنظيف حجرة النوم. ورقد كل من الوالدين في فراشه.

وفي ضوء شمعة أحكت سيرينا العطاء عليها وقالت في حرارة: «تنصتون على خبر». ولكنها لم تكمل تصل إلى الباب حتى خطر لها خاطر مفاجئ. أقتربت من فراش التوأم مرة أخرى وقالت بهدوء: كيف أسلما هذه الشمعة بأولاد؟ وأستقبلت كلماتها بصمت متزلف. وعندئذ قال ريتشارد بسلاسة: «نقايب. لقد وجدت عليه».

وهمست بصوت جاد: «حسناً. أعتقد أن من الأفضل أن تعلمه لى. ثم إنكم لن تحتاجونه الآن. أليس كذلك؟» ورفعت حاجبيها وهي تنقل بصريها إليها.

وتردد ريتشارد ثم هز كتفيه ودس يده في ثبات فراشه وأخرج عليه النقاب. وفي نفس الوقت سقطت عليه سجائير مجعدة من انر الأنسيلات. خيم صمت مطبق للحظة طريرة: وأخيراً تحنحت سيرينا والتقطت العلبة من على الأرض وقد أتهد تفكيرها ثم قالت بصوت منفيط: «سوف أعقد صفقة معكما. من حقى أن أبلغ هذا لعمكما. ولكن إذا قدمها لي وعداً جاداً بالأأندختنا مرة أخرى فلن أخبره هذه المرة. هل هذا مبناق؟»

مس كامبرون: «خن لا ندخن في حقيقة الأمر يا سيرينا. لقد فكرنا أن نحرث نفسين من الدخان. لقد عثرنا عليها بالأمس. أليس كذلك بارينشي؟

كان ريتشارد صامتاً ولم تغادر عيناه وجه سيرينا. قالت سيرينا بهدوء: «والآن حسناً، أنا أصدقكما. ولكنني لست متأكدة لما يصدقه عميكم».

«لقد قلت أنت لن...»

قالت ببرود: «فقط إذا ما وعدتني بارينشارد. ثم أضافت «وأنت

سنديونشات اللحم وقطع الجبن المقطعة ببرية الفراولة فبدت كأنها كمكمة كبيرة. وكان هناك وعاء على مائدة متنجات (آيس كريم) منصهرة. كل ذلك تم التهامه في تلك الليلة.

ومس كامبرون: «ولد.. هل سبق إن استمعت بذلك على الأطلاق. وطرح ذراعيه ليحيط بها الكلب وهو يقول: عيد ميلاد سعيد يا ديجيسي». قال ريتشارد مخاطباً سيرينا: «إنه سيقضى الليلة معنا أيضاً يا أستاذة. وبصراحة فلست أرى سبباً لعدم السماح له بالتجول بحرية في المنزل. ولكن ليلة واحدة لن تحدث ضرراً».

ولكن هنا اختارت سيرينا أن تضع حداً. كتب هناك شمعة مضادة موضوعة في كمكمة كأسية الشكل مزينة بشمار الكرز. وبينما كان ديجيسي يضع عينيه على تلك الكمكمة جئت سيرينا على ركبتيها في ضوء هذه الشمعة ما بين التوأم وقالت: أتصننا يا أولاد. وأرجوكي أن تناذني سيرينا والا فإننى سأضطر لمناداة كل منكما بالسيد وينت وورث. في وقت ما كان لدى كلب يحب كل هذه الأصناف من الطعام. ولكن كانت له عادة. أنه عندما يتناول منها الكثير فإنه يفقد وعيه. يفقد وعيه كلب. ولذلك فستضطر لتركه بالخارج. هل توافقان؟

كان ريتشارد هو الذى رد بعد أن فكر في الأمر ملياً فقال باتسامة مفاجئة: أنت على حق. فقد يعطم ديجيسي كل طيب وثمين». ثم قال لتوأمها مواسياً: «لاتأبه لذلك يا كامبرون فسوف تأخذ للسباحة في الغد». ثم أضاف مخاطباً سيرينا: «إن لدى كامبرون بعض التعاطف مع ديجيسي».

قال كامبرون بفحسب: «وماذا في ذلك؟ إنه صديق طيب».

قالت سيرينا محاولة تهدئته: «أنا متأكدة» ثم تابعت: «دعونا نخرج له الآن. وسأساعدكما في تنظيف هذا المكان».

أخرجوا الكلب بأقل قدر من الضوضاء رغم أن سيرينا لم تتمالك نفسها من التعبير أكثر من مرة في أثناء ذلك مما كانت مستعملة لو أن

الفصل الثالث



(طفلتي العبيده)

دائمًا كان للأفطار والغداء طابعًا غير رسمي في روزوود. وحتى في وجود ضيف في المنزل. لم يكن معتادًا بين أهل المنزل أن يروا بعضهم كثيراً خلال اليوم حتى موعد العشاء. كان بيل أوجراري الذي يبعد اليد اليمنى لسิน رجلاً متعدد المواهب بالإضافة إلى كونه طياراً خاصاً بالمقاطعة. وفي الغالب كان سين يستيقظ قبل الفجر ويخرج ولا يعود حتى يحل الظلام. كان هذا ملائماً لسيرينا رغم أنها فوجئت بهذه البد المطلقة التي منحتها غياب التأمين منذ اللحظة الأولى. وأنثاء أحدى وجبات العشاء بعد وصوفياً بحوالي ثلاثة أسابيع أكتشفت أن الأمر لم يكن كذلك على غم مطلق. وأيضاً تبلور حذرها غياب التأمين بصورة ما.

وفي كل مساء كان يتم إعداد المائدة الطويلة الجميلة المصنوعة من خشب الورد الموجودة في حجرة الطعام. كان ذلك يحدث دائمًا حتى لو لم يكن بالمنزل غيرهم هم السادة. وكان ينتظر من كل منهم أن يرتدي ملابساً أنيقة ثم ينحدرون أماكنهم في الساعة المحددة.

لم يكن التأمين يستحسن فكرة النائق في أرتداء الملابس. وكانت سيرينا ترقد دائمًا ثوباً منسماً. وفي هذه الليلة كان ثوباً أيضاً جيلاً ذا نسج فطحي رقيق به نقط زرقاء داكنة. وكان يكشف عن ذراعيها.

با كاميرون» وتنمت إلا يبدو تأخيرها ذكر كاميرون وكأنه فكرة طرأت لها متأخرة. إلا أنها كانت قد كونت أنطباعاً أن ريتشارد هو المفترض في غالب المشاكل التي يثيرها التوأمان. وأدركت فجأة أنه سيكون لها بعض من معارك السيطرة مع السيد ريتشارد وبنت وورث قبل أن تزمه.

أخيراً قال ريتشارد: «حسناً غن نعد بذلك».

سألت سيرينا: «هل تحافظان على وعدكم؟».

بما ريتشارد كما لو كان قد طعن في كرياءه فقال: «بالطبع غن نفعل».

قالت في طجة مرحة: «حسناً وحيث أن ذلك قد أنتهى. فتصبحون على خير يا أولاد».

لم تك نصل إلى حجرتها حتى أطلت ضحكة صغيرة لكل ما حدث. وعندما استقرت في فراشها مرة أخرى أدركت أن هذه الوظيفة تستلزم بعض الاحتياطات المتقنة إذا ما كانت تنوى أدائها على غم جيد. وبكلمات أخرى فيجب أن تكون على بعد خطوة من الصغيرين ريتشارد وبنت وورث وكاميرون وبنت وورث. وقطبت جيبتها في الظلام.. فهي في الحقيقة كانت تتوقع ولدين صغارين عاديين. وبينما كان النوم يداعب جفوتها حدثت نفسها أن المشكلة ليست في أنها غير عاديين ولكن أنها غير صريحين وغير موثوق بها على عكس ما كانت تتوقع... أوه.. حسناً. إن هذا يعني أنني يجب أن أتبه دائمًا لأنني أتوى أن أقوم بهذه الوظيفة بدرجة طيبة جداً. وغطت في سبات عميق.

وأرتدت حزاماً جلدياً حبيباً ذا لون أزرق داكن وحذاءً أزرق داكن بدا متوفقاً مع زها. ومشطت شعرها حتى بدا كأنه سحابة ذهبية براقة. وشدت جوانبها وعقدتها خلف أذنيها وبنيتها بدبوس مزين (بروش) ثم خططر لها أن تذهب إلى الحديقة لنحضر غصناً من الياسمين ثبته بشرها أيضاً. وعندئذ ذهبت تمارس مسؤولياتها وتشرف على هدم التوامين. وأعادت ريتشارد ليغسل أذنيه وهو ما فعله بغير اتفاق فارسلته ليغسلها مرة أخرى.

كان نتيجة ذلك أن ريتشارد أخذ يمددم هاماً بكلمات غامضة عندما أخذ مكانه إلى المائدة. وبينما كانت السيدة ديني تضع الحساء اللذين الذي صنعته بنفسها سأله سين: «ما هذا الذي قللته يا ريتشارد؟» رد ريتشارد بصوت واضح: «لقد قلت... أن سامي بانكس لا يضطر لحل أذنيه لتنظيفها قبل أن يسمح له بتناول العشاء. فلماذا يجب على ذلك؟» ووجه نظرة غاضبة إلى سيرينا.

كان سامي بانكس هو ابن أحد فرسان الحدود. وقد فقد والدته في وقت مبكر وكان يعيش مع والده الذي كان رجلاً متفقاً هادئاً جداً وكأنما أدار ظهره للعالم. ونتيجة لذلك فإن سامي الذي كان يكبر التوامين بعامين أصبح مزيجاً غريباً من الهمجية والتضحية المبكرة. وحيث أن كان صديقها الحيم فقد كان يشاركها في دروسها الحرة. وكان كأنه شوكة في جنب سيرينا خلال جهودها لتبذيل وتنقيف الثلاثة.

تدخل كاميرون فائلاً: «هذا صحيح». كان عادة يقف على بعد خطوة أو خطوتين خلف شقيقه. لقد ولد بهذه ينصف ساعة، ولكن يمكن الاعتماد عليه دائماً لسانده ريتشارد. وتتابع فائلاً: «أنا أشك في أن ذلك يرجع لكون سيرينا بنت: أقصد أن هذا هو سبب حرصها على أن تكون نظيفة إلى هذا الحد».

أرسم على وجه سيرينا أبتسامة طفيفة وتشاغلت بتناول حساعها. وجدها مخدومها نظرة ساخرة وقال: «حسناً. كما تعرفون فإن البنات لسن

الوحيدات اللواتي ينفردن بالطاقة بين البشر. أنا أيها أنت أدنى يومياً».

أصدر بيل صرخة ضاحكة وقال: «قد تكون فكرة أن نفعها أدنى سامي بانكس في وقت ما. فقد تجد أن بإمكانك زرع البطاطس بداخلها».

فهقه كاميرون. ولكن ريتشارد نظر هاززاً ولم يجد عليه الفدوء بأية حال. وأنفع ذلك من معاودته المفجوم وإن كان من زاوية غير مباشرة فقال: «أنت على حق يا كاميرون. أليس من المتع كثيراً أن تكون بنتاً. سوف ينظر لك الناس كثيراً. لم تلاحظ ذلك؟ ربما يكون ذلك هو سبب اهتمامهن الزائد بمناظفيهن».

فكر كاميرون قليلاً ثم قال: «إفهم يفعلون. هل تذكر الفتنين الذين كانوا يهدّين المليوكورت للطيران منذ بضعة أيام؟ لقد نظر أحدهم إلى سيرينا بشدة لدرجة أنه لم يتبع إلى مفتاح الربط التقبيل الذي يحمله فقط على أصبع قدمه. ماذا قال يا ريتشارد؟»

تصلبت سيرينا عندما لوى ريتشارد ملامح وجهه وقال: «لقد قال ماذا يفعل هذا الطائر الصغير الرائع الجمال هنا بعيداً عن أغصان الشجر؟ ثم صدرت منه بعض الكلمات النائية رعاً لأنه جرح أصبعه» وأظهر ريتشارد عفة ملائkin كأنما هو نفسه لا يقصد هذا السباب بل أبدى ضجره من هؤلاء الذين يفعلون ذلك في حالات غضبهم». وتتابع قائلاً: «عندئذ صفر الفتني الآخرها. إلا تذكر ذلك يا كاميرون؟»

تظاهرت سيرينا بالأبهماك في تناول حساعها عندما أومأ كاميرون برأسه مشجعاً وقال بيضاء: «أنا أذكر. لقد كان ذلك عندما مررت أمامهم مع سيرينا التي حاولت منعك من الأقتراب من المليوكورت».

ووجه ريتشارد نظرة شريرة لشقيقه.

وتصادف أن أقبلت السيدة ديني لتجدها: قالت لريتشارد تنبه حقوق الآخرين ومشاعرهم: «ريتشارد: أظن أنك منظائق بعض الشيء لأن

خاص قليلاً كأنه فطمة حجر.

خيم الصمت عندما أغلقت سيرينا فمها ونظرت له بتحمّل مكنته. ملأها الغضب عندما وجدته ينظر لها بتعبير صارم أشعرها بسخرته الداخلية. كانت عيناه رمادية تماماً في تلك الليلة. كان يرتدي قبضاً قطنياً رمادي اللون وسررواً من الجينز. بدا زيه ملائماً تماماً له وأبرز بنية جسده الطويل عريض الكتفين. وقد كشفت ياقه فيشه عن عنقه الداكن بلون صفرة وجهه. وجهه الذي يبدو أحياناً صعب القراءة بدرجة لانصدق. وجهه الذي كان يلازمها إلى حد ما. والذي بدا كأنه نومها متناطبياً رغم أنها لم تجاوب معه خلال تلك القبلة التي لا تنسى أطلاقاً والتي أسرفها عنها. أثراها سقطت ضحية في تلك الليلة بسبب نظرته الخاطفة ذات الفتنة القوية المدمرة التي لاذت في أنه أعتقد أن ينظر بها إلى النساء ويدعمها خبرته الواسعة بمن.

أما في هذه الليلة فقد كانت هذه الصفة مخفية بدرجة ملحوظة لسبب لم تستطع الوصول إليه. وقد أزعجها ذلك بدرجة أكبر. قالت بلهجة واضحة صريحة: «إذا كنت قد أتيت من السخرية مني... وأنا أعرف أنك تفعلــ فهل يمكنك الانصراف. وبالطبع طالما أنك لاتصدقني وهو ما كان يجب أن أعتقد عليه تماماً» وكان صوتها ساخراً.

أبسم وهو مستتر في ذكر ماضي بينها. ودمس أصابعه في شعره الكيف ذي اللون الأسرم الشوب بالصفرة وقال للأمام قائلاً:

«سيرينا.. من عملك أن الهجوم هو أفضل وسيلة للدفاع؟»

فقدت إتزاتها وتلثممت وهي تقول: «أنا... ماذا تقصد؟ إنه حقيقي تماماً ذاك الذي قلته لك. ولقد أكده كاميرون. لقد كنا عائدين من أحدى جولاتنا على ظهره الخليل. وأراد رشّار التوقف لأنّه مفتون بالأشياء الميكانيكية. لكنني لم أكن لأسمح له لأنني لم أجده داعياً للتعامل مع هذين... الرجلين» ورفعت رأسها في أنفه.

سرينا أعادت لتنظيف أذنيك. لكن تعلم بأنّ سين و أنا أعتقدنا أن نفعل ذلك. وهذا فلا يمكن أن تلقى مسؤولية ذلك على أن سيرينا بنت. وفي الواقع يجب أن تنظر إلى الجانب المشرق. وعلى الأقل فهي ليست فتاة من ذلك النوع الذي يبالي عندما يصبه البطل والطين مثلاً حدث في أحد الأيام عندما دفعها ولدان صغيران أعرفها إلى جدول المياه بكامل ملابسها. ولم تصاب بالأغماء عند رؤيتها ضفدعه في فراشها رغم أنني أرى أن هذا سيكون شيئاً أكثر أحاجطاً.. هذين الولدين الصغارين ذاهباً».

تلاقت نظرات ريتشارد وكاميرون وتغير لونها ثم انفجرتا ضاحكتين وأخبراً قال ريتشارد متمنعاً: «لا... لقد تقبلت الأمر كلّه وكانتا رجال.. أليس كذلك يا سيرينا؟»

طللت سيرينا تعنى في ترقب لو تعرف ما يمكن أن يفعله سين تجاه حادث المليوكور. ولم تستطع منع نفسها من إرسال نظرة سريعة فلقة ياتجاهه. وفوجئت بأنّ كان ينظر لها وقد بدا على قسماته الضحك. أسترجعت بصورة واضحة وأستدارت إلى ريتشارد قائلة: «شكراً على تحيتك يا ريتشارد هل يعني ذلك أنكم صفحوا عن لكوني فتاة».

قال ريتشارد في صخب: «بالطبع» ولكن سيرينا أحسست ببعض الشكوك في صدقه عندما غير الموضوع بدھاء قائلة: «مين إنتا لمخرج للنزهة منذ زمن طویل فتى سيمكتنا ذلك؟»

ووعده عمه قائلة: «سوف أفكّر في ذلك»: كانت طبخته عادبة لما دفع سيرينا للأعتقاد بأنّ موضوع الحادث قد أغلقــ ولكن بعد برهة قصيرة عاودت النظر إليه لتجد أنه ينظر إليها بنظرة مركزه معدّه غامضة اختفت منها الإبتسامة وأحسست برعدة تسرى في أوصالها.

بعد المساء انتقلوا إلى الردهــ حيث أعتقدوا تناول القهوة. وبعــا كانت السيدة ديني تصب لهم القهوة قال سين: «هل بإمكانك إحضار فنجانك إلى غرفتي يا سيرينا؟ أنا أريد أن أتحدث معك».

لديك شك في أن التوأمين ليسا دالماً مصدر سرور. ولذلك فمن أجلهم ومن أجلك أعتقدت أنه قد يكون... نافعاً. ولكن لم أرغب في أن نشعرى كما لو كان هناك من يقف فوق رأسك دالماً وتحفز لأنقضاض علىك إذا ما أرنكت خطأ. إن ذلك يكون شيئاً مرهقاً. أليس كذلك؟ ولكن الجميع شهدوا بأنك تغلبت على المشاكل بجدارة». وأضاف مازحاً: «لدرجة أنك فاجئتنى يا صغيرتى».

«أنا... وأنا لا أعتقد أنك يجب أن تقول لي ذلك».

«لم لا؟»

فكرت سيرنا قليلاً ثم قالت بعض الأرباك: «حسناً. أنا أقصد... حسناً. من المفترض أن تكون المهندس المعماري حياتي الجديدة. أليس كذلك؟ فكيف يمكنني الأصلاح مادمت تداوم على تذكيري بشيء أفضل أن أنساه». ووقفت فجأة وقطعت جيبتها ثم قالت: «هذا لا يبدو صحيناً تماماً. ولكن...»

قال بإتسامة مقتضية: «أنا أفهم رغم ذلك. هل هناك بعض الأشياء يمكن من الصعب نسيانها؟»

أوهات سيرنا برأسها.

سأل بهدوء: «مثل ماذا؟»

هزت كفيها وقالت: «لابد أنك تعلم. مثل أن تشاهد مسترفاً في ملهى بلكان. ألم يسبق لك أن فعلت أخطاء في حياتك. أخطاء وجدتها صعبة النسبيان».

قال بلهجة جافة: «قليل. ولكن لازلت أجده شيئاً صعباً أن أرى الخطأ الذي بلغ حد وضعك في مثل هذه الوظيفة السخيفة. في الواقع هناك شيء واحد قد يت Insider إلى الذهن. أنا أظن أن هذه البشرة الرقيقة الناعمة وهذا الجسد الصغير الجميل والشعر الحريري والعيون البنفسجية ذات الرموز السوداء لابد وأنها بعض المسؤولية عن ذلك. ثم إن هذا عصر التحرر وحتى لو وجدت حاماً على نحو طائش وتم طردك من

هذا كتبه وقال: «أنا أصدقك». وعانت يده يكرة رخاميه موضوعة فوق بعض الأوراق على المكتب كثقل لمنعها من التطاير وتتابع قائلاً: «في واقع الأمر فلن يكن هذا اطلاقاً هو ما أردت التحدث معك بشأنه. ولكنك لم تعطيني فرصة لأنطق بكلمة واحدة».

طرفت عين سيرنا وهدأت فجأة وكأنها باللون أطفال متقوب. وقالت: «لكنك نظرت.. لي هناك» وأشارت يدها إلى غرفة الطعام وتتابعت: «أظن أنك كنت تنظر لي بعينين باردين كما لو أنت كنت غودجاً كرهاً لكانه وضع».

قال بملء فيه: «عزيزتي. سأحضر لرعاة طرقنى في النظر. لا يجب على ذلك؟ وخاصة أنت كنت أريد عينيك على أسلوبك الطيب في التعامل مع التوأمين».

أشحت هنا سيرنا ولكن أساسها المتقد بعدم الاتصال لم يخمد تماماً. وصدرت آخر ومضات ذلك الأحساس حيث قالت: «من الغريب أنك لاحظت ذلك» وعندئذ عضرت شفها بغلق.

قال بصوت هادئ: «أوه. إن لي طرقى ووسائلى». أخذت ذفها مرة أخرى عندما أدركت المقصود بذلك: «هل تقصد.. أن الآخرين كانوا يتتجسون على؟»

«ليس تماماً على وجه الدقة».

قاطعها بلهجة آخرة: سيرنا! هل لك أن تهدئي وتعطيني فرصة لأتم كلامي؟ وصمت ناظراً لها بنظره مبسمة مشجعة.

«كنت سأقول أن هذا ليس كذباً على وجه الدقة ولكنه حذف للحقائق. وهو يبدو كشيء جعلك أفضل مني في وقت ما. وفي الواقع بهذه الحالة غالباً بالنسبة لي. ولكن استمر...» وثبتت يديها فوق صدرها بما وجهها حليماً مشجعاً.

ضاقت عيناً بين وزم شفتيه ثم أضاءت عيناه ببريق مازح وقال ساخراً: «لقد أصبحت. ووغم ذلك فقد كانت دوافعى نقية تماماً. وليس

المنزل ..»

«ولكنني لم أعد بالآراء أتساءل وأتعجب من أنه قد يكون شيئاً عديم الفائدة.. إلا تتفى بأحد».

أغمضت سيرينا عينها وهي لانصافه فقد بدا لها أن رغبتها في ذلك لانتقام. ولكنها تهدت وقالت: «شكراً لك لا أفضل.. يمكنني أن... أدرِّ أمرى ب بنفسى».

تصلب فه للحظة ثم تراجع في مفعده. وعندئذ قال: «حسناً. هذا يرجع لك. هناك شيء آخر كنت أريد التحدث معك بشأنه الآن. لقد أهتمت ما يكفي أن تسميه مدة التدريب. وسوف تعود والدة التوأم في خلال أسبوعين تتحقق هنا فترة. قد تكون والدتهم هي أحد الأقارب التي جعلتك تواجهين.. بعض المقاومة من ريشارد على الأقل». وتناول الكوة الرخامية الموضوع عمامة فوق الورق وتتابع بأسرافاق: «أنا.. لا أريد أن أنقل عليك بأمور العائلة. ولكن يبدو أنك لم يكنك غائب ذلك. يجب أن أتيتك أن ريشارد له سجل حافل في كونه صعب التعامل معه، ويكون أكثر صعوبة في وجودها».

آخرى حذفت فيه سيرينا وقد فجرت فيها حتى أنه كاد يتسم بذلك ونكته نابع قائلًا: «لاتزتعجى لذلك فسوف تكون على حذر. وإذا استمررت على نفس الطريق الذى تسيرين فيه فهذا هو كل المطلوب».

وأخيراً قالت سيرينا: «أنا.. أفهم.. أنا لم أكن أدرى أن هم أما.. إيم.. لم يذكروها على الأطلاق».

«لقد تم طلاقها من أخي قبل وفاته. ورغم أن لها مطلق الحرية أن تزفها وفقاً نشاء وحتى في معيشتها معها إلا أنها تفضل هذا الوضع بالنسبة لها».

طرفت عينا سيرينا وقالت بصوت خفيض: «أوه.. حسناً. شكرًا لك لأنك نبهتني لذلك هل هي... هي تعلم بوجودي؟»

قال سين بملائمة: «بالطبع. لقد أستحسنست تماماً فكرة مرتبة

كانت سيرينا تستمع إليه أسترساله في الحديث وهي فاغرة الفم. ولكن في هذه اللحظة برقت عيناها بيران بنفسية. قالت بأنفاس مضطربة: «حاصل على خواطئ. أنا... انظر. حسناً. حقيقة. هذا أمر جديد. متى فكرت في ذلك؟ وماذا تظن أنتي قد فعلت بنتيجة هذا العمل الطائش؟ هل تم أو... لا. رفعت به على مدخل أحد المناجم مثلما كان يحدث في الماضي البعيد. كيف يمكنك أن...؟»

«هل تقصين على ذلك أو...؟»

وأنفجرت قائلة: «أنا لا أقصى عليك شيئاً... أنا...»

ولكن قاطعها قائلة ببرود: «عزيزتي إنه يحدث أحياناً لأفضل الناس فنياً» وهو كتبه قائلة: «هو في الغالب بسبب رجال غير مسئولين وآباء يعتقدون أنهم أقوى الناس أخلاقياً. ومن يدرك ماذا كانت الضفرط بقصد ذلك؟ فهناك بعض الفتيات البالغات ذات الحظ السيء يتركهن حمل ذلك العب سواء كان ولادة طفل أو التعرض لصداقة الأجهاص. ولوى شفتيه قائلة: «قد يكون لي بعض الأخطاء وقد لا يرضيك ذلك عنى. ولكنني لست الشخص الذى يستخدم ذلك ضدى».

حدقت فيه سيرينا وقد ملأتها الحيرة والأحساس بأنها تصدقه ولكنها لا تزيد ذلك. ولم يكن ذلك هو المهم في هذا الصدد. ولكن بصفتها عامة فإن آرائها في سين وينت وورث كانت تتحذى عن غير عمد شكلاً يقارب الأحسان. ولكن الشيء الغريب أن ذلك كان يحدث رغمها عنها.

غضبت شفتيها وقطبت جيئها ثم قالت بعد جهد: «لم يحدث.. لم يحدث ذلك لي. لم يكن ذلك سبب رجلي...» وصمتت فجأة ثم أندفعت قائلة: «لقد وعدت بالآتفعل ذلك.. لقد قلت..»

«لقد وعدت بانسى لن أفعل أي شيء بخصوص إعادتك أو أغناذ أي خطوات لذلك مثل عمل أي استفهام عنك» ثم تفرس فيها بهدوء وتتابع:

أطفال». وبهض وبيته سيرينا فقد بدا واضحًا أن المقابلة انتهت. وأنبه خو الباب بفتحه لها.

وبينا كانت نمر أمامة وضع يده على كتفها ثم سحب غصن الياسمين من شعرها وشمها. وسألها بلا مبالاة: «هل هناك غرض معين لوجود الياسمين في شعرك؟»

نصبست سيرينا. كان عليها أن تميل رأسها للخلف حتى تستطيع النظر إليه لأنها يقانع منقارين جداً. وقالت بافهاب: «لا».

دس الغصن في شعرها مرة أخرى وقال متندقاً: «أنت سريعة الغضب» وهز كتفيه قائلًا: «كل ما قصدته أن ذلك قد يكون لأجل عيد ميلاد نسيت أن تخبرتنا به أو أى شيء من هذا القبيل».

غضبت سيرينا شفتها وقالت: «أو.. لا... أنا.. كل ما في الأمر أنتي أحسست بأنني سعيدة عندما كنت أرتدي ملابسي».

«وها أنتا قد جعلتني تتضليلين» ومد يده يضبط غصن الياسمين في مكانه وقال: «أنا آسف» ومس أسفل ذقnya بأصابعه ثم تابع: «يبدو أنه يجب على أن أصلح من نفسي أنا الآخر. تصبحين على خير يا سيرينا. وأناأشكر لك تحملك كل هذه المتاعب مع ريتشارد وكاميرون. وأسف لكل الأزعاج الذي أضطررت لتحمله. إنها أثیران جداً لدى».

ووجدت سيرينا أنه من الصعب أن تخلد إلى النوم في هذه الليلة. فلم تستطع من نفسها من التفكير ملياً في حداتها مع سبن. كما يجب أن تعرف بأن الفضول يكاد يقتلها بخصوص هذه الأم الخامضة التي تركت ولديها في رعاية سبن. ولكنها لم تخجل أن تسأل أي أحد عنها.

غير أن السيدة دينبي هي التي روت ظمآن سيرينا بعد يومين ودون أن تأسأها. فسبب ما انقضت على المنزل في عاصفة من التنظيف النام. وكانت تتجول هنا وهناك في فلق وأرباك. كانت تبدو متورطة على غير عادتها فأقررت سيرينا في ذلك الصباح وهي تتألق في تنظيف بعض الزهريات اللامعة أصلًا. وتناولت سيرينا منها الزهريات فادتها إلى أحد

المقاعد في المطبخ. وطلبت منها أن تسرع ربياً تعد لها كوراً من الشاي. غاصت السيدة دينبي في المقعد وهي تقول: «هذا كرم عظيم منك يا عزيزتي لست أدرى كيف كنت أتصرف بدونك».

أبسمت سيرينا وقالت: «هل هناك شيء ما؟»

ردت السيدة دينبي بسرعة: «لا... لماذا؟»

«لقد قلت بتنظيف المكان بدقة متناهية رغم أنه كان نظيفاً أصلاً». لوت السيدة دينبي قسمات وجهها وتهدت فائلة: «أنا.. أظن هذا هو أسلوب لتخفيض توقي».

«لم أعرف أن لديك أى توقي. هل لك أن تخبريني؟» جلست سيرينا في مقابلتها وبدأت تصب الشاي.

ترددت السيدة دينبي ثم قالت: «أظن أنها ديلفين».

«ديلفين؟»

«السيدة أندرو وينت وورث رغم أنها تخلت عن هذا اللقب. إنها ستأنى خلال أسبوعين» «أوه... والدة التوأم؟ نعم... لقد أخبرني سبن؟» بدا على السيدة دينبي الأربياح وهي تسأل: «أفعل هذا؟»

سألتها سيرينا: «كيف تبدوا؟»

«إنها.. جميلة ولكن ربما يمكنني أن أحذررك يا سيرينا».

قالت سيرينا: «إذا كنت مستقلين ما أعتقد أنك مستقلين بخصوص ريتشارد فقد فعل سبن ذلك أيضًا».

«أوه. هذا طيب. من الأفضل لك أن تكوني على علم رغم أن سبن في العادة لا يجيب نشر مشاكلنا».

تمتنعت سيرينا: «من الطبيعي أن...» وأضافت وقد قطبت جيئها: «لابد أن يكون من غير المناسب أن تتركها يعيشان هنا».

تهدت السيدة دينبي مرة أخرى وقالت: «إنها قصة حزينة طويلة يا سيرينا. إن ديلفين تعلم واقصة. وهي بارعة جداً مما أعطاها سمعة

بعدت. ولكن هذه المرة لدى أحاسيس بأن سين لن يكون كذلك حسناً.
ربما تعرفين ما أقصده».

وافقت سيرينا في تعاطف ثم شعب لوبها قليلاً وأندفعت فائلة: «ولكن إذا كانت لديها تلك الموهبة...» ونوفقت ثم عاودت الكلام: «بعض الناس عندما تكون لديهم موهبة أو مهارة فلا يمكنهم تجااهلها مطلقاً. ونكون كأنها قوة بداخلهم لا يمكنهم التخلص منها. هي...» فاطعتها السيدة دينبي: «هذا حقيقي. يمكنك أن ترى ذلك في يديها وفي مشيتها حيوتها ونشاطها». وأضافت بابتسامة «كم أنت حكيم بالنسبة لستك يا سيرينا» ثم تابعت بحزن: «لوسو الحظ فمن الصعب بالنسبة لنا إلى حد ما أن تكون غير متوازنين بخصوص دبلفين».

سألت سيرينا بفضول: «هل يشبهها ريتشارد وكاميرون؟» «حسناً. إنه مزيج غريب إنها يشبهان أندرورو كثيراً. وإنه بشيء يعزق قلبي وأذهله يعزق قلب سين أيضاً أن كاميرون يهدّيوك أنه ورث طبيعة والده فهو رفيق مراع حقوق الآخرين ويسترق كثيراً في أحلام البفة». «وريشارد؟»

تناولت السيدة دينبي كوب الشاي وقالت: «ريشارد... عزيزى. إنه مزيج خالص من دبلفين وبين مع بعض الخصائص المتكررة إلى حد كبير. كأنه ديناميت كما قد تكوني لاحظت ذلك». ضحكت سيرينا وقالت: أنا لم أهنم كثيراً بالضفادع في فراش ولا بالفنان في أدراجى ولكنها تلك النظرة الواقعية الثاقبة التي ينظر لها من حين لآخر. أنت على حق... إن سين يفعل نفس الشئ».

وبنادلا الأبدان ثم بدا الجد على ملامح السيدة دينبي وقالت: «لقد اعتناد سين وأندرورو أن يكونا قريبين جداً» وصمتت برهة ثم أضافت: «أوه حسناً. شكرأ على إنصاتك يا سيرينا. أرجو ألا تكون قد أخبرتك بشيء كنت تفضلني الا تعرفيه. لكنني أشعر الآن بعض التحسن». مررور الوقت كانت سيرينا تراقب ريتشارد بعيني صفر. ولكن ماحدث

طيبة. لقد بدأت كرافصة باليه ثم تحولت إلى الرقص الحديث. وهي الآن الراقصة الأولى لفرقة مشهورة جداً. والإيجاز أقول لك أنها تزوجت أندرورو عندما كانت صغيرة وفقيرة. وفي البداية كانا غارقان في الحب ولكن بعد بضعة شهور كان يتشاجران مثل القط والفار. كان يريد أن يعيش هنا مثلاً كان فيها مرض من حياته بينما كانت تريد هي أن تعيش في سيدني وتستمر في الرقص. ولوسو الحظ فإن أندرورو لم يكن ملائماً لها رغم أنه كان رقيقاً كرجيق الأزهار». ومسحت السيدة دينبي بطرف مريلها دمعة سالت على خدها.

«ماذا حدث؟»

تأملت السيدة دينبي يديها ثم قالت أخيراً: «لقد أسلم. ولكنه بعد عامين تم طلاقها وعاد أندرورو مع التوأميين. وحتى بعد وفاته فقد كانت دبلفين راضية. باستمرار هذا الوضع. مع سين». وسألت في أسى: «ما... ما أبايك في أمراً كهذا؟» «والحق يقال... لم تجد سيرينا ما تقوله».

ولبلجة صادقة تابعت السيدة دينبي فائلة: « وبالطبع مع أسلوب حياتها فقد كان من الأفضل كثيراً أن تدعها هنا. وهي ثانية لرؤيتها من حين لآخر. ولكن...» توافت فجأة وهزت كفها. قالت سيرينا بتفكير عميق: «على ما أدرى فقد وصلا إلى من لا يقبلان فيه هذه الأشياء تماماً».

«إن كاميرون لا يزال يعتقد أنها رائعة. وقد اعتناد ريتشارد ذلك. ولكنه لا يتحدث عنها الآن. وما يختفظان في حجرة نومهما بصورة لها ذات إطار شخص. وهو يحبها عندما ترحل».

تهدت سيرينا وقالت: «لست أردى لماذا... أوه يا عزيزتي»... ثم أضافت: «هل يعرف سين ذلك؟».

«أجل. وهذا هو السبب كما ترين أنا بصفة عامة نبذل جهداً خاصاً لجعل الأمور عادلة بقدر الإمكان في وجودها. أقصد كما لو أن العلاقة لم

أن حذوها لم يمنعه من تنفيذ ما صمم عليه.
كان شهر مارس يوشك على الأنتهاء. وكانت الليالي تناصر بيتاً به
بعض الرياح الباردة. كانت سيرينا تفكّر في ذلك وهي عائنة مع
التأمين إلى المنزل بعد جولة على الحيوان في عصر أحد الأيام.
نظرت ل ساعتها وقالت: «يجب ألا ننبطأ با رفاق فسرعان ما يصل
الظلام».

قال ريتشارد بأسلوب سيد بحادث خادمه: «يمكنني أن أعرف طرقى
هنا وأنا معصوب العينين».

قال كامبرون: «هذا لأننا لستا بعيدين عن المنزل. أنا أعرف أيضاً
نم أوقف جواده قائلاً: أوه سيرينا. هل ترين هذا؟» وتوسل قائلاً: «هل
يمكنني مجرد التزول والقاء نظرة أقرب؟»

قال ريتشارد بضمير: « أنها ليست سوى سحلية عجوز منهاكـة. لا بد
أنك رأيت مئات منهم».

وتوسل كامبرون قائلاً: «أرجوك يا سيرينا». وترددت سيرينا: فبـها كانت هواية ريتشارد هي الأشياء الميكانيكية فقد
كان كامبرون مولعاً بأى نوع من الزواحف.

قال: «حسناً.. ولكن ثبـها إلى أنها مجرد نظرة سريعة» وشجعـته بأن
نزلـت عن جوادـها وقالـت: «إنـها أضـخم واحدة رأـيتها» ثم أضافـت في
تعجبـ وـما يـقـرـيان بـخـدرـ من الصـخـرـةـ التي تـرـقـدـ عـلـيـهاـ السـحـلـيـةـ: «ـأـنـظـرـ..ـ
كـيفـ تـنـفـخـ نـفـسـهاـ».

وـشـهـقـ كـامـبـرـونـ قـائـلاـ: «ـأـوهـ..ـهـيـهـ رـيـشـيـ»ـ.ـ
ولـكـهـ أـسـتـارـ هوـ وـسـيرـيناـ عـنـدـهـ سـعـاـ صـوتـ حـوـافـرـ فـرسـ يـعـدوـ
مـسـرـعاـ.ـ وـشـهـقاـ فـيـ فـرعـ عـنـدـهـ رـأـياـ رـيـتـشارـدـ بـخـنـقـيـ فـيـ سـحـابـةـ مـنـ الـغـارـ.
فـيـ عـكـسـ الـأـنـهـاءـ الـمـؤـدـيـ لـالـمـنـزـلـ.

سألـتـ سـيرـيناـ شـفـيقـهـ: «ـأـينـ..ـأـينـ هوـ ذـاهـبـ؟ـ»ـ

دـسـ كـامـبـرـونـ يـدـهـ فـيـ يـدـ سـيرـيناـ وـهـرـ يقولـ بـصـوتـ خـفـيـشـ: «ـلـيـسـ

مسـمـواـ لهـ أـنـ يـفـعـلـ ذـلـكـ.ـ يـجـبـ أـلـاـ يـتـمـدـ بـفـرـدـهـ.ـ سـوـفـ يـرـقـ نـفـسـهـ فـيـ
مشـكـلةـ كـبـيرـةـ»ـ.

التـنـفـطـ سـيرـيناـ نـفـساـ عـبـيـضاـ وـقـالـتـ: «ـكـامـبـرـونـ..ـ هـلـ يـرـفـ طـرـفـهـ
هـنـاكـ؟ـ»ـ

قالـ كـامـبـرـونـ فـيـ صـوتـ هـرـغـفـ: «ـلـيـسـ لـيـسـ فـيـ الـظـلـامـ.ـ سـوـفـ
يـجـلـدـهـ سـيـنـ بـسـبـبـ ذـلـكـ.ـ كـانـ يـجـبـ أـلـاـ تـنـقـفـ.ـ مـاـذـاـ سـفـلـ يـاـ سـيرـيناـ؟ـ»ـ

قـالـتـ بـصـوتـ رـزـينـ: «ـكـامـبـرـونـ.ـ الآـنـ يـجـبـ أـنـ تـعـدـنـ بـأـنـ تـفـعـلـ
بـالـفـيـضـ مـاـقـولـهـ لـكـ.ـ اـرـكـ»ـ وـأـمـتـنـيـ كـلـ مـنـهـ جـوـادـهـ وـسـلـكـ طـرـفـاـ
بـنـ مـحـمـوـعـةـ مـنـ التـلـالـ حـتـىـ أـصـبـحـ مـنـ الـمـعـكـنـ رـوـيـةـ الـمـنـزـلـ.

«ـوـالـآـنـ يـجـبـ أـنـ تـعـودـ إـلـىـ الـمـنـزـلـ مـبـاـشـرـ يـاـ كـامـبـرـونـ»ـ.

سـأـلـاـ كـامـبـرـونـ وـقـدـ إـمـتـلـأـتـ عـيـنـاهـ بـالـدـمـوعـ: «ـوـلـكـنـ مـاـذـاـ أـقـولـ لـيـنـ عـنـدـهـ
أـصـلـ إـلـىـ هـنـاكـ؟ـ»ـ قـالـتـ سـيرـيناـ بـصـوتـ مـهـدىـهـ: «ـفـقـطـ أـخـبـرـهـ أـنـ جـوـادـهـ
رـيـتـشارـدـ قـدـ أـجـلـلـ مـنـ شـءـ غـرـبـ وـقـدـ فـرـ بـهـ.ـ وـعـكـتـ أـنـ تـصـفـ لـهـ
الـمـكـانـ الـذـيـ كـتـاـبـهـ.ـ وـالـأـنـهـ الـذـيـ سـلـكـ رـيـتـشارـدـ.ـ هـلـ فـهـمـتـيـ؟ـ»ـ

أـوـمـاـ كـامـبـرـونـ يـارـفـاحـ.

تابـعـتـ سـيرـيناـ.ـ «ـوـالـآـنـ فـسـوـفـ يـجـلـ الـظـلـامـ عـاـ قـرـبـ.ـ وـلـذـلـكـ فـيـجـبـ
أـنـ تـخـبـرـ سـيـنـ أوـ السـيـدةـ دـبـيـ بـمـجـرـدـ وـصـولـكـ.ـ وـأـخـبـرـهـ بـأـنـيـ قـدـ أـنـظـلـتـ
فـيـ أـثـرـهـ.ـ أـنـاـ مـتـأـكـدـةـ إـلـىـ حدـ مـاـ بـأـنـ الـجـيـادـ سـتـرـعـ طـرـيـقـهـ لـلـمـنـزـلـ
وـلـذـلـكـ فـسـتـكـونـ بـخـيرـ»ـ وـدـمـسـتـ يـدـهـ فـيـ شـعـرـ الـأـشـفـرـ ثـمـ تـابـعـتـ: «ـعـلـىـ
أـنـيـ اـعـتـمـدـ عـلـيـكـ»ـ.

وـوـعـدـهـ كـامـبـرـونـ قـائـلاـ: «ـسـوـفـ اـنـطـلـقـ بـسـرـعـةـ الـرـيـحـ»ـ.

«ـحـسـنـاـ.ـ مـنـ الـأـفـضـلـ أـنـ تـسـرـ بـهـوـهـ فـتـحـنـ لـأـنـرـيدـ أـنـ تـفـقـدـ كـاـمـبـرـونـ.ـ
غـرـثـ»ـ.

وـفـعـلـ كـامـبـرـونـ مـثـلـاـ أـمـرـتـهـ.ـ وـإـسـتـارـدـ سـيرـيناـ بـجـوـادـهـ وـهـيـ لـأـنـدرـكـ إـلـيـاـ
لـأـسـتـطـعـ أـنـ تـعـاـمـلـ مـعـ الـحـيـوـلـ مـثـلـاـ يـفـعـلـ رـيـتـشارـدـ لـمـ تـدـركـ أـبـهاـ.ـ أـنـهـ
كـانـ.ـ قـدـ أـجـتـازـتـ مـنـ بـاصـطـبـلـ الـحـيـوـلـ جـوـلـاـ مـرـاـوـغـاـ كـلـ هـةـ فـيـ نـهاـيـةـ

تأكدت من ذلك بعد أكثر من نصف ساعة من السير الجاد. وتهاوت على الأرض وهي تقول بصوت باه: «لكنني لا يمكن أن أكون قد خوازت المنزل.. إلا إذا كنت قد غيرت إتجاهي تدريجياً دون أن أدرى لأنني لازلت أترنح من أثر السقطة.. يمكن أن أكون في أي مكان الآن».

جلست وقد وضعت رأسها بين ركبتها عما يقرب من حس دقائق محاولة أن تهدى من روع نفسها. همت في يأس: «فقط لو كان هناك فر». ولكن عندما إرتفعت ببصرها لم تر مجرد خيم. وتابعت تقول لنفسها: «إن الفم بمحب السماء» ثم قفزت عندما حدث لها شيئاً في نفس الحلة: أوطأ قطرة مطر كبيرة سقطت عليها. وثانية تذكرها أن المطر كان متوقعاً في نهاية اليوم. ففي هذه المنطقة تعد كل قطرة من مياه الأمطار شيئاً فنياً. ولذا فقد كان كل سكانها متبعين شرهين للنشرات الجوية الأذاعية. وقد أستمعت إلى سين وبيل بتحادثان في الصباح عن أحتمال سقوط الأمطار.

وخرجت أناها عندما سقط المزيد من المطر: «أوه.. لا.. لماذا الليلة؟ أقصد أني أعرف أنهم يريدون المطر. ولكن هل يجب أن يكون الليلة من بين كل الليالي؟»

كان المطر خفيناً ومتقطعاً في البداية. وتهدت بارتياح وحسبته سيكون رذاذاً عارضاً. وبهضت ودارت ببصرها فيما حولها بعثاً عن مكان مريح تجلس فيه وقدمت بضع خطوات لتدرك أن الأرض تحدُر فيها أمامها قليلاً. ووجدت أمامها صخرة ضخمة. تحسبنا بيتها وهي تدور حولها. ورأيت أنها يمكن أن تستند إليها حيث قد تجد بعض الحماية من المطر. وللأحتياط فقد دارت حولها وهي تقفر هنا وهناك وتغير قدميها على الأرض ثم قالت: «والآن لا يمكن أن يظل هناك ثعباناً يخترب نفسه» وتهاوت على الأرض متهاكلة.

وكأنما كان ذلك إشارة غير مرئية للسماء من فوقها. فبدون أي إنذار

اليوم أن يعود للمنزل ليتناول وجبة البرسيم التي كانت تنتظره في المساء. وأياه ما كان الامر فقد إشتراك مقاومته ببيها كانت أشعة الشمس تغرب في حرج رائعة وغريب عن البقعة التي يبدو أن ريتشارد قد اختفى فيها.

كان أحد حيوانات الكاباخارو هو الذي فجر الشارة للمعركة بين سيرينا وجواردها. فقد قفز من بين أشجار المولباس العالية. واجعل الجماد وتابعه فسقطت سيرينا على الأرض بكل جسدها وتمددت ذاهلة ثانية. كان أول ما اخطر بباما هو فكرة لا منطقية.

«أنت تستحقين ذلك يا سيرينا لأنك حرصت كاميرون على الكذب. هل يصدق سين أن حصانين قد أصاباه الفزع وفرا هاربين؟»

بهضت بيده ثم جلس فجأة وأدركت أنها لازالت تترفع من أثر سقطتها. نظرت حولها دون أيأمل في العون. وعندما شعب الضوء كان جمال الطبيعة حولها يجل عن الوصف. كانت سيمفونية من الألوان الوردية التي غطت الأرض الرملية. وغدت السماء القافية كان هناك جذع أبيض أجرد لإحدى الأشجار. وعندئذ بدأت الألوان تتبدل أمام بصرها كما لو كانت تنظر إلى صورة معكوسة للألوان. وبدأت الألوان الحقيقة تشعب عندما سار ضوء الشفق.

وفجأة إرتعد جسدها وبهضت بعزيمة قوية في هذه المرة. كان سيراً مولنا بكل ما في الكلمة من معنى. لم تكن تدرك كم تبعد عن المنزل ولكنها قدرت ذلك بعوالي ميل آخر على الأقل رغم أن جواردها لم يتقدم بها كثيراً. وسوف تكون عظوظة إذا استطاعت المودة قبل أن يحل الظلام تماماً. كانت بحاجة إلى الأصوات لترشدتها. وحيث المخطى عندما تذكرت ريتشارد. ريتشارد الذي يذكر الجميع بوالده المنوف. رغم اختلاف طبيعتها.

وغمضت بصوت عال: «أهي المبيب.. هل مسامعوني على الأطلاق إذا ما افتقدت ريتشارد» ولا تدرك سيرينا كيف خلت طريقها.

لدرك ولم تهم من يكون فقد كان في عقلها فكرة واحدة: «ريشارد يجب أن نجد رি�شارد».

وبدون أي كلمة أنتقطها متذمّراً وحلّها على كتبه. كانت لا تزال بدي بكلمات غير مترابطة بينها وصلّها إلى ما وراء مصدر هذا الضوء، وأنبّح أنه صادر عن سيارة لاتدر وفر كبيرة حيث وضعها بعناية في المقعد الخلفي. ثم صعد إلى السيارة وجاست يده في الظلّام قليلاً وأضاء صباح بطارية كهربائية قوية. ووجدت سيرينا نفسها تحملق في عيني سين وبنّت وورت الرمادية الباردة.

فقررت فهاراً وأغمضت عينيها في كلّ شديد. وتنمنت: «أنا أسفه جداً». وسقطت على الأطار الاحتياطي الموضع خلفها.

ولكن وقع يديه على كتبها جعل أحدهما تطرف.

هزّها بشدة وهو يقعدّها وقال: «إذن أنت تستطيعين اتناشك. كان يمكن أن تلقى حتفك بأيّ من طرق عديدة. فضلاً عن كل المشاكل التي وضعنا فيها والتي لم تنته بعد».

حدقت بفزع في أحد الأعصاب المتورّة بفكه واستسّت: «الم تعثروا عليه؟».

عندئذ أرغم وأزيد. وأجلّلت عندما غرس أصابعه في كتبها قائلاً بشراسة: «ريشارد. لقد وصل إلى المنزل سالماً بعد حلول الظلام بقليل لأنّه كان لديه فهماً سليماً فالتصق بجواره وتركه يتخذ طريقه إلى المنزل».

احست سيرينا بإرثاً منعها من الكلام مما أثار لسان الفرضة أن يتابع قائلاً في صوت أجيشه: «ببيا أنت... الواقفة الجديدة إلى روزروود... لم توقفي بخدر التفكير في أن لديك أقل فرصة للعنور عليه».

قالت سيرينا بوضوحه من التحدّي: أنا كنت سادع جوادى يتخذ طريقه للمنزل بعد بعض البحث بالمنطقة. أنا لست بهذا الغباء. فقط...»

سابق أختفت كل قطرات الماء وفتحت الساء أبواباً ليهمر المطر على رأس سيرينا فيها يشبه مسلاً متصلّاً من الماء.

لم يكن هناك ما يمكنها عمله غير أنها جلست الفرصة. ولم يقف الأمر عند تشرّبها بالماء بل وتشبّعت الأرض من تحتها بالماء تماماً.

ولم تدرك ماضي عليها من الوقت. ولكن أخيراً غول المطر إلى رذاذ متقطّع بعد فترة بدت كأنها ساعات طويلة. وأستطاعت أن تقف كانت شيئاً مشياً بالماء. ووجدت أنها تقف وسط سهل من الماء يغطي فدمها حتى الكعبين. وتغير القمر هذه اللحظة لينبع من خلف الغمام ويكشف ما حقيقة أكثر رجعاً. كان سيل المياه يتسع أمام ناظرها. شهقت في رعب حقيقي لدى هذه الورطة. كانت السبّول تتلوى وهي تتدفع خلال مجرى جاف لا واحد من روافد الأنهار القديمة. ولكن المجرى لم يعد الآن جافاً على الأطلاق.

مضت الدقائق التالية كأنها كابوس. وفي كل خطوة خطّوها كانت تراجع خطوطين إلى الوراء حيث كانت دوامات المياه تطبق على قدمها. وأنزلقت قدمها وكان عليها أن تشق طريقها بأظافرها إلى جرف صغير سرعان ما غمرته المياه هو الآخر. وتراءى أمامها ضوء فطنته لأول وهلة أن القمر قد دار حرفاً بطريقة ما أو أنها قد فقدت إدراكها للاتجاهات مرة أخرى.

وعندئذ وبها كانت تتنّ وتشبّب أظافرها بقوّة في أي شيء تصل إليه يداها أدركت أنه لم يكن هناك قرب قبل ضوء كشاف باهر.

صرخت: «أوه. الحمد لله». وسقطت على الأرض ولم تهم بالنهوض. بل أخذت تتدفع حبواً على يديها وقدّمتها. فلا بد أن وراء هذا الضوء مائناً وسيارة قوية ومن يساعدها إذا أستطاعوا رؤيتها.

صاحت: «التجدة.. أوه.. أرجوك لا تبتعد.. أنا هنا.. أوه. شكراً للسّاء» وتراءى أمامها شبح غامض. هبّت بصعوبة وأضطراب وافتقت نفسها بين ذراعي ذلك الشّيخ الذي كان يرتدي معطفاً واقياً من المطر. لم

المهيني. وفتشت في كبح دموعها أو أهتزازات كتفها المؤلمة والتي دفعت جسدها، عندما أستغرقت في سيرتها - إلى صدره فقصه الرطب.

وأخيراً قال في حسم: «هبة» ورفقاً عن صدره ونظرها مبتداً وقال: «هذا يكفي... إنك تبدين كارت بغيق على أيام حال. ولكن هذا سبز من سوء الأمور ليس إلا».

كجعت سيرينا دموعها وأستدارت بعيداً عنه في أضطراب شديد. ولكن عندما سمعته يضحك هاماً شدت على قصبتها وشحدت كل مانملك من إرادة لتنعيد بعضاً من رباطة جأشها. وأخيراً هدا نشيجها البريج وأستطاعت أن تستدير له لنجد أنه كان يتأملها وفي عينيه بعض من بريق ساخر وكأنه كان يذكر واقعة أخرى عندما أندفعتها بینا كانت مبتلة ومنسخة وقد لطخها الوحل.

خفشت سيرينا بصرها تتأمل نفسها وتهتد في غضب ثم جذب متبدلاً مبتلاً من جيبها وتغمضت. وقالت بعض اللا مبالاة: «أنا أكرهك. أنا أعرف ما تفكير فيه. وما يجريني هو لماذا لا بد وأن تكون أنك داعماً؟ لماذا لم يتمكن بيل من العثور على اللبلة؟»

قال بهدوء: «كان ذلك سيؤخر فقط من اللوم. ويعناسب الحديث عن بيل فقد حان الوقت لأعرفه أنك سليمة وبخير. إنه بالمنزل ينسق عملية البحث».

كان ذلك يوم من خلال جهاز لاسلكي موجود باللاندروفر. ورغم أن سيرينا كانت قد فررت إلا نحو مجرد النظر خديهمها مرة أخرى فإنها لم تستطع من نفسها عند سماعها المخادعة التي أجرأها. مع بيل. وعندما أتى المكالمة كانت تعلق فيه وقد فترت فيها.

وسألته في إرباب: «طوال الليل؟ هل تقصد أنها سبفي هنا طول الليل؟»

رد ساخراً: لا أدرى سبباً يدفعك بهذه الدهشة. لقد غرفت تماماً في

قال باستخفاف: «فقط لم تستطعي البقاء فوقه».

إنعدم لسانها ثم أستطاعت أن ترد بحراقة: «لم يكن ذلك خطئي. إنه أغبي جواد ركبته وأنا الالاحظ أنت لا تركب جواداً هرماً أحقاً عبداً ليس في رأسه سوى التهام غذاءه» كانت تشير إلى الجواد الأسود الجميل الخصوص لاستخدامه وحده.

قال بللهجة باردة: «هذا خارج الموضوع». وهزها بعنف فائلة: «ولكى يزداد سوء الأمور قيداً من أن نمكى حيث كان يمكننا العثور عليك منذ ساعات فقد سرت أميال لعينة في هذا الوابل اللعين من الأمطار لتصلى إلى بحرى ذلك البر».

قالت بتعلمت: «أنا لم... أمش عن فصد إلى هذا المكان. ولكن كان لابد أن أصاب بالدوار بعد ما سقطت. ولا...» أندفعت رأسها للخلف بشدة فتوسلت فائلة: «أنت تؤلمني».

توقف بين عن هزها وحدق فيها وهو يقول بللهجة جافة: «إن ذلك هو ما تحتاجينه. ولو كان لدى أي إدراك سليم لوضعتك فوق ركبتي وظللت أضربك حتى أتحقق أتفاصلك المتقدة غيرد أن أعلمك التوقف والتفكير قبل الاندفاع إلى مثل تلك الأعمال الطائنة التي يبدو أنك أدمنتها.. هل تدركين أنك كان يمكن أن تعرفي فضلاً عن أشياء كبيرة ترى. أليس كذلك يا سيرينا؟»

ارتفاعت شفاتها وقالت: «أنا... أجل» وكشككت الدموع التي ملأت عينيها وهي تقول: «أنا آسفة جداً: كل مافكرت فيه هو العنبر عليه. لاشيء غير ذلك».

أخذ نفساً عميقاً وبدا أن بعض التوتر بدا يزول عنه. ثم غمض متبعجاً عندما لم تستطع كمان الشنجات التي ملأت حلتها. وبدأت تتعجب جدياً فجذبها بين ذراعيه وقال بللهجة رقيقة: «حسناً.. لقد أنتهى الأمر الآن يا صغرينى».

ولكن يبدو أنه لم ينته بالنسبة لسيرينا حيث أتايها ما يشبه الأنفعال

زريدى أن أبدل ملابسي فيمكنت الخروج في المطر مرة أخرى». ثم
ال抗拒ت قائلة: «هل أنت متاكد أنها يجب أن تحيط هنا طوال الليل؟».
قال في هدوء خطر: «سirينا، سوف أشرح لك الأمر مرة أخرى، إن
هذا ريف متقلب الظروف إليها متاهة من الفتواف ومحاري الأنهار وهي
ملائكة بالحفر والصخور وجذوع الأشجار، وحتى في ضوء النهار الساطع فلن
يكون أمراً سهلاً أن نعود للبيت، والآن هل ستخلعن هذه الملابس المبتلة
أم التي يجب أن...؟»

نعمت: «لست أدرى ما الذي أوصلنا لذلك؟»

لم تكن متاكدة تماماً مما دفعها لقول ذلك، ولكن بدأ هناك شيء غير
عادى طرأ على حارسها إزاء ذلك، كان تأثير كلماتها غير متوقع، غعم
من بشيء غامض وجذبها نحوه حتى صارت نصف جالة ونصف
راكمة أمامه، وقال بغضب: «إذا كنت تخيلين أننى قد رأيت كل ذلك
لأشد عث فاطردى هذه الفكرة، وإذا لم تكوني تذكرين فلقد أوليت
ظهرى لفرصة ذهيبة لعمل ذلك من قبل، وإذا كان هو مجرد العناد
لدعى أبين لك مرة أخرى ذاك الأنر الضئيل الذى تركه مفانكت
الصيامية الفجة على».

شهقت قائلة: «لا» وأستدارت بعيداً وهى تحاول دفع يديه التي
بدأت تغلق أزرار بلوزتها، وصرخت فى كلمات غير متراقبة: «لاتفعل..
كيف تعرف؟».

قال بهدوء: «سوف أخبرك لماذا أجرؤ» وأخذ ينزع بلوزتها وصديرية
لديها بخطف رغم مقاومتها اللاهنة بينما حاولت باستماتة أن تستر نفسها.
وقال: «لأنى أقوى منك، ولأن أمراض الرئة هي آخر ما تحتاجه ولأنى
لا أبابلى اطلاقاً عيالتك العذرى المتهن، هيا» ناوها منشفة قاتلاً بلهجته
أمره: «استخدمها» وسرعان ما تناولتها وأخذت تلف نفسها فيها.

أغمضت سيرينا عينها بينما راحت تناهياً موجات من البرودة والحرارة.

مجرى أحد الأنهار ويوجد الآن ببر قد يكون أكثر عمماً يفصلنا عن المنزل.
وخلاصة القول أنا الآن محاصرون».

قالت في تعلم: «ولكن... ولكن هذه لاندر وفر».

هز كفيه قاتلاً: «بالضبط، فلا يمكننى أن أثبت لها أجنحة ولا أجعلها
تطفو، ولذلك فليس لدينا خيار، ويعجب أن نلزم هذا المكان المرتفع من
الأرض حتى الصباح، وإذا لم تهدأ السبou حتى ذلك الحين فيمكتم
إنفاذنا بالطبلوكوبتر، لكنى لا أعتقد أنه ستكون هناك ضرورة لذلك.
فحسب المعلومات التى حصل عليها بيل فإن هذا المكان إيهار محدود
للמטר، وإذا لم يحدث مزيد من المطر فى الأرضى المرتفعة فإن الأرض
ستشرب المياه مثل ورقة نشاف... أعتقد أنه قد حان الوقت لتخلصى من
هذه الملابس المبتلة، أنت غلبين فى بركة مياه».

ردت سيرينا: «شكراً لك.. ولكن سابق فهم».

قال فى صوت متزن: «لا... لن نفعل ذلك»، وما لتجاهها قاتلاً:
«عندما تصفو السماء من السحب فسوف يزداد البرد، أنت تنادين البرد
كى يصيبك».

«أنت تبدو فجأة شديدة المراعة للآخرين، ولكن بصرف النظر عن
أى شيء آخر فليس لدى ملابس أخرى أرقدها...»
«أوه، فهم... لديك» وعند يده إلى المقدى الأمامى وتناول سله

مصنوعة من أغصان صغيرة جافة مجدهلة وقال: «لقد وضعت السيدة
ديسى بعض مؤن الطوارئ» وأخرج زجاجة ترموس وإناء بلاستكين ثم
قال: «ها هي بعض الملابس الجافة لك وأيضاً منشفة» ورمى بسروراً
جيزة نظيف وفيص من الصوف الناعم.

ونظرت سيرينا إلى الملابس ثم أرجعت بصيرها إليه وقد أكتسى وجهها
بعصير معاند، وقالت: «لن أبدل ملابسي وأنت تحبس هكذا».

لوى شفته قاتلاً: «لن أرى».

قالت بحرارة: «أنت على حق، فلن يكون هناك ما يمكن رؤيته، إذا كنت

«أو...».

قالت بصوت خفيض: «أنا آسفة لما سبته من إزعاج. ولا أريدك أن تلتفت أجدك فضلك في انقاذه». .

لاح الضحك في عينيه الخضراء الرمادية ولكنه قال في صوت رزين: «شكراً لك» وزرع غطاء الصندوق ليكشف عن ذجاجة مثوية باردة ذهبية اللون، وبعوض أرغفة مقنطة بالزبد وثلاثة شطائر من فطير محلى بنمار التفاح ودعاعها قائلة: «التهمني».

ترددت سيرينا واصلت ثني المنشفة إلى طيات أصفر. «الآن يجب الا تؤثر نوبات الندم هذه في شهبتك» وناوتها فخذ ذجاجة، حلقت فيه ثم رفعت عينيها إلى عينيه.. وفجأة.. أبسمت في وجہ وقالت: «أنا جائعة.. جائعة جداً».

بعد برهة فضيرة كانت سيرينا تلعق أصابعها بدون خجل. وقالت بلهجة حالية: «لقد كان رائعًا. هل أنت متتأكد أنك لا تشتهي هذه القطعة الأخيرة من فطير التفاح؟» فلك سين الترمومي وهو يقول: «متتأكد تماماً.. أظن أنك بحاجة بعض القهوة».

أومأت برأسها وبدأت تستعد بيها سحب دورقاً زجاجياً من الصندوق البلاستيك وسكب كمَا وافرًا من عبوتياته في فنجان القهوة البلاستيك الذي قدمه لها. وأ Jarvis على نظرها المسائلة قائلة: «براندي.. قد يساعدك على النوم».

جعدت أنفها عندما أرتشفت الشراب الدافئ في استغراق. وقالت بابتسامة متوهجة: «إنه قوي إلى حد ما ولكنها أخذت رشقة أخرى. واسترخت في مقعدها وقالت: «هل تعرف ما أشعر به».

«لا... ماذا». ومدد ساقيه الطويلتين وأستند على ذراع مقعده. كان قد أطفأً البطارية ذات الضوء الشديد وأشعل مصباحاً غازياً صغيراً يندلي من سقف السيارة مصدر ضوءاً خافتًا دافعاً على أرضية السيارة بيها

وأخذت تخفف جسدها على غور محموم وقد أندفعت وجهها بالأربatak.

قالت: «حسناً» ثم نزع المنشفة من بين أصابعها ونواها البلوزة التي أندفعت بداخلها وراح تغلق أزوارها كيماً أتفق.

قال بلهمجة آمرة: «توقف» وزرع أصابعها المربكة المزعجة في ضجر وأغلق كل الأزرار على غير صحيح من أسفل البلوزة حتى عنقها. وقال: «فدي يمكنك عملباقي طالما أنك تعرفي شيئاً ما قبل أن تقدم خطورة واحدة».

أنسعت عيناهما في حذر بياً أمثلت عيناه بنظره باردة وفابع قائلة: «وهو أنت ليس لدى أية تيه لاغتصابك أو التغير بك بأى طريقة باسيرينا».

«أنا... حسناً» وعبس وجهها ورفضت موصلة الكلام. ثم أندفعت فائلة: «ولكتش لازلت أكرهك». أتبسطت غياعيد وجهه. ولكن وافتها قائلة: «أنا أعرف. ولكن ربما يكون من الأفضل أن تشرى بالكراءية تجاهي بدلاً من أن تفقدى صوابك من الفزع» ثم تابع «هل تصدقى. أعتقد أن المطر توقف» وصمت وأرھها السمع. وفعلاً كان المطر قد توقف فقال: «سوف أنزل وأتجول فيا حولنا حتى تقومى بالباقي».

سارعت سيرينا إلى تنفيذ ذلك بمجرد أن أطل برأسه إلى الظلام ثم فقر من السيارة. أكملت أرتداء ملابسها بسرعة وأسخدمت الملابس المبللة لتنظيف بركة المياة من أرضية السيارة قدر ما أستطيعت. وبدأت تفرك شعرها عندما فقر مين إلى داخل السيارة مرة أخرى.

التفت عيونها في نظرة خاطفة ولكنها صرفت بصرها بسرعة وأتمت في تجفيف شعرها. وومنضت أبتسامة على شفتيه ولكنه قال: «جوعانة؟» ومد يده إلى الصندوق البلاستيك.

واصلت سيرينا حل شعرها قليلاً ثم طرت المنشفة بعنابة شديدة وقالت: «سين؟»

اللهاك في نفس الوقت. قالت في أنس «آه يا عزيزى.. هل نظن أننى قد سكرت».

أهترت شفتها ثم أ Gundل في جلسته وفتح صندوقاً طويلاً أخرج منه لفة غلبيطة من الخيال، وبعض الأدوات وأخيراً حشيشة فراش ملتوية فقطناً وأيضاً بعض البطاطين ووساداتهن يغطّيها قاش ذا لون أبيض ورمادي. وأعاد الخيال والأدوات كما كانت ثم قال أخيراً: «ربما تكونين على استعداد للنوم».

قال سيرينا: «في الواقع أنا لا أمانع في جرعة أخرى» وأخذت زرافه وهو يربط الفراشين . ودست قدمها تحت فراشها على خو غير ملام وقالت: «إنه هرير جداً».

«أنا أتصحّل بذلك. يمكن أن تحدث لك أشياء غريبة وأنت فاقدة الوعي بفعل الشراب. وقد تجدي أنك تتعادى في كراهيتي». وتناول فنجانها الفارغ من بين أصابعها وقال: «جريبي ذلك.. أرقدى فوق الفراش. فيكون أكثر ليناً. ولدينا بطارتين لكل منا».

رفدت سيرينا في أمننان حيث أحست فجأة برغبة شديدة في النوم. وغمضت بصوت غير واضح بینا كان يقطنها بالبطاطين. وتناءبت وقالت: هل تعرف .. كأنك أحضرت متلاً من المنزل. أنا متأكدة أنت كان يمكن أن أحبك لو لم تلتقي في مثل هذه الظروف المزعجة. أنت شخص جدير بالثقة وأنت شريف جداً. وهو ما يعجبني في الناس. حسناً .. لكنش ماعدا هذه المرة فلا أجدني أستطيع الوثيق بك».

ولم تكمل تعليقاها إلا متربطة الناعسة. وراحت في سبات عميق وقد
تمسكت أحدي يديها.

أطال سين النظر إليها وقد رفع إحدى حاجبيه متباكاً. ثم أحكم حوثاً
البطاطين ورقد هو الآخر قائلاً: «أحلام سعيدة.. يا طفلتي العينة». أستيقظت سر بنا بطعم.

بين خلال فرحة في سقف الزيارة رأت أن ضوء النهار يعم المكان ولكنها

ألفي بطلال على أركانها.

ردت سيرينا: «أنا أحب هذه القيمة من العالم».

بدا لطيفاً وساخراً وهو يقول: «أنا .. سعيد بأن أسمعك تقولين ذلك». تماهلت سيرينا السخرية وأرتشفت جرعة أخرى من فوهها وقالت: «نعم أنا أفعلـ إنه يعلمـنى أشعرـ لست أدرىـ كـا لو كـنت أـستكـشف قـلب أـسترـالـياـ ورـغم أـنـا نـعيـش فـي مـنزـل فـيـانـتـي أـشعـر كـاثـناـ فـي رـحلـة صـبـيدـ وـأـنـ كـل بـوم لـه إـثـارـة خـاصـةـ أـفـرغـت فـنجـانـها فـي فـهـا وـنـاوـلـه لـه يـعلـمـهـ مـرـة أـخـرىـ وهـي تـقـولـ: «ـهـل شـعـرـ بـذـلـكـ؟ـ»ـ وـدـونـ أـنـ تـنـتـظـرـ أـجـابـتـ تـابـعـتـ قـاتـلـةـ: أـنـتـ تـقـرأـ عـنـ كـوـبـرـ جـريـكـ، وـدـيـامـتـيـنـاـ، وـأـنـهـارـ جـورـجيـنـاـ، وـالـأـبـارـ الـأـرـقـواـزـيـةـ الـضـخـمـةـ، وـأـشـجـارـ الـمـوـلـحـاسـ، وـطـبـورـ الـأـمـوـ، وـمـيـتـشـيلـ الـمـظـيمـ»ـ وـطـرـقـتـ عـيـنـهاـ عـنـدـمـاـ أـضـافـ بـعـضـ الـبـرـانـدـىـ إـلـىـ فـنجـانـهاـ مـرـةـ أـخـرىـ وـلـكـهـاـ لـمـ تـعـرـضـ وـوـاـصـلـتـ كـلـامـهـاـ قـاتـلـةـ: «ـوـبـنـاؤـاتـ الـكـكـوـهـ..ـ»ـ وـشـكـرـتـهـ وهـيـ تـنـاـوـلـ الـفـنـجـانـ وـأـرـشـفـتـ بـعـضـ جـرـعـاتـ فـيـ تـأـمـلـ ثـمـ تـابـعـتـ: «ـوـلـكـنـ فـيـ الـوـاقـعـ فـيـانـ الـوـجـودـ هـنـاـ أـكـثـرـ سـحـراـ»ـ.

قال بصوت هادئ: «عن قريبين جداً من جنوب ديامنتينا. إن هری لورجو والبارو هما اللذان يغذيان هذه المنطقة من كوبنيلاد».

رفعت سرينا يدها معتبرة وقالت: «في الواقع أنا لا أبالى بذلك. فكلها أرض جبلية بكل ما في الكلمة من معنى. هل لديك نفس الأحسان؟ أم أنت قد تعودت عليه لأنك عشت هنا طوال حياتك؟»

قال سين بيطره: «ليس تماماً» كانت عيناه تمسحان وجهها الذاهل وهو ينبع بالحياة في الضوء الخافت.

«هذا طيب .. هل تعلم أنتى كنت دائماً أثوق لرؤبة هذه البقعة من العالم . وفي الواقع فانا أرى كل ما هو غريب في أستراليا مثل طريق بيردز فايل ، والتلابور حين تبدو كبساط من الزهور الخلاية وكذلك بحيرة أير وغير ذلك من الأماكن الكثيرة». وغمرت فنجانها وحدقت ذاهلة في سقف السيارة كما لو كانت تخيل كل تلك المشاهد . وناءت وأصابا

طلت راقدة. وعندئذ بدأ عقلها يدرك وضعها الغريب وهي ترقد في أطمئنان بين ذراعي خدومها.

هبت على عجل ولم تستطع كبح أنه خرجت من أعماقها.

ونهض سين نفسه وهو يدفع شعره عن جبهة وухد الظلال الزرقاء على جانب فكيه قائلاً: «ماذا حدث؟ ما الأمر؟ لا تشعرين أنك بخير؟». واحتدلت نظرته عندما رأى غضب وجهها. قالت في هجاء: «أنا بخير».

«لماذا الناوه إذن؟ أوه» ويدرت منه إيسامة مفهضة وقال: «لقد كان ذلك مجرد حسن أخوي لتدفئة كل منا. يمكنني أن أؤكد لك ذلك. وبعد ما قلته بالأمس ظنت أنك لن تالي بهذا».

غضبت سيرينا شفتها وحاولت تذكر ما قالته بالأمس. وتذكرت على نحو غامٍ أنها قد أخبرته بأنها تدق فيه. وتذكرت أيضاً أن البرد قد أشتدت أثناء الليل وأنها قد تبعته وأرتعفت وأنها بالفعل سقطت يدها.. أندفعت فائلة: «لم يكن ذلك. وإذا كان لك أن تعلم فإتنى أشعر كما لو كنت متصلة كليح خشبي».

«حسناً... أنا أكره أن يكون الأحساس بالشيء السيء مثل الأحسان بالشيء الطيب» وهز كفيه قائلاً: «ولكن هذا ليس مفاجئاً. ربما يجب أن تحصلى على بعض التدريب قبل أن تعودي البلاد على قدميك بعد أن تسقطى من على جواحك في المرة القادمة».

الزمعها كلماته الصمت النام رغم أنها سددت نحوه نظرة بارقة. وعندما أتر لها من اللاندرور وأشار إلى أحجره قريبة من الشجيرات ذهب غضباً لدى ما رأته. لقد وقفت عيناها على مشهد متألق في صفاء اللامس. كانت الأرض لازفال مبللة ولكن كانت السماء وأشجار الموجاس وأشجار السنط ذات القمم المتساوية تبرز في صفاء زاهي مذهل ووسط الهواء البارد للصيف المبكر.

النقطت نفساً عميقاً لدى هذا الجمال الذي فوجئت به. قالت في

ذهول: «أنا لا أستطيع تصديق ذلك. في الليلة الماضية كنت متاكدة أني سأغرق. إين ذهبت كل هذه المياه؟»

«أنا أخبرك. إنها تشرب أكثر بكثير مما نروها به». ثم أضاف: «يمكنتنا العودة إلى المنزل دون إنتظار من ينقذنا».

ورغم ذلك فقد كان سيرينا بالسيارة صعباً في هذه الظروف التي تسبّب فيها كل شيء بالماء. وقد ندرت كلماتها خلال رحلة العودة للمنزل حيث رکز سين على قيادة السيارة بينما أخذت سيرينا تحدق مبهجة في الجمال البيطريها.

ولكن عندما أقربا من المنزل توقفت عن التحدث بإنبهار فيها حوطها. وخطر لها هاجس أن سين لم يكن مزاجه على ما يرام. «دفعها ذلك للأحسان بالذنب لما سببته من إزعاج. وحاولت الأعتذار مرة أخرى لكنه أوقفها بإشارة حادة من يده. وقال: «لاتزعجي بخصوص ذلك. ولكن هناك شيء واحد. ما الذي دفع جواد ريتشارد للفرار؟»

مضفت سيرينا شفتها. وقالت: «لقد كان... حيوان كاغارو». أدار رأسه تجاهها وثبتت عيناه على عينها في بدا كأنه دهر. وعندما صرف بصره أخيراً إلى الناظر الطبيعية التي كانا يملاها بهما أحسست بقلبي يخفق في قلق.

«أنا أقدر أنك تحاولين التغطية على ريتشارد. ولكنى سأدرك أكثر عندما لا تجديه شيئاً سهلاً إلى هذا الحد أن تقولي أكاذيب». ردت سيرينا بسرعة: «لم يحدث أطلاقاً أن وجدت من السهل أن أقول أكاذيب» ثم تبسمت خلسة وأضافت في حذر: «وعلى أيّة حال فكيف عرفت أنني أكاذب».

قال لي كاميرون أنه كان ثعبانياً وقال ريتشارد أنه جواناً. وأضاف بوجه الحال من التعبير: «لابد أن فرد ما يكذب».

فكرت سيرينا قليلاً ثم قالت ببطء: «هناك أكاذيب. ولم أكن أود الدخول في مصيدة كهذه لكنني أظن أنك ستدعوني أعالجه هذا الأمر

وعدته قائلة: «سأفعل». وأستراحت عندما عرفت أن تغير مزاج سين
كان بسبب ريتشارد أكثر من كونه بسيها. وقد يكون أيضاً بسبب زوجة أخيه
الشاردة التي ستعود عما قريب.

التزمت الصمت طوال المسافة الباقيه من الرحلة وهي تحاول تخيل صورة
ديلفين وتحجبت.. كيف تكون معاملة سين ها ردأ على معاملتها له ولولاده
أخيه. وبالطبع كان ذلك سراً وrogm هذا ..

سألها سين: «هذا بك؟»

أفاقت سيرينا من غنيلاتها وحذلت فيه قائلة: «لا شيء».

وهر كفيفه قائلة: «لقد أرتعد جسدك بل ويدا عليك الفلق الشديد».
تلعثمت سيرينا وهي تقول: «أنا... أنا كت... حسناً، أنا لا أحب
أن أقول لك كذبة أخرى في هذا الوقت المبكر من الصباح. ولكنني
لا أظن أنني يمكن أن أخبرك بالحقيقة لأنه في الواقع شيء لا يخصني
ولذلك...».

رفع سين عينيه بإتجاه السماء وفاطعها بلهجة جافة: «لابأس، ها قد
وصلنا للمنزل». وتوقف باللاندروفر بجوار سور الحديقة. وقال بإقتضاب:
«إنزل».

«لن أموت. هناك بعض الأمور التي أريد الأطمئنان عليها أولاً. هل
تفعلين ما يقال لك لمرة واحدة يا سيرينا».

وفعلت في صمت مؤمِّنَةً بـ تر أنسانه نصر في غضب قبل أن ينطلق
باللاندروفر مسرعاً مديرًا إطاراتها بشدة في الطمى.

بأسليبي الخاص. لقد كذبت عليك لتأكدى أن ريتشارد يتنظر مني أن
أحيه. فهل هذه الكذبة البسيطة ينبغي ذكرها؟»

«سيرينا. طلما أن الأمر يمس ريتشارد. فأنا أفضل أن يكون له ثقة
عيادة فيك. وفي الواقع فهذا أمر».

قالت في إنفعال: «إن جلدك لن يفيد في حل المشكلة».

فقط جبئنه متسائلاً: «من قال أنتي كنت ساجده؟»
«كا...» وتوقفت سريعاً ثم عادت الكلام قائلة: «لقد هددت منذ
ليلة واحدة فقط بأن تسحق أنفاسى».

«هذا لأنك كبيرة إلى حد يكفى لأن تدركى الأمور بصورة أفضل.
أو هكذا ينبغي» وفجرت نفسها عندما قال بلهجة آمرة: «والآن أنتى لي
قبل أن تأخذك الحماسة وتدفعنى لتقولى لي مرة أخرى بأنك تكرهيني.
فأنا أقدر أنك فعلت ما فعلت بداع من أفضل نواياك. وأنا أيضاً أقدر
محاولتك أكساب ثقة ريتشارد. ولن أفعل أي شيء يعطى ذلك بلا داع.
ولكننى أريد أن أكون على علم دائم بما يحدث».

أشعرت سيرينا للهجهة التي قال بها ذلك ولكنها كانت صامتة.
وناداها: «سيرينا؟»

التنقطت أنفاسها ثم قالت في امتعاض: «حسناً. ماذا مستعمل بخصوص
ليلة أمس؟ إنه.. هل تذكر كيف أنتي لم أدعه يشاهدكم وهو يعودون
المليوكوبز للانطلاق؟ حسناً، بالأمس أراد كاميرون أن يتوقف وبلقي نظرة
على محلية هرمة. ربما رأى ريتشارد ذلك على أنه عدم مساواة ولذلك...
ولذلك انطلق بفرسه. وببدأ الظلام بجل تدريجياً. وقد كان جوادى هو الذى
أسقطنى بسبب حيوان كاغوار وأنطلق هارباً. ولكننى متأكدة أنه كان لديه
دافع آخر».

«حسناً. أنا أفهم. لن أفعل شيئاً هذه المرة. وعلى أية حال فقد أصبه
رعب شديد عندما عرف بأنك ضد ضلل طريقك. ولذلك فسندعها تمر هذه
المرة. ولكن يجب أن تنتبهي جيداً نحوه ريتشارد يا سيرينا».



الفصل الرابع

(أمرك يا والدى)

ما أثابا أشمتاز سيرينا أن السيدة دينبي أصرت على معاملتها طوال اليوم على أنها مريضة.

أعترضت سيرينا قائلة: «ولكنني بغير» كانت السيدة قد أمرتها بأخذ حام دافئ أضافت له بنفسها مزيجاً غامضاً من المساحيق.

قالت السيدة دينبي: «إذا كنت بغير فلماذا توقفين هكذا للتفكير قبل إخاذ خطوة؟ والآن أفعل بالضبط ما أقوله لك يا سيرينا» ثم هددتها قائلة: «وإلا فإني سأستدعى سين للتعامل معك».

ولكن بمجرد أن تمددت في حوض الاستحمام وجدت أفكارها تسير في منططف غير متوقع.. وتساءلت هل لي ذلك الجسد الصبياني الفرج؟ أم أنه يقصد... الجلو العام الخيط بين؟

وعندما خطت أخيراً خارج حوض الاستحمام توقفت وهي تحفف جسدها، وأخذت تتأمله في المرأة بعيون ناقدة. لم يكن فاتناً ولكنه رفيق.

وقالت متأملة: «لقد قال ذات مرة شيئاً عن جسد صغير جميل. فلابد أنه جسدي. أثراه ذلك أم أنه يفضل نسائه أطول وأكثر إمتلاء... ربما...»

وقفت غارقة في أفكارها برهة من الوقت ثم أغبضت عينيها عندما أعتبرها أحاسيس غريب بالأرتياك. كان إحساساً غريباً ولكنه كان أيضاً مألوفاً على خواص غريب. وفجأة أسرعت بارتداء ملابسها وقد توردت ورحتها.

كان ريتشارد كاميرون يصران مما الآخران على صحيتها كلما سمعت لها دينبي. كانا يقumen لها بعض المهام البسيطة ببابا استرخت هي في فراشها. بل وأبدى ريتشارد أستعداده أن يقرأ لها قصة.

تأملته سيرينا خفية وهو يقرأ في تعبير. لم يكن هناك شك في أن لديه أحاسيس بالقليل. وبين حين وآخر كان ينظر إليها في ترقب كما لو كان القلق يقتله. وظل كاميرون متثبتاً بيتها ويداً كما لو كان يريد أن يلقي بذراعيه حول عنقها.

وعندما أغلق ريتشارد الكتاب قالت في صوت رزين: «أعتقد أننا بحاجة لأن نتحدث يا أولاد» وفجرت نظر ريتشارد الخدقة من الكتاب إلى وجهها. وسألها مباشرة: «هل أخبرته؟»

«كان يجب علىّ. لقد كان يعرف أن أحدنا يكذب حيث أختلفت رواياتنا لما حدث. ولكنه لم يفعل شيئاً هذه المرة». وتوقفت برهة ثم نابت: «لقد كان غاضباً جداً بيبي».

قطب ريتشارد جيبيه قائلة: «بسبيك؟»
نعم. فكما تعرف فإن عملي هو العناية بكما وليس أن أجعل نفسى أضل الطريق وأسبب كل هذه التنازع للجميع».

اعتراض ريتشارد وقال في أنفعال: «ولكن هذا ليس عدلاً». إنه كذلك بوجه ما. ولكن سب كل ذلك أساساً هو رغبتك في مخالفته. يعني أنا غير متوافقين وأننى لا أؤدي عملي على الوجه الأكمل. هل تدرك أن ذلك؟ وإذا أستمر هذا فإن سين سيفكر في التخلص مني وإحضار مريرة أخرى». وحدقت فيه سيرينا وقالت: «هل ذلك... ما تريده؟»

بدا ريشارد ميرتكا وقال: «في الواقع أنا لم أخطط لذلك... لقد كنت غاضباً بالأمس وودت لو أنك ترحلين». «لأنني تركت كاميرون يتوقف ليشاهد السحلية المفرمة بينما لم أتوقف لأجعلك ترى أهليبو كوبير أثناء اعدادها للطيران». مضي ريشارد شفنه وقال: «لم يكن شيئاً عادلاً تماماً. ولكنه... كاميرون». «كاميرون؟»

قال بلهجة فاسية: «نعم، إن عاطفته تجاهك تزداد بمرور الوقت. هو يرمي لك أن تبقى، ولكنني سمعت الحداد يقول ليلى أن فتاة مثلك سوف يصيّبها الأعياض خلال شهرين وهو لم يعرف ما يفكّر فيه حين». لقد كان كامبرون... بعد رحيل أمها، يدفن رأسه في وسادته وينخرط في البكاء. وهو لا يظن أنسى أعرف. ولذلك فلما سبّحـدت بعدها بزداد حبه لـك ثم نتركتـنا؟»

وهدت عيناها البنفسجيتان في عينيه الزرقاء وبنين الملؤين بالغضب
وراحت تفكّر في قاله. ثم قالت بصوت هادئ: «أنا أفهم ذلك بارتداد». أود أن أخبرك بأنني أخطّط للبقاء أعواماً. وبالاشك سأبقى أكثر من مجرد شهر
فلازل. ولذلك لا أستطيع ضمان ذلك. فبإمكان أن تغير الأمور». «هل ستعملين حقيقة؟»

وَعِنْهَا أَحَسَّ بِمُوْدَةٍ كَامِبِرُونْ حَذَرَهَا رِتْشَارْدْ مُسْرَعاً بِقُولَهُ: «لَا تَخْبِرْهُ فَإِنْ قَاتَ اللَّهَ ذَلِيلُ».

«بالطبع لن أفعل . هل ستحاول ... أن تكف عن المنازعات والأزعاج؟»

قال رينشارد في أربياك: «أنا... لا» وأضاف بصوت مبحج: «بالطبع لا». وأستدار فجأة إلى كاميرون وسأله: «لماذا لا تذهب وغفر لسربينا فنجاناً آخر من الفهوة. لقد برد هذا الفنجان».

بدأ على كاميرون التردد ولكنه ذهب بعد خذير صارم بالأخينحدث في أي شيء حتى يعود. وضاقت عينا سربينا عندما أزلق رينشارد عندما أزلق رينشارد من على السرير وأغلق الباب بخفة. وسألته عندما عاد: ما هذا الذي لا تزبد أن سمعه كاميرون؟»

نهد ونشارد بقوه . وقال في تهكم شديد : « لقد فعلت ... أقصد عندما سمعنا أن فتاة ستائني لتتولى رعايتها » ثم توقف ونظر لها في عجز .

قالت بعد برهة: «أعتقد أنت أفهم . أعلم أن هذا هو سبب وضع الصداع وكل هذه الأشياء في فراشي،؟»

نور و وجه ريتشارد . وقال عزون : « لقد ظن سامي بانكس أنك سترحلين
عندما نضع في حذاءك حيوان أبوبريسن . ولكنك لا تبدين مثل باقى البنات
أليس كذلك؟ بل إنك أحتفظت به كمحبوب الف ».

لوب سيرينا فسمات وجهها وقالت: «حسناً، أنا أسفه لتعييب أمال سامي بانكس . وندكرت الزيادة المطردة في أحجام وأعداد الحيوانات البرية التي كانت قد أخذت تستوطن حجرها . وتابعت قائلة: ولكنني سأقول لك شيئاً ياريتشارد . إذا وجدت غلامه شارده هنا بدءاً من الآن فلن أكفى بطلطم أذنيك ولكن أذني سامي بانكس أيضاً . ولا تظن أني لن أفعل ذلك . أنت لم ترجموني بعد» .

خلق فيها ريشارد وهو يستوعب قوها . ثم أشار إلى السقف وقال : « حسناً
وماذا عن حيوان أبو بريص ؟ »

الحقيقة. وأحسست كما لو أن الجميع يأتون أن يكون لهم بها أية صلة.
وهمت نفسها: «لقد كنت مصدر ضيق لها. يمكنني أن أقول ذلك. أقصد أنه وجدني مثلاً جداً. هل هذا هو أسلوب عقابي؟ لقد كنت أود الذهاب في نزهة مع بيل والأولاد بدلاً من ذلك».

كنت مستغرقة في خيالاتها الخبطة. ولم تسمع صوت حواري الجبول وهي تندو غواه البوابة الرئيسية التي كانت تقع على الجانب الآخر من المنزل. ولم تسمع صوت الأقدام وهي تخطو خلال المنزل ولا غمضة الأصوات. ولم تدرك أن خندومها قد دخل غرفة نومها. وعبر الحجرة دون أن يعدها صوت. ووقف لدى الباب الداخلي المؤدي للشرفة. وأخذ يتأمل وجهها المزينة وقد رفع أحد حاجبيه.

ولم تدرك وجوده إلا عندما قال: «ما هذا؟ أنت تبدين كأنك غضرين قد اسألا سريراً وثبتت سيرينا وقد أمنت لونها. وقالت متلعمة: «أنا... أنا لم أتبه لوجودك».

ولوى شفتيه قائلاً: «لقد كنت مستغرقة في التفكير. هل من المسمح لي أن أعرف فيها كنت تفكرين؟»

غضبت سيرينا شفتها وقالت في وقار: «إذا كان لا بد. فقد كنت أفك في ذلك... ذلك قررت مقاطعني».

وأنفجر ضاحكاً وقال: «طفلت العزيزة. ماذا على الأرض يدفعنى لذلك؟»

قالت في لمحات جادة: «لم تكن ودياً معى تماماً صباح الأمس. أنا أدرك تماماً كل المشاكل التي سببنا لك. ولكنني اعتذرت وحاولت أن أفسر ما حدث. ولذلك..»

مقاطعتها ساخرة: «لقد قبلت كل اعتذاراتك وتفسيراتك. وإذا لم أكن... ودياً معك تماماً في تلك الأثناء فذلك لأنني كانت لدى أشياء أخرى تشغله تفكيري. كيف أنت؟ هل يمكنك ركوب الخيل الآذ؟

قالت سيرينا بارتباك: «لكن... أنا بخير».

هز كفيه وقال: «سأحاول. لا يمكنني أن أعد بائى شيء». لم تحد سيرينا بدا من الأقناع بذلك لأن كاميرون دخل وقد برز لسانه قبلاً وهو يضغط عليه لشدة حرصه على عدم إراقة القهوة.

تناولت منه فنجان القهوة وقالت: «ما الداعي لذلك.. شكرًا لك يا كاميرون... هل فعلت كل ذلك بنفسك؟». وصدرت منها آهة أنسان حافته عندما أومأ كاميرون برأسه وهو يتسلق السرير ليجلس إلى جوار شقيقه. ولكنها أرتشفت الشراب الفاتر الباهت بإيقاع مصطنع.

في الصباح التالي أحست بتحسن كبير ولكنها كانت فلقة بعض الشيء لأنها لم تر مني منذ أن أترفا بجوار سور الحديقة. وأعلن بيل أنه سيأخذ التوأم من سامي بانكس في نزهة بالسيارة وافق عليها سين وكان يجب عليها أن تستريح فترة الصباح.

اعتبرت فائلاً: «لكتنى بغير تمامًا؟»

قال بيل باقتضاب: «أوامر مدبرين».

دفعها ريتشارد وكاميرون لإدراك أنها يجب أن تستريح ونستريح تماماً. كانوا جميعاً من نفس الرأي.

وتمتنعت: «يمكنني غليل... أن... وبناسبة الحديث عن المدير فأين هو؟ إنه لم يتناول المشاه في الليلة الماضية».

قال بيل: «لقد عاد للبيت مناً خاراً. وسيقضى معظم اليوم بالخارج».

ولم تهد بدأً من أن تقنع بهذه التعليقات من بيل.

لم تقبل السيدة ديني جهودها للمساعدة في أعمال المنزل. وقالت لها: «إذهي... وأفرأى كتاباً ياسيرينا. أنت تستحقين قضاء بعض الوقت في الراحة يا حبيبي».

ولكن ماحدث أن سيرينا التي تهوى القراءة أصلاً لم تستطع المثمر على كتاب واحد بغير أهتمامها. ولذلك قامت بترتيب أدراجها وغسلت بعضاً من ملابسها الداخلية ذات الألوان الجميلة. ثم جلسَت في الجزء الخاص بغرفها من الشرفة. إنها إحساس حاد بالوحدة وهي غدق عبر

قال بملء فيه: «في آخرة مرة قلت ذلك لم يكن كلامك صحيحاً تماماً».

وردت سريراً: «حسناً، أنا بخبر الآن. لم أعد أشعر بنيس في أعهانى يعوقنى عن الحركة. ولقد سقطت من فرق ظهر الخيل عدداً من المرات بمحلى لا ألهف على العودة لركوبها... إذا كان هذا ما يدور بفككك. وفي الواقع يمكن أن أعود في أي وقت لركوب...»

وأقاطعها قائلاً: «ليس هذا بالضبط ما يدور بفككى. ولذلك فيمكنت أن تؤفرى كلامك.. وسخطك. كل ما عليك إرتداء ملابس ركوب الخيل على أن ترتدى تحتها ملابس السباحة. أحضرى منشفة معك وقابلينى عند البوابة الأمامية خلال خمس دقائق». دار على عقبية وخرج.

طرفت عينا سيرينا وفتحت فها لتعترضه ولكنها غيرت رأيها. لقد كان قد ذهب على أية حال. ورغم ذلك فقد كان وجهها خالياً من أي تعبير عندما وصلت إلى البوابة الأمامية بعد ستة دقائق ولكنها كانت لا همة الأنفاس.

كان هناك جوادين محبوطين إلى سور الخديقة الذى إنكا عليه مين وقد ثنى ذراعيه أمام صدره. كان أحد الجوادين هو حصانه الأسود الطويل. ولكن الفرس الآخر كانت هي التي أنسنة عزمهما على أن تبدو باردة وغير متباوبة. كانت فرما ذات لون بنى براق وعيون ذكية رقيقة. وخرجت كلمات سيرينا رغمما عنها: «أوه، أليست رائعة الجمال» وتابعت وهي تمرر يدها على الأنف الحريري: «من أين أنت؟»

«لقد كانت هنا طوال الوقت ولكنها كانت فى مكان آخر من المقاطعة. هل أعجبتك؟» لم تكن سيرينا تنصت له بل خرجت بهماها وهى تداعب شعر رأس الفرس. ولكن كلمات مين التالية هي التي جذبت انتباها. «حسناً، إنها لك».

سحبت سيرينا يدها سريراً كأنما قد مسها النيران. وأتسعت عيناها البنفسجيتان فى ذهول. وتلعلمت وهي تقول: «لى.. لـ.. كـ.. كـيف يمكن أن تكون لي؟»

يتسنم وقال بتؤدة: «الأمر بسيط جداً. لقد تم تخصيصها لك وحدك طوال إقامتك معنا لكي لاتضطرى إلى ركوب خيول حقاء عبيدة وكل هما فى إثنام طعامها. ولكن سبكون عليك أن تعتنى بها بنفسك. هل تريدين تحريرها؟»

وبعدما أنطلقا بالجوادين فى جولة رائعة وأخذ يسيران جنباً إلى جنب أسطاعت سيرينا أن تعبر عما يدور بداخلك تماماً.

قالت: «إن لدى أحاسيس بغرض». رمكتها مين ساخراً وقال: «أوه».

وأوضحت قائلة: «للتفكير فى تلك... الأفكار السلبية تجاهاك فيها سبق».

ولوى شفتيه وقال: «أوه، لا تنزعجي بخصوص ذلك. لقد... أعتقدت عليه تماماً الآن».

«هذا لا يزيدى إلا إلى زيادة الأحسان الذى أشعر به».

قال: «يا إلهى، لقد كنت أفك فى شيء آخر هذا الصباح. شيء يجعلك تشعرين بتحسن دائم» وهز كتفيه قائلاً: «ولكن إذا كان هذا هو كل ما أحققه..»

نظرت له سيرينا فى أربتاك وقالت: «والآن أنت تعذبني».

وغمضهم قائلاً: «أقتلنى هذه الفكرة».

قالت: «ماذاك الذى يجعلنى أشعر بتحسن؟» وربتت على عنق الفرس قائلة:

«بالمناسبة... ما اسمها؟»

سالى. وبالمناسبة هل سبق أن رأيت مجرى جافة وقد أمتلت بياه الأمطار وحوها أشجار الكوليبيا؟»

قالت سيرينا ببطء: لا. ونظرت فيها حوطها. كان يسيران وسط غابة من أشجار السرو. وقد أهندت خلفها مساحات لانهاية مفتوحة، الأعشاب. أعشاب مبنية وفايندرز التى تشكل مراعى ممتازة.

حتى أعد الشاي». قالت ياسامة شيطانية: «أمرك يا والدى».

ورد في هدوء: «كل ما في الأمر أننى أحب التحقق من كل مسؤولياتي» ثم تابع قائلاً: «ما رأيك فى بعض المهدئات المنشطة مع الشاي؟»

قهقهت فائلة: « رائع».

وجلسا في ضوء الشمس الذى ينخلل الأشجار، وما يختسبان الشاي الخلط الحاد المذاق. وحكى لها عن مختلف أنواع الطيور التي ترد هذه العيون والجداول.

«وفي بعض المواسم الطيبة قد يمكن رؤية طيور البعض».

وصاحت: «البعض».

نعم، وهناك أيضاً طيور البرولاس. ولكن هل تعرفين ببعضها ككتبه المجهور بـ«يشيل».

«لقد عرفت عنهم بعض الشيء أثناء الدراسة ولكنني لم أر أيهما حتى الآن. ولكن الواهيم وردية وبضاء، أليس كذلك؟»

«نعم، وللأسف فإن عددهم يتناقص باستمرار... هل تريدين مزيداً من الشراب؟»

«شكراً ياسين... كان يجب أن خضر التأمين».

«لقد رأيت أنك تستحقين أجارة بعيداً عنهم. فحنى المزينة المتلقنة التي لا تكل تحتاج أجارة».

«ومعاملة رائعة» والنقطت نفسها عميقاً وهى تنظر حواها فائلة: «لا أدرى ما أقوله سوى... شكرآ لك».

كان ياسين يجلس الفرقاء واعضاً رجلاً فوق أخرى وقد برب منقارى أستحمام من بين شعره المندى الذى لم يتم تجفيفه. ولاح شبح ياسامة على شفتيه وهو يقول متذكراً: «على أية حال فائت كإتعلمين... طفلة غريبة».

ترددت سيرينا. ورجت آخر فطرات الشراب بكتورها فى عصبية ثم قالت:

قال سين: «إذن فسوف أريك إحداها». وأنطلق بجواهه وتبعته بفرسها. وبعد حوالى خمس عشرة دقيقة وصلا إلى سلسلة غير منصلة من العيون التى كانت تمتليء بالمياه وقد تراحت الطيور حواها وعلى أشجار الكوليبيا الخفيفة. كما انتشرت على أشجار الأوكالبتوس العتيقة ذات العقد الكثيرة والجذوع الضخم والأوراق الرقيقة.

سلب جمال المشهد لب سيرينا. وأستغرقت فى صمت ذاهل. وأخيراً قالت فى صوت متتيب: «لم أرى شيء مثل ذلك على الأطلاق».

«هل ترغبين فى السباحة؟ هذه عميقة إلى حد ما. وقد تكون باردة ولكن ذلك سيكون مفيداً لكدماتك».

وترجملا عن جواههما وربطاهما إلى إحدى الأشجار. وملأ سين قنه وسقاها. ثم فك أحد جيبي سرج جواهه وأخرج غلابه لإعداد الشاي لا يسافر بدوها راع واع. ونصب حاملاً ذا ثلاثة أرجل. وقال: «حسناً. عندما تنتهى من السباحة سيكون الماء قد غلى. أراهن أننى سأشزمك فى السباحة».

بدأ الماء يلون الشاي الرائق إلى حد ما ولكنه بدا رائعاً عندما توغل فيه. وعندما غاصت سيرينا في الماء لأول مرة كادت أنفاسها ترهق.

وشهرت فائلة: «كنت أظن أن الماء يتغير هنا أحياناً وهو ي... ي.... يغلى؟»

«إن هذا الماء لا ينبع من براً رتواري بل يسقط من السماء. وتزيد الليالي من برودته».

«أنت على حق... أرجو أن تقدر كدماتي ما أفعله لأجلها».

وضحك.. وعندما خرجا أوقفها ساكنة بزى الاستحمام البكينى الأزرق وأخذ يشخص جسدها.

وهي وهو يلمس مكان إحدى الكدمات على فخذها وأخرى على ذراعها وقال: ينضح من ذلك أنك سقطت على جانبك. من حسن حظك أنك لم تصابى بكسور». ثم ناوتها منشفة قائلاً: «جففي جسدك

«أحياناً أتمنى أن تعاملني كأمراً».

ساد الصمت والسكون حتى قال: «المرة الوحيدة التي فعلت فيها ذلك
بذا عليك ذهول غريب وتشاجر معن بشدة».

غرت سيرينا فلها. وأندفعت قائلة: «هل تقصد... أوه أنا لا أقصد شيئاً
كهذا على الأطلاق. لا... أنا أقصد. أنا لا أريدك أن تُفليني أو أى شيء
كهذا» والتهيت وجنتها وحاولت مواصلة الحديث ولكن تداخلت كلماتها
على خو غير معقول.

«أعمالك إذن كإنسانه راشدة. هل هذا ما تقصدين؟»

حلفت فيه سيرينا وقالت بإرتياح غامر: «أوه... أجل» ثم أضطررت مرة
أخرى وقالت: «أرجو الا نظن أنني أتفقد هذه المعاملة الرائعة. أقصد أنه
ليس شيئاً طفولياً أن استمع بشيء كهذا. أليس كذلك؟ أنا...»
وصمت فجأة.

قال بإستغرق: «رعا لا... فرغم ذلك فإن هذا السرور التلائى
لدى الأشقاء الصغيرة جداً هو شيء مختلف».

«هل تقصد... مختلف عن نوع النساء اللاتي تعرفهن؟» وفجأة
نسمت سيرينا أضطرباها وبذا عليها الشغف الشديد وقالت: «هل تعرف
كثيرات منهن؟»

سدد إليها سين نظرة بارقة ساخرة وقال: «عدد كاف».

قالت بعديبة: «حسناً. أنا لا أريد التطفيل. ولكنني تعجبت بخصوص
ذلك؟ عندما قابلتك لأول مرة تخيلت أن هناك الكثيرات منهن» ثم
أسرعت تقول بلهجة مؤكدة: «طبعاً في نفس الوقت».
قال منشدقاً: «شكراً لك».

وتابعت قائلة: «أو على الأقل إحداهن جادة». وتجمد جيبها في أربابك
عندما قالت: «ولكن لا يوجد... أى واحدة».

سألها: «كيف عرفت ذلك؟»

«إذا كانت هناك واحدة على خو جاد فعلاً. أقصد أنك لو كنت تحب

بعديبة فالتأكد كنت مستحدث عنها... تحبها... أو.. تكون معها».
ثم سألته في قلق واضح: «أم أنها حالة حب من طرف واحد؟»

حدق فيها بوجه جاحد خال من التعبير تماماً لما يطرف من دفقة
كاملة. ثم قال في صوت رقيق بلغة الحزن: «عزيزتي سيرينا... لقد
ادركت أنني أخدي المجهول عندما أعطيتك الوظيفة. ولكنني حتى لم أتحقق
من أى جزء منه».

نبرد وجهها خجلاً وقالت: «أنا آسفة».

قال بلهجة آمرة: «لاتتكلفين التزمنت معي على طول الخط».
سألته في أرباب: «إذن فأنت لاتشعر بالأهانة».

أبضم فجأة وقال: «أنا لست متأكداً تماماً. لقد فهمت أنك
لاتقبلين فكرة أنني غير مرتبط بوحدة إذا كان هذا ما تقصدين؟»
هزت سيرينا كتفها وقالت: «إنه يبدو وإضاعة للوقت. إن لك دخولاً
صخماً وإذا كنت غلطت للإنجاب.. فاعتقد أنه خطأ أن تتضرر طويلاً
جداً... رغم أنني لا أعرف عمرك بالضبط».

قال في أدب جم: «أنا في الثانية والثلاثين. فانا كبير إلى درجة
نكسى لأن تكون إحدى قدماء في القبر».

قالت بضحكة خافتة: «أنت الآن تعيذني».
«أنا آسف لم أقصد ذلك».

وعفت قائلة: «إن ذلك يرضيني» ولكن عندما تابعت النظر في سحف
واضح ومتوقع أضاف في سخرية: «أعتقد أنني ساحف بعفي في
خصوصية حياتي العاطفية يا عزيزتي الوصيفة. أنا أفضل أن يكون الأمر
بهذه الصورة. وعلى أية حال فهذا حق تقاليد من أجله بشدة عندما
يتعلق بعيالك العاطفية».

سألت سيرينا: «ما هي الحياة العاطفية؟»
«أليس لديك أي منها؟»

قالت في حدة واضحة: «ليس الحب» لم نبرد وجهها وصرفت نظرها

نظرها بخضب وقال: «سirينا» ثم أسترخت قسماته فجأة وتتابع:
«حسناً، إننا لن ننسى صباحك الجميل. سوف نركب خيولنا عائدين.
سوف أريك مزيداً من العجائب. ولدينا أسبوع قبل أن تصل ديلفين.
ولذا فيمكننا أن نفعل فيه أفضل ما يمكننا». وعندما رأى نظرها المزبطة
أضاف: «لاتزعجي... فلن أفعل أى شيء يصيب التوأمين
بالأحباط».

خلال هذا الأسبوع أدركت سيرينا العديد من الأشياء، فقد أحست
فعلاً أنها فرد من العائلة ليس واحد وهو أنها كانت تستمتع بالحياة.
وبسبب آخر أن ذلك لم يحدث منذ زمن بعيد. ولكن كان هناك شيئاً ما
حيثما في هذا الأسبوع أهاديه. إذ حتى ريتشارد فقد كف عن إحداث
أى إزعاج كانت تشعر كأنها تقف على شف شئ ما. وعلى سبيل المجاز
فيتمكن القول بأنها كانت تكم أنفاسها. كانت تحاول فهم سبب تلك
الحالة الغريبة من الترقب الذي الم بها بينما كانت تقوم ببعض الأعمال مثل
مساعدة السيدة دينبي في صنع الخنزير. أو أن تلعب مع القط الصغير الذي
عنده التوأمان وقدماه لها. وشكّت أن يكون ذلك تكفيراً عن آثار
ريتشارد.

وعندما أحضراه اندفع كأنه كرة من الرغب الأبيض والأسود وففر من
صدوق الأحذية الذي حبساه فيه. وأخذ يموج مهتاباً بينما بدت كل
أسنانه الحادة ولسانه الوردي.

سألتها سيرينا ضاحكة: «أين عثرت عليه؟»
قال كاميرون بمرح: «في الأصنبلات».

وأقبل عليهم سين بينما كانوا يجلسون القرفصاء أمام السرير على أرضية غرفة
نوم التوأميين وقد تراحو وتدخلت أعضاؤهم كأنهم لغز من الصورة
المقطوعة المتداخلة الأجزاء.

وسأل: «ما هذا؟»

إندفع ريتشارد قائلاً بثقة: «لقد وجدناه في حظيرة العلف».

بعد برهة قال: «أظن أنه لا فائدة من سؤالك عن التفصيلات».
وهيست: «لا» ثم أشرق وجهها وصوتها وقالت: «أنت لم تأسلي عام
بيني وبين ريتشارد؟»

قال بلهجة جافة بعض الشيء: «حسناً... استمرى... إنني متلهف».

وحكت له ما جرى بينها وبين ريتشارد.
قال ببطء: «أنا أفهم.. هل تظنين أنك قد أقتنعت؟»

لور سيرينا قسمات وجهها وقالت: «من الصعب أن يقال ذلك بخصوص
ريتشارد. لكن أظن أنه في على الأقل وجود.. درجة من التعبير عما به
فسيخفف ذلك عنه. هل..» وترفقت فجأة قبل أن تتابع: «هل والدتهم
تعنى هذه المشاكل؟»

«إن ديلفين ذات عقل ضيق إلى حد غريب» كان صوته بارداً
لدرجة أن سيرينا أحست ببشربرة داخلية بينما تابع قائلاً: «أعتقد أن
الرقة قد حان.. لا أعطاءها فكرة عن ذلك».

«يعجب أن تكون حذراً جداً. أليس كذلك؟» وأنسعت عيناه وبدا
عليها بعض من الترقب وتابعت: «أنا أقصد أن التوأميين لو ظنا أنكما...
تشاحنان أو أى شيء من هذا القبيل فيمكن أن يزيد ذلك من
إحباطهم».

«هذا هو ما يدفعها للاعتقاد بأنها تضيعنى فوق برمبل بارود ونظرة
بعيداً إلى ضياء الشمس وضافت عيناه وفجأة أصبح فه جاماً متوجهماً».

قالت سيرينا ببعض العجز: «أوه... يا عزيزي. على كل أنا آسفه
لأنني ذكرت ذلك. ولكنك حكيت لي عنه».

قال في ضجر: «بالطبع لا بد أن تخبريني».

قال في حزن: «حسناً، هذا ما ظلتته. ولكن كان بإمكانى الانتظار حتى
لا أفسد هذا الصباح الجميل».

أصبحت أمراً يزداد صعوبة على غو منيف.
ثم كان يوم.. يجب أن تعيه جيداً في ذاكرتها.

إنه اليوم الذي عادت فيه ديلفين. لقد ذهب بيل إلى سيدنى لاحضارها. وبدأ سيرينا أن الجميع -فيما عدا سين- يهدى عليهم القلق الشديد والتور. ولكن عندما جاءت الساعة المنتظرة ووقفوا تحت المطلة يرقبون هبوط الطائرة وزرول راكبها أدرك سيرينا أن ديلفين مختلف عن كل الصور التي رسمتها في مخيلتها لوالدة التوأم. تلك الصور التي شابتها فكرة أنها لابد من مجرجة القلب بحيث لا تحدث بأقل الكلمات.

كانت ديلفين جميلة. كانت طوبيلة ذات شعر أشقر مخططة بلون رمادي وزفات قوام فاتن أبرزه سروالها الجينز والبلوزة البيضاء فيما كأنه قوام عارضة أزياء.

عندما فجرت من الطائرة رفعت رأسها فجأة والتقطت نفساً عميقاً في أتعاب. ووجدت سيرينا نفسها تندفع في دوامة أخرى من تلك الأفكار المفاجئة. ورأت أنها تبدو كمزيج متآل من الزينة والجملات مما قد يروق لسين.

عندئذ كان التوأمان يجدان يدي أمها وينجهان بها إلى سيرينا. قالت ديلفين بانفاس لاهثة: «مرحباً يا سيرينا.. لقد كنت أقطع للقائك». كانت عينيها الخضراء ونان الصافيتان تفيضان بالدفء والود.

كان من المستحيل الا ترد سيرينا بالابتسام. وعندما أستعدت سيرينا للنوم في ذلك اليوم وجدت نفسها تمضي شفتها باستغرق وهي تحاول ترتيب الأمر في عقلها. مثل.. كراهية سين والسيدة دينبي لديلفين؟ هل يمكن أن تكون إنسانه بمثل هذه الدفعه والود مجرجة القلب بالدرجة التي يظنها هل سمعا لنفروهما التلقائي من طلاق زوجين غير متلائمين أن يوترا على حكمها؟

وتحتمت تحدث نفسها: «حسناً.. هناك نقطة غير طبيعية في تركها لأنباءها هنا. ولكنها شرحت ذلك لي» وقد ذكرت الحديث الذى دار بينها

قال سين: لقد سبق أن أوضحت لكما أن المكان يمكن أن يكتظ بالقطط... لم أقل؟»

قال كاميرون: «هذا فقط ذكر» ثم تابع في توصل: «يجب أن ترى كيف يجب سيرينا بيتها كل ما يريد أن يفعله بنا هو أن يخمنا بأظافره». «هل تخبه سيرينا».

تدخل ريتشارد فانياً: «إنها تجادله أحاديث طفل رضيع وقد صنعت له سلة خاصة في حجرة نومها وهي تطعمه كل ثلاث ساعات بقطاره (زيارة) لأنها يزال صغير على ما أظن».

سأل سين في أسلام: «وماذا سمعته؟» أفرجت شفها سيرينا وهي تتابع الحديث والت: «أوه... يا عزيزي. هل فعلت شيئاً خطأ. لقد ظلت أن يأمكاني تدريره على حفظ فراشي نظيفاً من الفران والضفادع» وأضاف سيرينا: «إذا ما عادت هناك أية حاجة لذلك مرة أخرى».

«هل أفهم أنك تأخذين جاكي ريتشارد وكاميرون بسيرينا؟» أبسمت له سيرينا أبتسامة جذابة. وكتبع من الأجاية رفعت فقط الصغير ليراها. كان حجمها يزيد بالكلاد عن كفها. وقالت: «أظن أنني يمكن أن أسميه روبرت. بالطبع في حالة ما إذا سمحت له بالبقاء».

قال سين مهيكلاً: «روبرت؟»

«أنا أعرف أنه اسم رنان بالنسبة لقط صغير كهذا. ولكنني ظلت أن ذلك قد يشجعه على التلوّن وعمل الأشياء الطيبة».

لوي سين شفته وقال: «إذا لم تكن هذه رشوة فلا أدرى ماذا تكون. حسن جداً. يمكنه أن يبقى. لكنني أرفض أن أناذبه روبرت حتى أرى تبرراً لذلك؟»

وطوق التوأمان عنقه في سرور بالغ. وعندما رأت سيرينا وديعبتها مع عمها أدركـت أنها ستحظى بانقضاض آخر من تلك المحبـات اللاهـة.

ورغم ذلك فـعندما رـقدت في فراـشـها بالليل رـأتـ أنـ مـقـادـها لـرـوزـوـود

من التحدى وهي تسد نظراتها إلى سيرنا.

ترددت سيرنا: «أنا..»

«أنا لا أنظر منك أن تكوني عذبة الولاء لسبي أو أى شيء من هذا القبيل».

غضت سيرنا شفها وقالت بهدوء: «أنا مثقلة بدين كبير ليس، بطريقه أو بأخرى ولذلك..» وتوقفت عندما إتسعت دبلفين فليلاً ثم تابعت: «إن.. ولكنك والدتها».

«شكراً لك.. لسوء الحظ أنت لست واحدة من هؤلاء الأمهات اللاتي يمكنهن تكريس حياتهن لأطفالهن. إن لي مهنة فلحة، ولكنها أيضاً هي الشيء الوحيد الذي أجيده. ورغم معرفتي بأن سين ينبع على التوالي حالي ويتولى كافة أمورهم فإني لا أريد ذلك. كما يجب أن أتكلل بنفسك أيضاً. لا تخطئ فهمي».

فأنا لا أقول أنت لست مهنة لسبي. ولا أقول أنت أوفق على أن هذا أسلوب حياة أفضل لها كثيراً. فلما ترين فقد استغللت هذه الفرصة لصالحها ولكنني لا أريد لها أن يكونا مدینان بالفضل إلى مالا نهاية. هل تستطيعين فهمي يا سيرنا؟»

ترددت سيرنا ثم قالت ببطء: «أستطيع».

سألتها دبلفين: «ولكن لك بعض التحفظات؟»

«أظن أنه قد يكون أمراً صعب الفهم إلى حد ما بالنسبة لها..»

قال دبلفين مشجعة: «أوه.. أستمعي».

«حسناً. إنها الآن أكبر سناً ويعكتها القراءة والكتابة. فلماذا لا تكتبن لها خطابات؟» وبدلاً من مجرد بحثك لرؤيتها فرعاً يمكنها الذهاب أحياناً لرويتك. إنه... فد يزيد من إحساسها أنها جزء من حياتك».

«عماذا تشعرين... بأنه ينقصها؟».

قالت سيرنا بعذر: «بعض القليل. لكن رجعاً يمكنك التحدث مع سبي بخصوص ذلك. إنه يعرفها بدرجة جديدة بحيث..» ثم سمعا جرس المساء فصاحت: «أوه... إنه جرس المساء».

وين دبلفين ببها كانا يستعدان للعشاء...
كان نصف في حجرها بقميص داخلى من الحرير العاجى اللون.
وسمعت طرقه خففة على بابها.

وسمعت صوت دبلفين يقول: لا أحد غيري. هل يمكننى الدخول؟

غضبت سيرنا ثم أجابتها بالدخول. ونظرت فيها حرفاً بحثاً عن رداءها ولكنك كان لا يزال معلقاً في خزان ملابسها ببها دخلت دبلفين فقالت: «أوه.. آسفه».

«لا... لاشيء. هل هناك ما يمكننى عمله لك؟»

قالت دبلفين مبسمة: «لقد أتيت فقط لتتبادل الحديث معك. إن بيل بردى الولدين ولذلك فقد يمكننا أن نعم بدقائق قليلة من المهدوء والسلام. هل تعرفين..» وتوقفت وتأملت سيرنا ثم تابعت: «أنت رائعة الجمال تماماً».

أتفع لون سيرنا وتلعمت فائلة: «من... شكرأ لك... ولكن..»

قالت دبلفين بأعجاب: «لا... أنت كذلك».

«حسناً. للأمانة... فقد ظننتك... لدرجة أنت كنت أعمج من أسطاعتي تعلم أن أكون... أبيقة ورقبة».

صاحت دبلفين في حزن: «أوه.. يا لها» اقتربت نفسها على أحد المقاعد فائلة: «أنت غملينى أشعر وكأنى أنا هر المائة عام».

«أنا لم أقصد ذلك. إنه مزيج تلقائي من الأناقه الواضحة..»

«على كل فإنه شيء جبار أن تكوني... في الثامنة عشرة؟ نعم... الثامنة عشرة وأن تكوني غضة وليس بك أى عيب. وهذا ما دفعنى إلى ما... لقد جئت حقيقة لأدرراك» وتغير وجهها وقالت بلهجه جادة: «لابد أن تتعجب بخصوص مهمتك هنا يا سيرنا؟

قالت سيرنا بأضطراب: «أنا... حسناً. إن من له..»

وقطعتها فائلة: «أنا متاكدة من ذلك. ولكن أظن أن بإمكانى تقديم روایتى لك. فهل تهمني بذلك؟». لمعت عيناً دبلفين الخضراء ونان بريق

وخرجت تاركة سيرنا تقف في وسط حجرة نومها. لم تكن تشعر بإطمئنان تام. ولكن بعد لحظة أو لحظتين هزت كفها وأبسمت ثم مدت يدها تتناول فستانها الكتانى الفضيق ذى اللون الوردى الداكن.

وفي تلك الليلة أطمانت على رویرت قبل أن تام. ثم حادثة نفسها وهي ترقد في فراشها: «على أية حال. فانا أحبا ولا بد أنها في موقف لا أعدد عليه. وعندما يكون بين معها فلابد وأنه يغيرها اهتماماً أما السيدة ديني فقد أستطاعت أن تكون لطيفة. إيهما لا يستطيعوا أن يمثلوا على خوب طيب. أليس كذلك؟

سألها ديلفين: «هل أنفذك جرس العشاء؟» وعندما أمتفع لون سيرنا ابسمت ديلفين أيسامة دافقة وقالت: «آسفة. أنا لست أدرى ما قاله لك بين عنى. لكنني أظن واضحأ أن لنا اختلافاتنا من وقت لآخر».

نهضت ودارت ببطء خلال الحجرة بتلك المشية الراقصة الإنسانية. ومدت يدها ببطء تلمس مختلف الأشياء... مثل فرشاه شعر سيرنا ذات الظهر الفضى والتي طبع عليها الحرفان الأوليان من أسمها. وكذلك مرآتها وخزانة ثياب نومها ذات التظرير الخملي.. وسلة خرف روبل دولتون الرائعة والموضوعة على منضدة بجوار السرير.

وعندما رفعت رأسها كانت عيناهما تملؤان بالاستغراف والتأمل وقالت: ما الذي جعلك تعملين بوظيفة بهذه ياسيرنا؟ فكررت سيرنا ووضعت في أعصابها أن تخيب بأمانة، فقالت: «لقد كنت دائماً أتمنى أن أرى هذا الجزء من العالم... أنا مشدودة إليه إلى حد كبير».

بدت ديلفين حزينة وقالت: «لابد أن بين يرى أنك سقطت من السماء. لقد أعتقدنا أننا بصدد مشكلة ضخمة في العثور على من تحب الأقامة هنا. يجب أن أراه... أقصد أرانا مدربين لك باكتر مما قد يكون المعكس».

قالت سيرنا ياسامة شاحبة: «أنا لا أرى ذلك». استمرت ديلفين تقول بلهجة دافقة: «على أية حال... أنا أحب أن أشكرك كثيراً على حسن رعايتك لريشارد وكاميرون. إيهما بالتأكيد يهمون بك. وبالتأكيد أنتي سأخذ بنصيحتك».

«إه... حسناً» حاولت سيرنا الحديث وهي لاتصالك نفسها من التعجب عما سمعته بين عن تقديمها هذه النصيحة. وقالت: «أنا...» قالت ديلفين في لمحات ساخرة: «لاتزعجي. سوف أتناول هذا الأمر معه أولاً... أراك على العشاء».



الفصل الخامس

(عودة الماضي)

«في الواقع.. لا. أنا لم أستطع النوم. وعلى أية حال فهناك بعض الأشياء التي ينبغي أن تتحدث بشأنها. وبالمناسبة فلماذا تعمل حتى هذه الساعة المتأخرة؟»

قال سين بإفتعال: «أنا سأسافر إلى بربزان في الغد».

«أوه... حسناً... إنها طفلة غير عادلة. أليس كذلك؟ أين وجدها؟»

«لقد نشرت أعلاناً في الصحف. وبالمناسبة فسيزدحها جداً نظرتك لها على أنها طفلة».

نفهم وجه سيرينا بینا ضحكت ديلفين بصوت رفق وقالت: «اعذراراتي لسيرينا». ثم صمتت لحظة قبل أن تتابع: «لسبب ما فهي ترى نفسها مدينة لك».

قال سين متشدقاً: «هل هي كذلك؟ لا أستطيع تخيل سبباً لها. المفروض أن يكون العكس تماماً».

«هذا ما ظننته. إن ريتشارد وكاميرون مشدودين لها بقوّة».

ساد صمت قصير ثم قال سين: «ما الذي أثار هذه النقطة؟»

«أى نقطة؟»

إحساسها المزعوم بأنها مدينة لي». بدت همجة سين جافة.

أجبت ديلفين: «في الواقع كنا نتحدث بشأن التأمين. وقد أسدت لي نصيحة أقوى العمل بها وعجب أن أتيحت لذلك ياسين».

وكانت سيرينا أنفاسها.

قال سين مستوضحاً: «وضحي لي» وأزداد جفاف صوته.

«إنها ترى أنني يجب أن العب دوراً أهم في حياتها. ويجب أن أزيد من أحاسيسها بأنها جزء من حياتي. إنها تعرف القليل عن مدى معارضتك لي في الماضي بخصوص ذلك ياسين. وأنا لم أوضح لها هذا. ولكن..»

فاطمها سين: كل ما عارضته على الدوام هو أنت إما أن تنتصفي بها أليها ذهب وإما أن تتركها للمرية تماماً» وأضاف بصوت أحسن: «وقد

مكثت ديلفين في روزود لمدة أربعة أيام. ودهش ريتشارد وكاميرون عندما أعلن أنها في أجازة من الدراسة. بل وفي إحدى الأمسيات خرجوا للتنزه الذي كان ريتشارد مولعاً به كما قاما بطهي طعامهم في الخلاء. وطوال الأربعية أيام لم يدر بخلد أياً منهم وجود أي توفرات. وعلى الأقل لم يصل إلى سمع سيرينا أي محادثة خاصة ما بين ديلفين وسين. وكان لابد أن تفترض سيرينا أنها قد سمعت خلافاتهما.

وفي الليلة السابقة ليوم رحيل ديلفين، أستيقظت في وقت متأخر بعد لروبرت بعض اللبن الدافيء. كان الجلوس بارداً وكان القطب بذرع المكان جبحة وذهرياً وهو يموج بصوت يدعوه للرئاء. رأت أن بعض اللبن الدافيء في جوفة قد يهدنه. وفي سكون الليل المطبق سارت في هدوء إلى المطبخ. وعندئذ تناهى إلى سمعها بوضوح محادنة في الحجرة المطلة على الجانب الآخر للمطبخ. ترددت سيرينا وقد تبعت للديها رغبتها في أستراحة السمع. ولكنها أدركت عندئذ أنها يتهدثان عنها. ولم تستطع التراجع ولو كانت حياتها متوقفة على ذلك.

كانت ديلفين تقول: «إن سيرينا طفلة غير عادلة».

سألها سين: «هل هذا سبب تحولك في منتصف الليل؟»

ولكن كل ما فعله أنه ضحك بأسلوب جعل سيرينا ترتفع بشدة.
كانت هناك فترة صمت أخرى. وأحسست سيرينا أنها تستطيع رؤية سين
وديلفين بوضوح يعني خيالها. لا بد أن سين يدوس هادئاً ولكن يلوح في
عيشه ذلك البريق الساخر وهو يتحقق ديلفين ببها تشع هي بالعداء وقد
توفّر جسدها الرشيق الجميل وبرقت عيناهما المضراواتان الساحرتان بالغضب
والاحباط. وحاذثت سيرينا نفسها في أنسٍ... كان بإمكانى أن أخبرك
أنه يكاد يكون مستعجلأً أن تنتصرى على سين وينت وورث لكتنى
فرجحت بأنك لا تعرفين ذلك.

وعندئذ قالت ديلفين في نورز: «على أية حال بصيحة سيرينا، أنا
لست تلك البني المتحجرة القلب التي تخيلها».
قال سين جلاء فيه: «أنا متلهف، أى جزء من بصيحة سيرينا، أظن
أنها كانت شاملة إلى حد كبير؟»
وعظمت سيرينا شفتها.

قالت ديلفين: «أن يقروا بزيفارى من حين لآخر» ثم أضافت في لفحة
نأكيدية: «زيارة هي الكلمة المقصودة يا سين، قبل أن تخطر يالك
الفكرة الخاطئة. بل إننى قد فكرت أنه قد يمكننى أخذها معى لمدة
يومين عند رحللى فى الغد، أنا أرجوك حتى الموت وأقسم لك أننى لم
أهرب بها ولن أغرض أخلاقها للخطر و...»
لكن سين قاطعها وغمض قاتلاً: «العقل الكبيرة تتشابه فى تفكيرها،
لقد كنت أنا نفسى على وشك أفتراح شيئاً ما شبه بذلك».
وإذا كانت ديلفين قد بهت للحظات فإن سيرينا أحسست بالأرتياخ
يلاً صدرها.

وبدا كأن ديلفين لا تستطيع أن تصدق أذنها وهى تقول: «إذن فأنت
لاتهدى بأساً فى ذلك».

«ليس من عادتى أن أقترح أموراً أجد بها بأساً، فضلاً عن ذلك
فأنت لم تلاحظنى أن رشاد فى الفترة الأخيرة...»

كان هذا هو سبب تركك لها هنا مع أندرو فى المقام الأول، كما كانت
هذه هي رغبته فى بقائها هنا حتى يكيرا، أم أنك نسيت؟»

قالت ديلفين بصوت يغلب عليه التوصل: «سين... ماحدث بيني
 وبين أندرو كان... حسناً، كان أمراً من تلك الأمور... مني توقف عن
عقابى بسيء؟»

سمعت سيرينا صوت أختكاك مقعد بالأرض أثناء دفعه للخلف.
وأجللت قليلاً عندما سمعت صوت سين باهى من مسافة أقرب وهو يقول
بتهكم: «أعاقبك؟»

قالت ديلفين بصوت رفيق: «أنت تعرف ما أقصده».
«ديلفين إذا كنت تقصددين ما أطنه أنت تقصدبني فأعلمك أنك تصيغين
وقنك.. سيبقى ريشارد كاميرون هنا».

وبعد برهة قالت ديلفين فى صوت متور: «يمكنتى اللجوء
للفضاء».

بامكانك ولكنك لن تفعلى، فهذا الوضع بلا شك تماماً، وبعث الله
لأندى فى الحديث عن ذلك مع سيرينا، ولا تخاولى مس أووار قلبها،
وبدا سين كأنه كان الغضب يمكن وراء كلمانه وهو يقول: «الساده
تعرف كم من المشاكل يمكن أن تحدث بسبب ذلك».

«أنا لن أفعل بالطبع.. أنا لن أفعل ولكن لا أفهم ما تعنيه».
قال سين بأقصى: «أنت لا تعرفين سيرينا جيداً مثلاً أعرفها، هذا كل
ما فى الأمر».

«ماذا.... ماذا لو أخبرتك أننى كنت... أفكر فى الزواج مرة أخرى؟
ماذا إذن باسين؟»

وبدا ساخراً وهو يقول: «هل ستتعلمين؟... أم أن هذا مجرد تكرار
ـ...»

وسمعت سيرينا أختكاك مقعد آخر بالأرض ببها أصدر ديلفين فجعاً
مستجناً وقالت: «أنا أكرهك أحياناً يا سين وينت وورث».

وعند هذه النقطة رأت سيرينا أنها لا تملك مبرراً للأستمرار في استرافق المسع. وكأنما كان لديها أصلاً مبرراً منطقياً لذلك. وأخذت طريقها في خفة وهدوء إلى حجرة نومها. كانت تشعر بالذنب وبالارتياح في نفس الوقت. وعندئذ أدركت أنها قد نسبت أمر اللبن الخاص بروبرت. ولكنه كان قد طوى نفسه على هيئة كرة صغيرة مشدودة وأستغرق في النوم.

عادت إلى فراشها. وأكشلت أن هناك شيئاً ما قد من فعله أوغار قليلاً. ونعيجب من سبب ذلك. لأن سين لم يستطع العفو عن زوجة أخيه السابقة طرورها من أخيه؟ حسناً... وأستغرقت في التفكير... لانني أشك غريبة. فمن السهل بالنسبة للغريب أن يرى الأمور جيداً... أقصد أنه لو كان أخي فرياً كثت أجد من الصعب أن أصفع عنها. ولكنى لا أعتقد أنها إنسانة سيئة.

حمل الصباح التالي بالمديد من مشاهد الأثارة البالغة. أقبل عليها ريتشارد صائحاً: «سيرينا... سيرينا، ماذا تخمنين؟» ظاهرت سيرينا بالدهشة قدر ما تستطيع وقالت: «ماذا؟» قال: «ستذهب اليوم إلى سيدني مع أمي».

وأضاف كاميرون في أتعجب: «لنبقى معها حتى نهاية الأسبوع. وستأتي السيدة دينى أيضاً لتعتني بنا أثناء ذهاب أمي للبروفات. ولنأخذنا أيضاً إلى طبيب الأسنان» وأنقبض وجهه قليلاً ولكن بدا واضحاً أنه حتى أحتمال ذهابهم لطبيب الأسنان فلم يكن ليجد كثيراً من فرحتها.

قالت سيرينا في نبرة دافئة: «هية... هذا شيء خرافى»، ولكنها كانت في الواقع تحاول بمحض أن تعرف على إنطباع ريتشارد عما وصل إلى حقيقة مشاعره. ولذلك لم تتبه لأول وهلة أن العناية بها أثناء ذهاب والديها للبروفات ينبغي أن تكون مهمتها هي.

عندئذ قالت ديلفين: «لقد أفترحت على سين أن تأتي معنا يا سيرينا ولكنه أمر السيدة دينى يتولى هذه المهمة ولذلك فهو ستفعل».

قالت سيرينا ببطء: «أنا... أوه» وأستغرقت في التفكير وهي تسأله عن سبب ذلك. ربما يكون قد أظن أن من السهل أن أضل طرفي بعيداً عن باري روززود. أراهن أن الأمر كذلك: كانت تحدث نفسها في سخط ولكنها كانت حريصه على الا تسمح لتعبرها أن يفضح مشاعرها. وعلى آية حال لم تكن هناك فائدة فإن المستهدف بسخطها -سين ونت ورت ذاته- كان كعادته... غير موجود على مائدة الأفطار.

لكن كانت السيدة دينى هي التي دفعت سيرينا إلى التعجب مما إذا كانت تشعر بالحنق تجاه سين. كان ذلك عندما قالت لها: «أنا نفس ناخوت كبيرة في زيارتى لطبيب الأسنان. إن لدى سنة أظن أنها بحاجة للعنود. لقد رأى سين ذلك قد لا تخدعه بأى في تولى مهام البيت بدلاً مني يا سيرينا».

«أوه... لا... بالطبع لا».

«لم أظن غير ذلك... حسناً. أحسب أنا يجب أن نستعرض ذلك سريعاً. إن بيل يتضرر أن نرحل في منتصف اليوم.. كان سين نفسه ذاهباً إلى بريزبان اليوم يا سيرينا ولكن يبدو أنه قد ألغى ذلك. لا أظن أنه يتضرر زواراً خلال الأيام القلائل القادمة. ولكن لا أحد يدرى. ولذلك قرر الفقى نظرة سريعة على بعض فوائم الطعام بخرب الاحتياط. وإذا نقل العمل عليك لأى طارىء فستانى سوزى جوزز لمساعدتك». كانت سوزى جوزز هي إبنة حداد عطة تربية الماشية. ذات السابعة عشرة ربيعاً. وأضافت السيدة دينى: «والآن يجب أن نخزن ممتاعنا».

في منتصف اليوم كانت سيرينا تشعر بالقطع انفاسها تماماً عندما لوحظت هى وسين بسود عليهم عند اقلاع الطائرة. ثم فجأة.. أتايها إحساس بيروط مقاجي.

وقالت سين: «حسناً... أنا أقصد.. حسناً».

سألها بانتساعه مقتضبة: «ما هو الحسن».

«لست أدرى... أنا أشعر إلى حد ما بأنني منعزلة عن العمل».

«يمكنك أن... تستجمي».

«أنا لست بارعة في ذلك... أقصد... في عمل لاش».

قال ساخراً: «هنا فرق بين الاسترخاء وعدم عمل شيء، يمكنك أن تقرأ... تكتب خطابات. رغم أنك لاتعملن الكثير من هذا أليس كذلك؟»

وافقت سيرينا قائلة: «ليس كثيراً» ثم أضافت: «ربما لأنني لم أتوقع أن أستطع الاسترخاء. أقصد أن ماحدث كان مفاجئاً إلى حد ما. أليس كذلك؟»

«لقد قيل لي أنه كان رايك أيضاً».

قالت سيرينا بحدり: «حسناً.. لقد سألتني ديلفين و... أنت لا تجده بأيام هذا. أليس كذلك؟»

نظر لها سين متأنلاً لمدة تقارب من الثانية. ثم قال فجأة: «مارايك فيها؟»

قالت سيرينا بتردد: ديلفين؟ أنا.. هي... أنا أظنه واحدة من أولئك الناس المهووبين حيث يفرض على عائلتها نوع من إقفالها. ولكنني أيضاً أعتقد أنها تهم بالتأمين ويمكنها الآن الأحسان بأنها أصبحت جزءاً أكبر من حياتها. ومن المهم أن يحدث التعديل اللازم. فالأطفال يفعلون».

ظل سين صامتاً فترة طويلة. وبدا وجهه متجرراً. وقطبت سيرينا جيبيها في قلق. ولاحظ ذلك فلوي شفتيه في سخرية وغمغم قائلة: «بالصادفة، فيعيداً عن إزعاج الأطفال فقد قصد أن تكون هذه نحبة لك.. أتفزى» وأشار إلى اللاندروفر التي جاءوا بها جميعاً إلى مهبط الطائرات.

وقال: «سوف أعيدك للمنزل حيث يحب أن تبد أي ممارسة في الاسترخاء».

وبالإضافة إلى ذلك، أنت متعطلة عن العمل».

«سوف أذهب لرؤية بتر بها بعض المشاكل. ويعجب أن أعود في حوالي الرابعة والنصف. وسيعود بيل في حوالي الخامسة. لا ترهق نفسك كثيراً بأمر عشاءنا غداً الثلاثاء وحدنا. إزلي» قالها سين بعد ما أوقف اللاندروفر بالقرب من بوابة الحديقة.

نظرت إليه سيرينا في تعجب.

فسألها: «ماذا؟»

«لا شيء».

قال بلهجة حادة: «لا... أنا لن آخذك معى يا سيرينا إذا كان هذا هو ما تفكرين فيه».

لقد كانت مجرد فكرة... أنا لم أر أطلاقاً تشغيل بتر».

«ليس هناك الكثير مما يمكن رؤيته. كما أنه سيكون سيراً في طريق هرب وجح حار.

«أنا لا أقوى بالذكك».

قال بجسم: «سيرينا... لا»

وسأله: هل أخطئت في شيء ما؟»

قال سين في ضجر: بالطبع لا.

«إذن لماذا...»

نظرها في سأم وقال: «حسناً. سوف أوضح لك الأمر تماماً. إن هذه البتر تقع في معسكر. هناك ثلاثة عمال آبار يقيمون في المعسكر ومهتمم فحص وصيانة الآبار في هذه المنطقة. وكل منهم يعمل لمدة شهر ثم يقوم بأسبعين أجازة. وهم يعمرون بزيارة واحدة أسبوعياً إلى المركز الرئيسي. ولذلك فهم يتضورون جوعاً لرؤية أشيء بشرية.

أمتعت لون سيرينا وقالت: «أوه... أنا...».

«سيكون صعباً بالنسبة لهم أن يركزوا على أصلاح البتر في وجود... مثال

أوه... لا» وأستدارت تندفع إلى الداخل.
ولسوء الحظ فقد أصطدمت بسین عندما انعطفت عند أحد الأرکان
أثناء إندفاعها.

وغمغم قائلًا: «فهي مكانك» ووضع يده على كتفها بحنانها.
وسألها: «أين الطعام؟»

خرج صوت كأنه فحيح مستجهن وقالت: «إرفع يدك عنـي...
أيا... المخانق.. كـيف أـسـطـعـتـ؟» وزعمت يده عنـ كتفها.

أمـكـ هـاـ قـائـلاـ فـىـ لـهـجـةـ جـادـةـ: «لـاتـقـعـلـىـ ذـلـكـ يـاسـيرـنـاـ إـلاـ إـذـاـ
أـرـدـتـ أـنـ يـصـفـعـ وـجـهـكـ.ـ هـلـ لـكـ أـنـ تـغـرـبـنـىـ بـماـ جـهـذـينـ بـهـ؟ـ»ـ وأـمـكـ
بعـصـمـهاـ بـقـبـضـةـ حـدـيدـيةـ.

وـصـاحـتـ: «لـقـدـ وـقـتـ يـكـ.ـ وـلـمـ تـكـفـ بـالـسـؤـالـ عـنـيـ وـالـتـنـفـلـ عـلـىـ
بـلـ أحـضـرـنـهـ إـلـىـ هـنـاـ.ـ لـقـدـ قـلـتـ لـهـ وـقـلـتـ هـاـ وـهـاـنـاـ أـقـولـ لـكـ الـآنـ:ـ أـنـاـ
أـفـضـلـ الـمـوـتـ عـلـىـ الزـوـاجـ مـنـهـ.ـ هـلـ تـفـهـمـ؟ـ»ـ كـانـ صـوـتهاـ بـرـفـعـ فـيـ
هـيـسـيـرـيـةـ.

قال سـيـنـ وـهـوـ بـصـرـ عـلـىـ أـسـانـهـ: «أـنـاـ لـاـ أـفـهـمـ شـيـئـاـ».ـ وـحـدـرـهـ قـائـلاـ:
«وـلـكـ إـذـاـ لـمـ يـهـذـشـ فـسـوـفـ الـطـمـ وـجـهـكـ»ـ ثـمـ أـضـافـ بـفـظـاظـةـ: «أـدـخـلـ
هـنـاـ»ـ وـرـفـعـ بـابـ الـحـجـرـةـ بـكـفـهـ.

وـدـفـعـهـاـ إـلـىـ الـحـجـرـةـ ثـمـ أـسـتـدـارـ إـلـىـ الـبـابـ عـنـدـهـ سـمعـ بـيلـ يـطـرقـهـ.

قال فـيـ ضـجـعـ: «رـجـاـ يـمـكـنـكـ أـنـ تـشـرـحـ لـيـ ذـلـكـ يـاـ بـيلـ»ـ.

عـسـ وـجـهـ بـيلـ عـنـدـهـ رـأـيـ مـظـهـرـ سـيرـنـاـ المـضـطـرـ عـمـ وـقـالـ: «يـوـجـدـ
شـخـصـ يـرـيدـ رـوـيـةـ سـيرـنـاـ...ـ هـلـ هـذـاـ مـاـ قـصـبـدـهـ؟ـ»ـ

قال سـيـنـ يـاـقـضـابـ: «عـلـىـ مـاـ بـيـدـوـ.ـ كـيفـ وـصـلـ إـلـىـ هـنـاـ؟ـ»ـ

أـرـجـعـتـ سـيرـنـاـ وـجـهـتـ عـيـنـاهـاـ وـهـيـ تـقـولـ فـيـ وـجـلـ: «لـاـ أـرـيدـ أـنـ
أـرـاهـ»ـ.

حـلـقـ فـيـ سـيـنـ وـقـدـ ضـاقـتـ عـيـنـاهـ ثـمـ تـوـرـجـهـ إـلـىـ بـيلـ قـائـلاـ فـيـ حـسـمـ:
«هـلـ لـكـ أـنـ تـغـرـبـهـ.ـ أـيـاـ مـنـ كـانـ يـأـنـ سـيرـنـاـ مـتـوـعـكـةـ الصـحـةـ حـالـاـ؟ـ...ـ

فريد من الجنس اللطيف مثلث حوضم». غممت سيرينا: «إنى ذاهبة... إنى ذاهبة». وفرت من اللاندروفر. وأنطلق سين مسرعاً.

وصاحت بقوة في اللاندروفر المتطلقة: «لا يمكنني أن أحوال دون كوني أتنى من ذلك الجنس» وتابعت «ولعلمك ياسين ونت وورث فكل ما تأنى بي إلى هنا هو حشد لا يائي من المشاكل الغير عادلة على الأطلاق حسناً أرى. وذلك إذا كان لابد أن نعلم».

ومرت بها فترة بعد الظهر في هدوء: «تناولت غداء خفيفاً وأعدت بعض التجهيزات للعشاء. وانتفت كتاباً وأرتدت ملابس الاستحمام وتناولت مشففه ثم خرجت إلى بقعة حضراء جميلة من المرج بجوار الأشجار المغطاة بنبات البلاط والتي تنمو حول حمام السباحة. وأمضت وقتاً طيباً تستمتع بالقراءة ويعمامات الشمس.

ووفاء بما قاله.. فقد عاد سين باللاندروفر في الرابعة والنصف ولكنه ذهب مباشرة إلى الدش. وجاءت سيرينا حاجياتها وذهبت لتبدل ملابسها. وأرتدت بنطلون جينز وبليوزة وردية داكنة تكشف عن ذراعيها. ومشطت شعرها وضفرته إلى جديله عريضة واحدة تدللت على كتفها. وبعد نظرة خاطفة لنفسها في المرأة أتجهت إلى المطبخ لإعداد العشاء. ولكن جذب إنتباها صوت طائر غريب وخرجت إلى الشرفة عاصماً تستطيع رؤية ذلك الطائر. ولكن دون طائل. وبدلاً من ذلك وجدت بيل يقبل بسيارة اللاندروفر عبر الطريق المؤدى للمنزل.

وغممت نفسها: «لقد كانت هذه رحلة سريعة». وتوقفت اللاندروفر وفتح بابها الأمامي. ولوت سيرينا قسمات وجهها. فمن الواضح أن بيل قد أحضر معه زائر. وبدون شك فيجب عليها السيدة دينبي من تكرار تعرضها مثل هذا الموقف.

وعند هذا الحد أحست سيرينا أن هناك شيء مألوف على نحو غامض بخصوص زائر بيل. وعندها صاحت عيناها ثم شهقت هامسة: «لا...»

فكرت للحظة ثم قالت في تلعم: «إنه... لقد بدأ كل شيء عندما تزرت والدتي. كتلت في الرابعة عشرة. أحس والدى بالحرمان النام. وقد كانا فربين جداً. وعلى نحو مفاجئ -لى على الأقل- تزوج مرة أخرى. لم استطع تصديق ذلك. كانت زوجة أبي أصغر منه إلى حد كبير بعض الشيء...» وأضافت في إفعال: «وإن كان لك أن تعلم فقد كرهناها».

غمغم سين وقد أرنس على شفتيه شبح أبتسامة: «هذا لا يدهشنى أطلاقاً. إنها تحدث لك بهوله.. تلك المقدرة على كراهية الناس» ثم أضاف بنظرة ساخرة: «على ما أعلم» ثم خفت بريق عينيه قليلاً وأضاف: «حسناً. يمكنني أن أفهم ما شعرت به. ماذا حدث عندك؟» أرجهت شفنا سيرينا وقالت: «لقد مات فجأة بأزمة قلبية» وأناحت بوجهها عندما عليه دمعة وحيدة. وتابعت: «إنه... عندك عرفت أن كان يعلم بأن لديه منابع بخصوص القلب. وأنه قد كتب وصية يعنينا فيها حارسة شرعية ووصية على تحسباً لهذا الاحتمال». كان هناك صمت قصير لاحت خلاله نظرة حادة في عيني سين. وأخيراً قال: «أنا أفهم. أين تدخل رالف هذا في الأمر؟»

قالت سيرينا في توتر: «إنه... شفتها الأصغر. لقد جاء للمعيشة معنا بعد وفاة والدى وكما ترى فحسب الوصية... فقد ترك لها والدى منزلنا في مليون ودخلاً صغيراً. ولكن كل ما تبقى بما فيه محطة تربية الأغنام فقد تركه لي. ولكن.. كان كل شيء متراكماً وغطت وصيتها حتى أبلغ الواحدة والعشرين أو أن تزوج... أنها أقرب».

قال سين بصوت هادئ: «أوه... لقد بدأت أدرك الأمر» ثم عقب «ولكن من الغريب أن يترك وصية كهذه».

قالت سيرينا بلهجة فاسية: «لقد كان مسلوب اللب. ربما الإحساس الشديد بالوحدة. ولكنه لم يدرك أطلاقاً أنها كانت تطعم فى أمواله. أنا متاكدة أنها أقتنعه بإيقاع هذه الجملة وأظن أنه من حسن الطالع إلى حد

ولكن... قدم له مشروباً أو أي شيء. ولكن يجعله يبقى حتى أفهم ذلك الأمر».

أومأ بيل برأسه وخرج وأوصى الباب بينما أتجه سين إلى غرفة زجاجات الشراب وصب لها قليلاً من البراندي.

قدم الكوب إلى سيرينا فائللاً: «أشربى هذا» ثم أغلق عينيه في غضب بينما كانت تتبع الكوب. وقال بلهجة آمرة: «لا تتجرعن.. أرضفيه».

وفعلت ما أمرت به. وأندفعت الدماء إلى وجهها. «والآن» قال وجذب مقعداً وجلس أمامها وقد باعد ما بين ساقيه ثم تابع: «أنا أنتظر أن تخبريني بتفاصيل هذا الأمر». «أنت تقصد... أنت لا تعرف من يكون رالف؟ ولكن يمكن وجدني إذن؟»

هز سين كتفيه فائللاً: «سلبني ماشت» وتناول الكوب الفارغ من بين أصابعها وأنتهى مستديراً على المكتب خلفه. وقال: «من يكون... رالف هذا؟»

ترددت سيرينا في بوس. قال سين بصوت هادئ ولكنه بارد: «سيرينا.. لقد تعيت من التكرار. ولكن على سبيل التذكرة فسألول مرة أخرى. أنا لا أعرف شيئاً. ولكنني لأنوى البقاء أكثر من ذلك في ضباب هذا الجهل. لقد أنتهيت صفقتنا الآن. أنت تنتظرين مني أن أنقذك من رالف هذا. وهو ما يبدوا لي أنه محور الموضوع. أم أنت على خطأ؟» أرتعشت سيرينا وقالت: «لا».

قال بلهجة آمرة: «إذن فمن الأفضل أن تخبريني بالحقيقة. الحقيقة الكاملة ولا شيء غيرها. إيدى» الآن «.

ابتلمت لهاجاً ولعقت شفتيها ثم قالت في عجز: «إنه ليس سهلاً». «لم أتغير على الأطلاق أنه سهل. لماذا لا تخرين حسب تسلل الأحداث

و霎طها: «وفذا هربت». وقال بصوت متوتر تدافع عما فعلته: «كان هو الشيء الوحيد الذي أستطعت عمله.. حسناً. إن الخيار الآخر لم يعجبني». «خيار آخر».

«العنور على شخص آخر يتزوجني... أقصد... مجرد أن أتمكن من وضع يدي على ما هو حق شرعاً لي».

قال سين: «أنا أفهم» ورغم ذلك كانت السخرية تلوك في عينيه. وتتابع: يمكن أن يكون ذلك أيضاً خطراً بعض الشيء». لوت سيرينا فسمات وجهها وقالت: «إنه لم يكن خياراً بالمعنى الحقيقي لسبب واحد هو أنني لم أكن أعرف أي رجل. وهذا ولغيره رأوا أن رالف قد أغناى فعلاً عن ذلك على أيام حال.. إنه يجعلنى أشعر بالغثيان.

وعلق قائلاً: «هذا لا يعني أن كل رجل تقابلهم سيكون له نفس التأثير» ثم قطب جيبيه وتتابع: «إذا كان الوضع كذلك فإن العمل في ملهمي بذلك لأنه كان شيئاً بغيضاً».

وافقه سيرينا بصوت كثيف: «لقد كان. ولكن عندما تكون جائعاً فإن ما يمكنك تحمله يصبح شيئاً أجبارياً لا خيار فيه. ولكنني لم أحقر نحاحاً كبيراً هناك. أنا... أنا... أنا... لقد تم صرفى من الخدمة صبيحة الليلة التي أفقدتني فيها من راكب الدراجة البخارية المرعب» ثم أضافت بصوت شابه التوتر: «أنا لم أخبرك بذلك».

«لقد عرفت في ذلك الحين. ولكن لماذا لم تقدمي بطلب للحصول على إعانة البطالة؟

نهدت سيرينا وقالت: لقد حشيت أن أفعل ذلك مخافة أن يستطعوا تعقبى من خلال ذلك. لقد أستخدمت اسم عائلة والدى للحصول على الوظيفة في الملهى».

«أنا أفهم».

كثير أنها لم تتمكن من إقناعه بترك كل شيء لها تماماً. «إذا كان الأمر كما تقولين فربما تكون قد أدركت أنك ستقابلنا بكل قوة. أستمرى».

«حسناً. في البداية لم يكن الأمر شيئاً جداً. كنت في مدرسة داخلية. وعلى الأقل لم يكن هناك تغير. وأنباء الأجهزة إنادوا... أن يغروا من برنامج حياتهم لكن أستمع بوقت طيب كما تعرف.. مساج ورحلات وأيام على الشاطئ وملابس جميلة» وتوقفت ثم قال: «بل إنني بدأت أعتقد أنها لم تكن سبعة جداً على الأطلاق. ولم يكن رالف يكره من تواجده. ولكن عندما بلغت إلى السابعة عشرة بدأت الاختلط أنه اعتاد النظر لي كثيراً. ولم يعجبني ذلك».

وبعد لحظة سألها سين: «وماذا فعل أيضاً؟» ترددت سيرينا ثم قالت: «حسناً. عندئذ بدأت الاختلط أنه يحاول دائماً أن يلمضني. إن..»

وهزت كتفها أستهجاناً وقالت: «لقد أوقع ذلك في نفس أحاسيس بالخوف والبغض الشديد».

قال سين: «سيرينا... هل تغولين القول بأن زوجة أبيك خططت لزواجك من أخيها؟ لكن يضعوا أيديهم على تركتك؟»

وتنتمت سيرينا: «ن... نعم. وعلى الفور تركت المدرسة. لقد أتضحت الصورة أمامي تماماً». لقد أردت السفر وعمل أشياء ظلت أحلم بها لأعوام. ولكنهم لم يدعوني. لم يدعوني أبعد عن بصرهم. وطوال الوقت كان يراقبني... و...»

قال سين ببعض الاهتمام السطحي: «حسناً. لا تتعذبى نفسك» ثم أضاف وكأنه بحث نفسه: « وبالطبع كانت تسيطر على الأنفاق» ثم تابع: «أظن أنه ليس لك أقارب آخرين يمكنك اللجوء إليهم؟»

قالت سيرينا بحزن: «لا... و يوم مالم أستطيع مجرد الأستمرار في تحمل ذلك. وفذا...»

«سirina.. أى جحيم يُؤدى له ذلك؟»
 «هل... سين» والتفت سيرينا نفسها عميقاً وقالات: «هل تفكّر في الزواج مني؟»
 أندفع برغبي ويزيد. وأجعلت سيرينا ولكنها الحت فائلة: «أنا أقصد فقط زواج مصلحة. مجرد أنه يمكنني من تركني. ولا داعي لإخبار أي فرد عنه.. أى فرد هنا. يمكننا الاستمرار كما نحن..»
 وفاطمها بصوت أذهب الدماء من وجهها: «سيرينا... لا». «سين». «لا».

وشحب لونها تماماً. وهست في توصل: «ولكنني لا أدرى ما يمكنني عمله غير ذلك... هناك ما يزيد على عامين حتى أصبح في الخامسة والعشرين. وهذا وقت طويل بالنسبة لفضائه في المرض وأكساب رزقى بنفسى ومن طرق لا أحسن تفانها». «سيرينا لا يمكنه حملك إلى المذبح وأنت تصرخين وتترفين بقدحيك».

«أنت لا تعرفه. وعلى أية حال فلدى ذلك الأحساس الرهيب بأنه ربما.. لا يتضرر حتى يحملنى إلى المذبح إذا تمكّن مني مرة أخرى. أنا... ربما لأنك رجل فأنت لا تفهم ذلك. إنه لا يثير في نفسى الشعور بالغثيان بل إنه يخفيفني بدرجة مرعبة.. مجرد التفكير بأنه فى نفس البيت..» وتوقفت ودست وجهها بين يديها.

وأخيراً قال سين بصوت غير عادى: «سيرينا.. أنظري لي». ونظرت له على مضضه وقد أمتلأت عيناه بالأسى وسالت على وجهها دموع صامتة.

وقطب جبينه ودم يده يلمس وجنتها المبتلة. وقال: «أخبريني بشيء واحد... هل يسعدك أن تقيمي معنا هنا حتى تبلغى الخامسة والعشرين». قالت بصوت كتب: بالطبع سأكون.. لقد أحببت هذا المكان

سألته سيرينا بصوت مرتعش: «هل... هل تصدقنى؟»
 «نعم إلى حد غريب. إنه يبدو التفسير الوحيد المقبول» ثم قال ساخراً: «الآن أنا أعرفك بدرجة أكبر» وأضافت: «رغم أننى لا أجد سبباً يمنعك من إخباري بذلك منذ البداية». «أنا لم أعرفك جيداً. أليس كذلك؟ أقصد أننى لم أكن أعرفك لن تصيح في النهاية مثل رالف فأعتقدت أن من الأفضل أن أحافظ به لنفسى».

وبدا بريق غريب في عيني سين وهو ينظر إليها في هدوء حتى بدأ وجهها يتختسب خجلاً. وعندئذ أندفعت فائلة: بالطبع لم يمض وقت طويل حتى بدأت أدرك أنك لست كذلك على الأخلاق...» غعم فائلة: كم هو عطف منك». ولكن ما زلت لا أدرى إذا ما كنت تظن من واجبك أن تسلمنى له» وأمنت بدها المرتّعة تلمس يده. وهست: «أنت لن تفعل. أليس كذلك؟

تناول يدها بين يديه وحدق فيها فائلة: «أنا... سيرينا». ولكن سيرينا شهقت وهبت واقفة وقد أنسّعت عيناه. وقالت: «لقد طرأ لي خاطر. سين.. لابد أننى آخر إنسان يمكن أن تزوجها. أليس كذلك؟»

وحلق فيها وقد ضافت عيناه.

«أقصد أننى لست من نفس نمطك. أليس كذلك؟ وأنا أصغر منك بأميال. وعلى أية حال فأنا لا... حسناً... أنا لا أثيرك.. أليس كذلك؟» «سيرينا».

ولكن سيرينا لم تكن في حالة تسمح بمقاطعتها. فأستمرت: «الشيء الآخر أنك لن تكون طامعاً في تركى. أليس كذلك؟. أنت لديك من الممتلكات أكبر مما تحتاج. أليس كذلك؟»

سريرات الغضب. ثم أضاف: «إن أختي مفرمة بسيرينا. وهي لا تزيد إلا ما يكون أفضل من ها». «أول لك».

بدت في عيني رالف نظرة ماذجة متسائلة. قال سين بيده: «إن رواية سيرينا تختلف قليلاً». وفي الحال عاد التيقظ والخزير ينطبعان على وجه رالف. وأستر سين: «في الواقع أن سيرينا تعتقد أنك وأختك قد خطط لها بوسيلة أو بأخرى لتحقيق زواجك منها. وبالتالي الاستحواذ على فركتها الكبيرة في قبضتكما». أدار رالف رأسه إلى سيرينا وقال بصوت هادئ متوجهاً: «بالث من عاهرة حقيقة». وأنزوت سيرينا في مقعدها.

ضم الصمت النام على الحجرة للحظة. وعندئذ أدرك رالف أنه قد أرتكب خطأ تكبّياً غبياً فهضم وأخذ يصبح متوجعاً ومهدداً. ولكن سين قاطعه بعده قائلاً: «أجلس يا تايلور» كان صوته بارداً بدرجة لم تسمعها سيرينا من قبل. وتتابع قائلاً: «وأنت لي.. لأنك من المهم أن تفهم ذلك بوضوح وصراحة. من الآن فصاعداً فأنت وأختك ستراكان سيرينا لحالها. وإياكما من مجرد محاولة عمل أي شيء معها إلا إذا كنتما تتعابان التعامل معه».

«ولكن... أختي لها حقوق...» وقاطعه سين: «وكذلك سيرينا. وأنا أعتزم حماية حقوقها حتى لو نطلب ذلك رفع الأمر إلى القضاء. لا أظنه شيئاً طيباً أن تفرضان عليها ولا ينكما حتى أنها لم تجد منفذ سوى الحرب. وهي لا تمتلك بنساً واحداً. فماذا بعد. وفي الحقيقة لا يوجد ما يعني من إثارة الدعاوى القضائية ضد كي الآن». وقف الف مرة أخرى. وأكسا وجهه بقناع ملتب من العرق والغضب وقال بصوت متوتر: «تجرب ذلك».

«أحببت عملى... ولكن...» «هل أنت متأكدة تماماً؟» «نعم ولكن..»

«إذن جفوني دموعك لأنني ذاهب لإحضار رالف هذا هنا.. وأسأوضح بعض الأمور لذلك التقط». قال سين ببرود: «لماذا لا تجلس يا سيد تايلور؟»

كان رالف تايلور في مثل طول سين. وقد كانت هذه هي نقطة التشابه الوحيدة بينها بصرف النظر عن أنها كانت في نفس السن تقريباً. ولكن بينما لم يكن سين يحمل ألوقة واحدة من اللحم على جسده المتancock الرشيق الطويل فإن الحدود الخارجية لجسد رالف غير واضحة بتأثير سين المعيبة الرعدة والجهد القليل.

صرفت سيرينا بصرها عن شفتيه المكتترتين وأخذت رجفة كادت تسرى يكتها.

وأشار سين إلى كرسي مجلس رالف ولكن كانت عيناه العسليتان الداكنتان منتبدين كما لو كان يحاول إدراك الجسر السادس.

قال سين: «أظن أنك جئت لروبة سيرينا». أسم رالف والقى نظرة خاطفة على سيرينا. وقال بصوت هادئ: «ليس ذلك فقط بل لا يمكنني إخبارك ببعدي إياها لم نهونا عليها».

لمع عينا رالف بالأرجواح وقال: «نعم. إن أختي هي حارسة سيرينا الشرعية والوصية عليها».

قاطعه سين قائلاً في هجة مقتضبة باردة: «وقد كانت متزوجة من والد سيرينا. وبالمناسبة فكيف فقدت سيرينا؟»

تردد رالف ثم قال أخيراً: «لقد كان.. سوء تفاهم بسيط» وبغضب رقيق وجه نظرة خاطفة إلى سيرينا. ثم وجه إلى سين نظرة رجل لرجل تعنى أنها تعرف إلى أى مدى يمكن أن تكون هؤلاء الفتيات الصغيرات

الفصل السادس

(السجلات الطيبة)

أغلق سين الباب خلفها وعاد إلى سيرينا. وضع يده على كتفها وقال: «لقد أنهى الأمر الآن».

ولكن يبدو أنه لم ينته بالنسبة لسيرينا. ووقفت تردد أن تشكره ولكن لم تسعفها الكلمات لم يكن هناك سوى الدمع التي سرعان ما تحولت إلى تشحّات مؤلمة. وأخيراً.. وكما لو كان ذلك هو أكبر الأشياء تلقائية في الوجود.. فعندما وضع ذراعيه حوطاً.. تعلقت به وكأنه القشة الوحيدة التي تمتلكها في خضم الحياة.

وأخيراً.. دفعها برفقة إلى كرس ذا ذراعيه وجلس بجوارها. وقال: «سيرينا نوقف الآن. سوف تصابين بالأغماء». وأستقر برتب على شعرها.

أصابها الفوّاق. وقالت: «أنا.. أنا أحاول. شكرأ لك لأنك صدقتني وفعلت ما فعلت. أنا في غاية الأمتنان. أنا لا أدرى أطلقاً كيف أكافئه معرفتك».

لوي سين قسّات وجهه الذي كان يعلو رأسها. وقال: لا داعي. إنه ما كان سيفعله أغلب الناس».

تشفت دموعها. قائلة: «لا... ليس كذلك». وأسندت رأسها إلى

قال سين هدوء: «لاتغرينى. بل علاوة على ذلك... فإذا وضعنا أصبعاكا علينا مرة أخرى فما يسعدنى جداً أن اقدم لك العقاب القاسى الذى يليق بك».

أنت لن تقدر أن...»

قال سين: «أوه... أنا أقدر»، ولعل عباء الخضراء الرمادية، ولكننى سأكتفى الآن بأن القبّك خارج المقاطعة». ورفع صوتها منادياً: «بيل» وأنجح خروج الباب.

لامد أن بيل كان يحوم أمام الباب بالخارج لأنه سرعان ما أندفع قائلة: «نعم يا مدير».

قال سين بصوت يقطّر إزدرااء: «أنا أريدك أن تطير بالسيد تايلور إلى دبلى. يمكنه أن يكلّ طرقه من هناك». وأستدار إلى رالف قائلاً: «هي شيء واحد... كيف أكتشف أن سيرينا موجودة هنا؟».

راحـت التعبـرات عـلـى وجـه رـالـف وـلـكـنـ كانـ أـقوـاـهاـ الضـبـبـ النـدـدـ. ولـلـحـظـةـ بـداـ عـلـيـهـ عـدـمـ الـأـذـعـانـ. وـعـنـدـنـ تـقـدـمـ بـيلـ دـاخـلـ المـخـرـجـ طـرـفةـ إـيـاحـيـةـ فـقـالـ رـالـفـ بـلـهـجـةـ وـقـحةـ: لـسـ أـدـرـىـ فـانـدـةـ لـدـلـكـ. لـكـبـاـ كـانـتـ نـاظـرـةـ مـدـرـسـتـهاـ الـقـدـيـمةـ. لـقـدـ التـقـتـ بـهاـ شـفـقـتـيـ الـمـصـادـدـ مـدـ بـضـعـةـ أـيـامـ وـسـأـلـنـاـ عـنـ حـالـ سـيرـينـاـ فـيـ وـظـيـفـتـهاـ الـجـديـدـةـ.

عـمـ سـينـ قـائـلـاـ: «حسـناـ. عـلـىـ الـأـقـلـ هـذـاـ يـعـيـشـ مـنـ الـعـقـابـ»، وـوـحـدـ هـلـةـ يـكـمـ إـلـىـ سـيرـينـاـ التـيـ كـانـتـ جـامـدـةـ فـيـ مـقـدـدـهـاـ وـكـانـاـ نـسـتـالـ. هـمـ أـحـدـتـ تـعـبـرـاتـ وـجـهـهـ وـالـفـتـتـ إـلـىـ رـالـفـ وـقـالـ فـيـ هـدـوـعـ نـامـ وـلـكـ مـهـدـدـ وـاضـعـ: «خرـكـ.. أـنـتـ... أـهـاـ اللـفـيـطـ الـخـيـسـ».

وـحـركـ رـالـفـ... بـلـ أـسـرـعـ خـطـاهـ خـارـجاـ.

لقد مضى حوالي ساعة واحدة».

«كل هذا؟ إنني أشعر كما لو أن حياتي قد دارت بما يشبه العالم الصغير. أوه.. مسكن يا بيل. أنا أشعر بالذنب لأنني عرّفته لكل تلك المتعاب. ولكنني سأحتفظ بعض الطعام لعشائري. ولكنني لم أجد فرصة مطلقاً لأسألك.. هل قلت بأصلاح تلك البئر».

«نعم».

«حسناً» سجّلت سيرينا نفسها من فرق صدره وأستدارت تبتسم له وقالت: «لازلت لا أعرف كيف أشكّرك. ولكنني سأحاول أن أكون معلمة غرّوجية من الآن فصاعداً. ولذلك فلن نندم على مالعمته لأجلني».

قال بيديه: «أنا لم أبدل جهداً كبيراً». كان صوره جاداً ولكن كانت عيناه ساخرتين.

«لم لا؟»

هز كتفيه وقال: «كنت أفضل لو أنك تعاملت مع الأمر بآعصاب هادئة. ما عليك سوى الامتنار مثلاً كنت».

فكّرت سيرينا هلياً ثم قالت: «بأنّا كيد سيكون أسهل الآن فانا أعرف أنك لا تتوقع مني... أن... حسناً. أتساءل عما إذا كنت سأدفع مهاجرة الرجل القادم الذي ينظر لي».

«أنا أعتذر عن ذلك. ولكن يجب أن تعرّفني بأنه لو لا قدرتني على قراءة الأنوار.. لكان ذلك مجرد أفرض ذا قيمة».

مرة أخرى فكرت سيرينا علياً.

نعم سين: «في وقت»

لرت سيرينا قسمات وجهها وقالت: «أظن ذلك. ولكنه شيء مضحك فعلاً».

رفع سين حاجبيه.

ونابت: «حسناً. في الواقع أنت العكس تماماً».

كتفه وتابعت: «لم أكن لأشعر بمثل هذا الأمان مع أي شخص آخر».

قال بيقطه: «ولذلك..» ومسد بيده شعرها الرطب وأزاح خلف أذنيها بعض خصلاته التي كانت على وجنتها. وتتابع قائلة: «أنا أشك فيا إذا كان رالف تابلور سيزعجك مرة أخرى. ولكننا نستطيع أن نقاوميه إذا ما أراد ذلك فعلاً. هناك نقطة واحدة تعدد معوقه».

هربت كفها وهيست: «أنا لا أريد أطلاقاً أن أضرّر لرؤسها مرة أخرى».

هذا ما أقصده. أنت لن تضطرّي مجرد رؤسها أو رؤيتها بل سيكون عليك أن تستبعدي كل ذلك بتفصيل حي».

«إذا كنت فعلاً لاغعد بأساً في بقائي هنا حتى أبلغ الخادمة والشرين...»

«لقد قلت لك بأنني لا أجد. ولكن هناك مشكلة أخرى. أنا أفكّر في عمل نوع من التحقيق ب مجرد الاحتياط كي لا تضع زوجة أبيك خططاً أخرى لأمسترزاف ممتلكاتك بطريقة ما. الآن أنت لست فاقدة ويمكنك طلب مراجعة للحسابات. هل تودين أن أنظم ذلك لك؟»

«أوه.. نعم. أرجوك».

«وتحفة الأغnam هذه. ما الوضع هناك؟»

« يوجد مدبر يتولى أمرها. وهو هناك منذ أعوام وأنا أعرف أن والدي كان يثق به، إنه يديرها كأنها مملكة».

«حسناً. هل أنت الآن على هايرام».

وغمغمت سيرينا ببطء نظر سين إلى وجهها الشاحب ورموشها المسدلة وهي تعبيت بأحد أزرار قبصه. وعندئذ رفع رأسه وحدق عبر الحاجز بدون تركيز وقد التوت شفتيه ببعض السخرية الخفية. ولكنه قال: «أنا لا أدرى ما بك. ولكنني أشعر بالجلوع».

هبت سيرينا واقفة وضربت بيدها على فمها قائلة: «لقد وضعت كسرولة في الفرن. إنها تحتاج إلى ساعة واحدة فقط».

«ذلك .. أمكن تغييره».

سألها وهو يرمي بها بفضول غريب: «هل سبق أن أختلطنا مع أي أولاد؟» «غير حقيقي.. لقد ذهبت إلى مدرسة بنات.. وعندئذ..»

«في الوقت الذي أصبحت فيه مشدودة للأولاد تدخل رالف وزوجة أبيك. إنك إذا أستطعت فسنان كل ما ينصل بذلك فربما.. تخدين الأمور قد سارت في مسارها الطبيعي». .

فكرة سيرنا قليلاً ثم قالت: «هل تقصد أن نموي كان مقيداً إلى حد ما؟ ولم يسلك الطريق الصحيح؟ إن..» وصمتت ثم أبسمت فجأة.
«ماذا هناك؟»

قال سين في صير: «لا... ماذا هناك؟» «فقط رأيت أن... حسناً.. أنه فعلاً شيء مصباحك.. هل تعلم». .

يبدو كما لو أنك لا تجد يأساً في أخناد صديقاً من الشباب الآن بعها فليمض..» ولاحت على شفتيه أنسامة ساخرة . وقال : «أنا المتكلم ». قالت سيرينا بمحض لفظ لا أظن أنها ستكون مشكلة . إلا إذا استطاعت العثرة على شخص ما مثل ..» وصمتت فجأة واتسعت عيناهما الباسجان وسرت الدمعاء بغزارة إلى وجنتها .

وَكَرِّرَ: «تَعْثِيرُنَّ عَلَى شَخْصٍ مَا».

وغميغت: «لا شيء... أنا لم أقصد... أوه». وغضت وجهها بذلت في أضطراب.

قال في إستغراق: «سirينا» كانت عيناه حمادية وجامدة . ونابع
فأثلاً: «ماذا ترينـه بيـ الآن؟» أندفعت نظرـها تلـافـي نظرـاته وهو يستطرد
فأثلاً: «هو نوع من شخصـية الأب .. المـدافـع» وصـمت .

وهمست: «نعم... نعم. لا بد أن يكون كذلك».

إِنَّمَا سِنِّ إِسْمَاعِيلَ يَاهْتَهُ وَقَالَ: «وَعِنْدَمَا تَلْخِصُنِّ مِنْ أَهْنَانِكَ الْأَلْدَ

ו'ג

فسنعود غداً إرساء إحساس سليم بلا شك. أقصد أنه سيكون هناك أوقات أهملت فيها بعده الأمانة. والعكس بالعكس مثلاً حدث بعد ظهر اليوم».

وتعلمت سرينا وهي تقول: «أنت... هل سمعتني؟»

«لم يكن ضرورياً. لقد كنت تلوحين بقبرشتك في وجهي».

سألت في صوت شاعر بالذنب: «لم أكن أنت كذلك؟»

رأي ابن حجر العسقلاني في مقدمة كتابه «الإمام والخطب»، حيث قال: «كانت أشادتهم شفاعة بذلك»، واعتبرت عناية بالضحك.

حدقت فيه سيرنا وقد دخلها مزيج من الانفعالات ... ورغمها عنها ...
اضطررت للضحك.

نهض سين وعيت بشعرها فاثلاً: «هذا أفضل... سوف نعود تماماً مثلاً كنا. وفي هذه الأثناء فلا بد أن كسرولنك قد تم طلبها بدرجة زائدة الآن».

وأجللت سيرنا. وقالت لقد أستمرت في نسيان ذلك الشيء البسيط. سأذهب». ولم تتحرك بوصة واحدة وأضافت في هجنة فاقعه: «هناك شيء واحد... مهم ولكن فسوف أظل دائمًا مدينة لك. ولبس يامكانك أن تقول شيئاً بغير داعي».

فألا هلا منهكداً: «اذن لـ أفعـاـ محمد المـحاـولـة».

وستدّت له نظرة مرتابة وهي تحس بالأرتياك وكما لو أنه لا بد من وجود وسيلة لحمله علىأخذ كلامها مأخذ الجد . ولكن عندما ثنى ذراعيه أمام صدره ورفع أحد حاجبيه ناظراً لها بدأ أن التعلق خبر من الشجاعة وفرّكت الحجرة في وقت

ولكن رغم جهود سين لإعادة الأمور إلى نصابها الطبيعي إلا أنه بدا أن بعض الردود الغريبة لما حدث قد بدأت تتعتمل في عقل سيرينا: أحد لم يكن جديداً. فقد أستحوذ عليها نفس الأحساس بأنها على حافة شيء

لأنه ينبع أن ندرة رعم أنها تعرف لدى الله تعالى بيني وبين الفعل. الآخر كان يأتاً كيد بتعلقي بي. وقد عملني ذلك في

«بالطبع... لا يوجد ما يدعو للقلق.. كل ما في الأمر أني كت مرتيبة».

قال سين بدوه: «نعم».

جلست سيرينا على الأرض في حجرة نومها نداعب روبرت، ونتظر أن تسمع صوت إقلاع الطائرة. ولكن ما سمعته أخيراً كان صوت توقف لاندروفر عند بوابة الحديقة. وأفترضت أنه بيل. ولكن الخطوات التي سمعتها قادمة عبر المترail تجاه حجرة نومها لم تبد مثل خطوات بيل. وقطعت جبيها وعندما رفعت بصرها وجدت سين مقللاً على حجرتها.

شهقت قائلة: «أنت... ولكن هل حدث خطأ ما؟». نظر لها سين بوجه جامد لما بقرب من عشر ثوان. ثم قال «لديك حس دقائق تجمعي بعض الحاجيات في حفيدة ملابس». «آه... لكنني لا أفهم». قال في صبر ساخر: «الأمر بسيط.. سأخذك معن».

«ولكن... لماذا؟»
«إذا كان لابد أن تعرفي. فإن فكرة جلوسك هنا يائسة وحيدة قد أثارت... صميري.. هلا ذهبت لجمع ملابسك أم أني يجب أن أفعل ذلك لك؟»

«سين» ونهضت سيرينا نابعة: «لا يمكنني الجني». سدد سين بصره إلى السماء وصر على أسنانه بشدة قائلة: «لما لا؟» أشعر أن... لقد كان هناك ما يشغلني و...» وتوقفت فجأة وقد بدا عليها بعض العجز. وأندت والتنفس روبرت عندما تكور حول كاحلها. وأضافت: «وعلى أية حال.. هناك روبرت».

«هل تقصددين ذلك فقط الضليل؟»
لقد تفاصف حجمه في الواقع ولكن لا يزال يجب علىي أن أطعمه من حين

الصباح التالي مباشرة على مائدة الأفطار الذي تناوله معها سين لأول مرة.

قدمت له سيرينا بعضاً من اللحم المقلي والبيض. وقالت: «هذا شيء غير عادي. لقد أستيقظت من إنفاق الفجر لأعد لك شيئاً ولكن بيل خرج».

ولم يزد سين على أن همهم. وبعد برهة نظر لها عبر المائدة وقال: «سيرينا.. كان من المفترض أن أذهب إلى بريزبان بالأمس لظروف العمل - وهي مدينة ساحلية في الواقع - ولكنني أجلت ذلك...» وردت بسرعة: أنا أعلم... لا... لقد أخبرتني السيدة ديني».

«حسناً. لقد تلقيت مكالمة تليفونية بالأمس. ولا أستطيع تأجيل هذا الأمر أكثر من ذلك. وسوف أطير إلى هناك هذا الصباح».

وحدقت فيه وقد فجرت قها. وقالت: «تطير؟»
«سيكون بيل هنا.. وسأطير بنفسي إلى هناك.. وستأتي سوزي جونز للبقاء حتى أثناء الليل»،
«أوه».

قال سين في تردد: «سيرينا... إن رالف لن يعود مرة أخرى».
«لا».
«سيرينا».

وبهضت قائلة: «كل شيء على ما يرام. سأكون بخير». وأخذت الجميع بخط الأطباق وتحملها إلى المطبخ وتبعد سين وقال: «لماذا إذن يبدو عليك الشحوب والخروف».

«أنا... أنا لم أدرك ذلك.. بيل...» ووقفت لحظة ثم نابعت: «بيل سيكون بالخارج وربما بأخر... هل يمكنني الذهاب معه؟»

«نعم إن أردت ذلك. هل تعلمين أنك ستقرب آمنة مع بيل وكأنك معن؟»

لآخر».

قال سين باقضاب: «أحضريه». «سين».

ورمقها على خو خطر وقال: سيرنا. أحضريه في سلة أو أى شيء.

أن تأخرى بزداد كلام عن الوقت».

وصاحت بصوت بالك: «ولكتنى أشعر بالخوف الآن».

«أنت تدهشتنى. لقد ظلتت أنت مستجذدين من الخوف لبقائك هنا بدوفنى؟»

نورد وجه سيرنا وقالت: «إنه مجرد... حسناً. لقد كان ذلك بالأمس فقط وقد كنت أحلم برالف في الليلة الماضية كما تعلم. أما الآن.. سوف... أنا متأكدة أننى سوف...».

قال سين بلهجة آمرة: «إذن في هذا الوقت أفعل بالضبط ما يقال لك. وبالمناسبة فهذا أمر من مخدومك وقد كاد صبره ينفذ». «حسناً...».

وأقسم سين في صوت هادئ. قالت: «سوف آتني».

بعد إفلاع الطائرة قالت في قلق: «لقد دار بخلدی شيء ما». رفع سين حاجبيه بينما نابت:

«ربما يعترضون على وجود فقط في الفندق.. حتى ولو كان فطاً صغيراً مثل هذا».

«لن نقيم في فندق؟» «لن فعل؟»

«لا. أحد أبناء عمى وزوجته لها منزل في جزيرة كابرى على الساحل الذهبي. وستقيم هناك».

«هل سيمدون بأساً... في وجودي».

«لا أظن ذلك. إن ديس ولورين ليس لديها أطفال وبالتالي فيها بجانب أطفال الآخرين».

«أنا لست...»

«أنت لازلت صغيرة إلى حد كبير. ولورين كبيرة بدرجة تكفى تماماً لأن تكون أمك».

«أوه».

«ولذلك فيما أدير أنا ودبس أعمالنا يمكنك أنت ولورين استعراض واجهات الحالات. أياً.. كان تخبيئ؟»

قالت سيرنا: «أنا أفهم».

«هل يعجبك ذلك؟»

«نعم».

قال سين في حبوبه: «أية أمر آخر؟»
«أنا... لا».

وعلق فائلاً: «أنا أفضل لوأنك كنت أمينة معى». والتوت شفتها بابتسامة ساخرة.

وعضست سيرنا شفتها وقالت: «إنه مجرد... حسناً. أنا أشعر بدوره فطيع. وأنا أعرف أنك ساخط على «وأسرعت تقول بلهجة مؤكدة: «ولا القى عليك بأقل لوم في ذلك» وأضافت بصوت لا يكاد يسمع: «لكتنى أفضل أن أكون في سجلاتك الطيبة».

كان سين صامتاً وقد رکر أنتباها على قيادة الطائرة. وبعد برهة أخذت سيرنا تحدق من نافذتها إلى الخارج بدون أن ترى شيئاً وهى تمنى لو أنها لم تهمس بتلك الكلمات. وأحسست بالذنب والخفاقة.

وعندئذ رفع إحدى يديه من على أجهزة التحكم وغضي بها قضيبها المتورنين وقال بصوت مهدى: إهدنى أيها الصغيرة... أنت في سجلاتي الطيبة. كل ما في الأمر أنتي أكون أحياناً ذا شخصية خشنة بصورة تلقائية».

كنت أنفاسها وقالت: «أنا.. هل تجدين بأساً كبيراً لو أتيتني لم آت إلى الحفلة؟ إنه... كل ما في الأمر أتنى لم أحضر معنـي ما يعـكـسـنـيـ أنـ أـرـقـدـيـهـ. لـقـدـ غـادـرـتـاـ عـلـىـ عـجـلـ وـكـنـتـ لـأـكـادـ أـعـرـفـ إـلـىـ أـينـ سـأـذـهـبـ». أـخـلـقـتـ لـورـينـ الـبـابـ. وـقـالـتـ: «عـزـيزـتـيـ... نـعـمـ.. سـاجـدـ بـأـسـاـ. وـأـنـاـ مـتـأـكـدـةـ أـنـيـ يـكـنـ أـنـ أـجـدـ شـيـئـاـ لـتـرـقـدـيـهـ».

«أوهـ... وـلـكـنـ».

«فيـ الحـقـيقـةـ. هـذـاـ سـبـبـ مـجـيـئـيـ. لـقـدـ خـطـرـ لـسـيـنـ أـنـكـ لـمـ تـحـمـمـيـ الـكـثـيرـ مـنـ مـتـاعـكـ.. وـالـآنـ دـعـيـاـ نـرـىـ» وـقـصـصـتـ سـيرـنـاـ بـدـقـةـ وـقـالـتـ: «أـنـاـ أـطـولـ قـلـيلـاـ وـ...ـ وـوـضـعـتـ عـيـنـاهـاـ بـالـسـخـرـيـةـ وـهـيـ تـضـيـقـ: «أـوـسـمـنـ قـلـيلـاـ» وـأـضـافـتـ «ـوـلـكـنــ وـكـمـ تـعـرـفـيـنــ فـيـكـنـ لـلـمـرـءـ أـنـ يـعـقـلـ الـعـجـزـاتـ هـذـهـ الـأـيـامـ بـأـسـتـخـدـامـ الـأـحـزـمـةـ. يـمـكـنـ أـنـ تـرـفـعـيـ الـبـلـوـزـةـ وـتـرـكـيـبـاـ تـهـبـلـ فـوقـ الـخـازـمـ. سـوـفـ أـذـهـبـ وـأـحـضـرـ قـطـعـتـيـنـ مـنـ الـبـابـ وـلـنـرـىـ مـاـ يـعـكـسـنـاـ عـمـلـهـ».

«ـحـسـاـ» قـالـتـ سـيرـنـاـ بـأـرـبـابـ. وـلـكـنـ كـانـتـ لـورـينـ قـدـ ذـهـبـتـ.

وـبـعـدـ فـتـرـةـ كـانـتـ لـورـينـ تـفـمـمـ قـائـلـةـ: «ـهـسـهـ... مـاـ رـأـيـكـ فـيـ هـذـاـ؟ـ»

يـعـكـسـتـ صـورـةـ سـيرـنـاـ مـنـ الـمـرـأـةـ تـحـمـلـ قـيـاـ.. شـابـةـ.. وـفـرـةـ.. وـأـنـفـةـ فـيـ نـوبـ منـ قـطـعـتـيـنـ. بـلـوـزـةـ عـاجـيـةـ الـلـوـنـ ذـاتـ أـكـافـ مـيـطـهـ وـأـكـامـ طـوـلـهـ طـبـقـةـ. وـكـانـتـ تـحـبـطـ خـصـرـهـ بـعـزـامـ بـيـاـ تـدـلـتـ الـبـلـوـزـةـ فـوقـ نـورـهـ (ـجـوـنـلـهـ) أـرـجـوـانـيـةـ مـتـفـخـخـةـ. وـعـقـدـتـ شـعـرـهـ خـلـفـ عـنـقـهـ بـرـياـطـ أـرـجـوـانـيـ مـتـوـافـقـ مـعـ زـيـاـ.

فتحـتـ سـيرـنـاـ عـيـنـاهـاـ بـدـهـشـةـ.

وـسـأـلـتـاـ لـورـينـ: «ـلـمـ يـعـجـبـكـ؟ـ»

أـجـابـتـ سـيرـنـاـ بـصـوـتـ تـغـلـفـهـ الرـهـبـةـ: «ـلـقـدـ أـحـبـيـتـهـ... إـنـهـ يـعـلـمـنـيـ أـشـعـرـ... لـسـتـ أـدـرـىـ. نـعـمـ. لـقـدـ عـرـفـتـ... إـنـهـ يـعـلـمـنـيـ أـشـعـرـ كـاـ لوـ كـنـتـ دـيـلـقـيـنـ».

ضـحـكـتـ لـورـينـ قـائـلـةـ: «ـهـلـ هـذـاـ أـحـدـ طـمـوحـاتـكـ؟ـ»

«ـبـلـ مـجـرـدـ أـنـيـ رـأـيـهـاـ مـثـلـ ذـلـكـ... حـسـاـ أـبـاـ مـاـ تـرـدـيـهـ فـيـاـ تـبـدـوـ فـيـ صـورـةـ

وـغـرـ سـيرـنـاـ طـوـقـانـ مـنـ السـعـادـةـ الـحـادـةـ. وـغـلـىـ ذـلـكـ فـيـ أـبـسـامـةـ مـتـأـلـفـةـ. وـرـدـ بـأـبـسـامـةـ شـابـهاـ السـخـريـةـ.

عـنـدـمـاـ أـسـتـعـدـتـ سـيرـنـاـ لـلـعـشـاءـ فـيـ تـلـكـ الـلـيـلـةـ قـالـتـ: «ـرـوـبـرـتـ... أـنـاـ أـشـعـرـ كـاـ لوـ كـنـتـ أـعـذـبـ فـقـسـيـ. فـهـاـ أـنـاـ هـاـ نـعـنـ» فـيـ كـنـفـ الـرـفـاهـيـةـ وـنـعـاملـ كـانـتـاـ عـائـلـةـ. مـاـذـاـ بـعـدـ ذـلـكـ؟ـ»

وـدارـتـ بـيـصـرـهـاـ فـيـ حـجـرـةـ نـومـ الضـيـوفـ فـيـ مـنـزلـ دـيـسـ وـبـنـتـ وـوـرـثـ وـزـوجـهـ لـورـينـ الـذـيـ كـانـ بـقـعـ فـيـ جـزـيرـةـ كـاـبـرـىـ. كـانـ كـلـ شـيـءـ أـيـضـ وـمـزـينـ مـاـ عـادـاـ السـجـادـةـ الصـفـراءـ بـلـوـنـ الـكـبـرـيـنـ وـقـدـ تـمـتـ زـخـرـفـةـ الـحـجـرـةـ (ـالـدـيـكـوـرـ) عـلـىـ غـوـ خـاصـ بـالـضـيـوفـ مـنـ النـسـاءـ. وـرـغـمـ رـفـاهـيـةـ الـحـجـرـةـ الـخـاصـةـ بـيـنـ وـالـتـيـ الـفـتـ عـلـيـاـ نـظـرـةـ خـاطـفـةـ مـنـ خـلـالـ الـبـابـ المـفـتوـحـ فـيـاـنـ الـدـيـكـوـرـ بـاـ كـانـ مـيـزـاـ بـلـ رـيبـ لـلـرـجـالـ.

لـمـ تـكـنـ مـتـأـكـدـةـ إـذـاـ مـاـ كـانـ مـبـنـىـ فـدـ أـوـضـحـ هـمـ ظـرـوفـ وـجـودـهـاـ أـمـ لـاـ. وـلـكـنـ بـداـ عـلـىـ أـبـنـ عـمـ دـيـسـ وـزـوجـهـ لـورـينـ السـرـرـوـرـ لـوـجـودـهـاـ. وـأـكـدـاـ هـاـ أـمـهـاـ لـاـ يـتـخـلـانـ عـدـمـ حـضـرـهـاـ الـخـفـلـةـ الصـغـيـرـةـ التـيـ يـقـيمـانـاـ هـذـاـ الـسـاءـ.

«ـوـهـنـاـ تـكـنـ مـشـكـلـةـ بـاـرـوـرـتـ» أـوـضـحـتـ سـيرـنـاـ لـلـقـطـ الصـغـيـرـ الـذـيـ نـكـورـ رـاضـيـاـ فـيـ سـلـنـهـ. وـبـرـتـ بـيـصـرـهـاـ عـلـىـ عـتـيـبـاتـ الـحـقـيـقـةـ التـيـ كـانـتـ قـدـ أـفـرـغـهـ عـلـىـ السـرـرـ. وـقـالـتـ: «ـلـقـدـ حـزـمـتـ مـتـاعـيـ بـسـرـعـةـ لـدـرـجـةـ أـنـهـ لـمـ يـغـطـرـ بـيـالـىـ أـنـ أـضـعـ أـيـ شـيـءـ بـهـ قـلـيلـ مـنـ الـأـثـاثـ بـجـيـبـهـ بـصـلـحـ لـلـإـرـتـدـاءـ فـيـ حـفـلـةـ هـنـاـ».

جـلـستـ عـلـىـ السـرـرـ وـهـيـ تـعـضـهـ فـيـ قـلـقـ بـنـانـ سـيـاـبـهـاـ. كـانـ كـلـ مـاـ حـوـلـهـاـ فـيـ هـذـاـ مـنـزـلـ يـبـنـشـ بـالـأـثـاثـ الـمـتـبـيـرـةـ. وـكـانـتـ مـضـيـفـهـاـ تـمـثـلـ خـلاـصـهـ ذـلـكـ.

وـقـفـزـتـ لـدـىـ سـاعـهـاـ طـرـقـهـ خـفـيـقـهـ عـلـىـ بـاـيـاـ. وـقـالـتـ بـعـصـبـيـهـ: «ـادـخـلـ».

وـدـخـلـتـ لـورـينـ... كـانـتـ شـفـراءـ... رـشـيقـةـ. وـلـكـنـ كـانـتـ عـيـنـاهـاـ الـزـرـقاـوـنـانـ بـشـعـرـهـاـ عـطـفـ غـيـرـ عـادـيـ. وـدـتـ سـيرـنـاـ أـبـسـامـهـاـ وـقـالـتـ لـفـسـهـاـ: «ـرـجـاـ يـعـكـسـنـيـ أـنـ أـكـونـ صـادـقـهـاـ مـعـهـاـ تـمامـاـ».

طيبة غعلها مرغوبة ..».

«إذن فيجب أن أواقفك بانك تبدين كا لو كنت قد قطعت مسافات
شاسعة على صفحات الرواج». أستدارت سيرينا بعيداً عن المرأة. وقالت بسرعة: «أنت عطرة
جداً. لست أدرى كيف أشكرك. أقصد أنك لم تكادى تعرفيني. وأنا
 مجرد مرية».

وقفت لورين على وجهها وقالت: «لقد قال سين أنك كنت أكثر من
مرية. لقد قال أنك كنت فرد من العائلة».

«سين». وأضطرب صوت سيرينا قليلاً وتابعت: «هل... إنني سأبقى
 مدینه له إلى الأبد».

بدا على لورين بعض التراجع.. وبعد برهة قالت في استغراق:
 «يمهب أن أعترف بأنك قد أثرت فضولي يا سيرينا». أرغمت سيرينا وهي تقول لها: «لقد أفقدنى من كارنة مروعة. بل
 إنتين في الواقع».

سألت لورين في حكم: «كارنان مروعتان؟»
 «أعرف أنه يدو... شيئاً غريباً لكنه حقيقي. لقد ظلتت أن أخبرك؟
 وأن هذا هو سبب عطلتك؟»

«إنه لم يفعل.. حسناً. فقط قال أن ريتشارد وكاميرون والسيدة ديني قد
 ذهبوا إلى سيدنى مع ديلفين. ولذلك فأنت في أجازة من العمل. ولكن إذا
 كنت فيها قبل أشعر بفضول فإننى الآن متلهفة جداً».

وربما لأن سيرينا قد كتمت الأمر طويلاً بداخلها فقد قصت على لورين
 كل شيء ولكن بإختصار.

تعجبت لورين وقالت: «ولكن كم هو شيء مروع» كان وجهها ينبع
حقيقة بالرعب والأهتمام. وتابعت: طفلنى العزبة... أنا عاجزة عن
 الكلام».

قالت سيرينا بلهمجة حادة واتقة: «ربما تفهمين ما أشعر به تجاه سين الآن».

سوف أفعل له أي شيء». ضافت علينا لورين قليلاً وهي تتصفح الحمامة اللاواعية في وجه
 سيرينا. وقالت ببطء: «أنا... نعم. بالطبع أنا أفهم. أخبريني...
 ما رأيك في ديلفين؟ أقصد بصرف النظر عن مهاراتها في إرتداء
 الملابس».

طرفت علينا سيرينا لدى هذا التعبير الواضح للموضع. وقالت:
 «أوه... لقد أحببتها. أقصد.. أنها لا تستطيع تغيير حياتها ولكنني متاكدة
 أنها هم بالطفلين. وأعتقد أنه شيء يدعوك للرقاء أنها هي وليس لا يستطيعها
 واد خلافاتها.. حيث أن كل منها هم بالتأمين كبيراً جداً». وكان دور لورين أن تطرف علينا. وترددت ثم قالت أخيراً: «نعم».
 وسألتها سيرينا: «الآن خلين ديلفين».

ترددت ديلفين مرة أخرى وقامت قائلة: «إنها قاسية. لقد كانت جيئاً
 مغزمني بأندرو. هل تدركين ذلك؟».

وأفقها سيرينا بفهم وقالت: «نعم. لقد فكرت من قبل في أنه لو
 كان أخي فرعاً لم يكن قادرة على التنظر للأمور مثل هذا الحباد. حسناً»
 وأستدارت بخفة إلى المرأة فألتقت نورها على ساقها برشاشة وقالت: «أنا
 جاهزة. هل هناك ما يمكنني عمله للمساعدة. أرجو أن تعطيني الفرصة.
 فانا أشعر بالذنب لتطفلى على حفلتك وتتجريح خزانة ثيابك. فهلا
 فعلت».

«أنا... أنا كنت وشك وضع اللمسات الأخيرة لبعض الأطعمة
 الفاخرة للشهية ثم أسرع بتبدل ملابسى...»
 «يمكنني عمل ذلك.. كل ما أحتاجه هو مربلة».

كان سين هو أول من قابلته سيرينا بعد ما أثبتت ما رأته أنه إتساخ تام في
 ملابس لورين. كانت قد أثبتت لتوها من وضع اللمسات النهاية لبعض
 الأطعمة الفاخرة للشهية. وقد فعلت ذلك بطريقة فنية قدر ما أستطيعت.
 ثم غسلت بديها وزرعت مربلتها. ووقفت تتأمل في إعجاب صنع بديها في

قال بلهجة جافة: «هذه هي المشكلة». ولكن عندما خفضت سيرينا رأسها بعندل في وقته وسار إليها ومس وجهتها بخففة قائلة: «تعني نفسك أيها الصغيرة، أنت تستحقين ذلك بالتأكيد».

* * *

بعد حوالي ساعة كانت الردهة الجميلة متزل ديس ولورين تتجالب الناس وقد تم تزيينها باللون الأخضر المتصفر وزريع من الزهور القرنفلية. وقد تم تقديم سيرينا إلى كثرين منهم بساطة على أنها سيرينا سانت جوزف ولم تكن هناك أي إشارة إلى أنها موظفة عند سين. وقد خطر لها أن تضيف هذه المعلومة عن تلقاء نفسها ولكنها ظلت أنها قد تبدو عندئذ غير لبيقة على خوشاذ.

ولم تكن تعرف سبب إقامة هذه الحفلة حتى نظرت إلى كوبه دعوة للضيوف. والفن كلمة قصيرة. قال: «أصدقائي... شكرًا لكم جميعاً حضوركم خاصه وأنها جاءت حفلة على عجل. وفي الواقع فقد كانت فكرة لورين أن تختلف بـ... حسناً. بهذا الحدث أقام في حياتنا. وهذا الحدث هو أنا... أنا وبين قد أشترينا اليوم بالمشاركة سوياً محطة ويتاوخاً داونز».

وعمت المكان شهقة مدوية. وهو صر ديس وبين بعاصفة من التهاني. وعندما هدأت الجلبة قال ديس بعنز: «وكما تعلمون جميعاً، وأنا آسف إذا بذلت معيلاً بنفسي فإن هذا يعد مفسحة وشاره شرف لنا.. ليس هذا فقط بسبب التاريخ المرتبط بيتاوخا ولكن لأن هذا سيزيد كثيراً من متكلماتنا في مجال تربية الماشية. ووجب أن أضيف» وأستمر متجاوراً بصعبات الاستحسان قائلة: «أن معظم الفضل في ذلك يرجع لأبن عمى سين. ففضل إدارته الممتازة لروزورد وبالتالي أرباحنا المتزايدة هي التي مكتبتنا من شراء ويتاوخا. وأقدم لكم سين وينت وورث».

ومن خلال الصعبات القلبية التي انتلقت مدوية حلقت سيرينا بعيون واسعة في سين. وأحسست كما لو أن قلبها يتفجر. كان يتسم أنسامة

المطبع ذي الألوان الزرقاء والبيضاء. وعندئذ دخل سين مرتدباً بدلة زرقاء داكرة وفيصاً أبيضاً وقد أمسك في يديه برابطة عنق مخططة باللونين الرمادي والأزرق الفاتح.

هتفت سيرينا: «أوه» وأجرت عينها النفحجية على جده. وقالت: «أنت تبدو مختلفاً».

سألها بومض ساخرة: «أفضل أم أسوأ؟»

تأملت سيرينا بشعره الأسود المصفر المشط جيداً وحداءه الجلد اللامع وأستقرت عيناهما على المنديل الأبيض الغمد الموضوع في جيب سترته. وعندئذ ابسمت قائلة: ليس أفضل ولا أسوأ. ولكن كأنك شخصين... شخص متحفظ هنا وشخص منتطلق هناك. أنت هنا شخص وسم جداً غير أنسني لا أعرفه جيداً مثلاً كنت ذاك الشخص المنتطلق هناك في روزورد».

«إسمحي لي أن أرد التعبية. أنت أيها تبدين غير عادبة». ودار حوطاً ثم أستند إلى إحدى المناضد وشد رابطة عنقه بين أصابعه. قالت: «الآن؟»

أجبها: «أجيها».

ابتسمت سيرينا وغمقت: كنت أفضل أن تكون أميناً معن». ونظرت له من بين أهدابها.

وأتسنم أنسامة مقتضبة وقال: «حسناً. أنت تبدين جبلة وذات زنة واضحة إلى حد ما ولكن في نفس الوقت تبدين كما لو كنت تحضرين تزهه مدرسة الأحد. قد تكون توبيخة خطيرة».

أحسست بما يشبه الإهانة للحظة ثم بدأت تضحك. وقالت أخيراً: «إذا كنت أبدو كائني ذاهبة إلى تزهه مدرسة الأحد.. التي أتخيلها مليئة بالمرح وأحلام الطفولة - فذلك لأنني أحس كائني أحلى أطفال العالم فوق كاهلي. ولأن كل فرد يعاملني بلطف بدرجة لاتصدق. ولكنني لا أدرك وجه الخطورة في ذلك».

ورمقته سيرينا بنظرة خاطفة وهي متيرة. قالت: «لأظن ذلك». قال بصوت هادئ: «إذن دعيني أقدم نفسى... رج فيندل. لقد كنت زميل سين فى الدراسة. هبة... ييدو عليك بعض الشحوب. إن الجلو هنا حار بعض الشيء. ما رأيك لو أحضرت لك شراباً منعشًا لتناوله في الشرفة؟».

«أنا... حسناً. شكرًا لك. مجرد شراب مرطب».

كان الهواء منعشًا ووارداً في الشرفة التي تطل على بحر نيراج. وبرق ضوء القمر على سطح الماء عندما قفزت إحدى سمكates البوري الصغيرة في المياه فترفرق الماء وأنشرت به موجات دائرة صغيرة أخذت في الأتساع.

سألها فيندل: «أفضل؟»

«نعم شكرًا جزيلاً لك»، ورشقت عصير الليمون ولكن كانت لا تزال هناك نظرة تساوق ذاهلة في عينيها.

سألها ريج فيندل بتل�回ائية: «أنت من أصدقاء سين؟»

«أنا أعمل ليديه».

«الآن... في أي وظيفة؟».

شيء ما في صوته أثار القلق. بداخلها. ولكن عندما أستدارت تنظر إليه لم يد على وجهه سوى اللطف والاستفهام المهدب.

«أنا... مربيه... لرنشارد وكاميرون».

«أوه.. أطفال ديلفين... إذن فأنت تقدين في روزرود؟ مع سين؟»

«نعم. نعم»، وافقت سيرينا ولكن بعض الريبة لأنه أصبح الآن يبتسم لها إيسامة واسعة. إيسامة بفحة فضولية. وتلعمت فائلة: «ما.. ماذا في الأمر؟».

وقال ريج فيندل متندقاً: « مجرد أنى لم أكن أصدق ذلك عن سين. إنه يدعى دائمًا شخصين ذات مثل أخلاقية عالية». وهز كتفيه فائلاً: «بل إن ديلفين أصطدمت بها بشدة»، وحدق فيها بطريقة جعلت الدماء تندفع إلى وجنتها. وقال: «ومع ذلك فأنت جيلة إلى حد يغري

مقتنبة تكاد تكون أبسامته الساخرة التي تعرفها جيداً. ولكن بدا عليه الأرباح عندما هيئت لورين لتجده بأعلاها أنه قد تم إعداد عشاء خفيفاً. ومرة أخرى كانت مدركة لإحساسها أنها على شفا اكتشاف ما عظيم. وقد دفعها ذلك للعيش في أحياط.

كان لابد أن يزعجها إحساسها بذلك الشعور فجأة أثناء العشاء. أخذتها المفاجأة في البداية وأحسست بالدوار. ولكن بعد لحظة أو لحظتين لم تستطع إدراك كم كانت عباء.

رأرت سين يتحدث إلى أمراة رائعة الجمال. كانت تبدو في بداية الثلاثينيات من عمرها.. ذات شعر فاخم... تتحلى بذهب غير براق. وكان ييدو عليها الذكاء والزينة البالغة والمستوى الاجتماعي العالي. ولكن ما أخذ بلب سيرينا في الواقع كان شيئاً ما في نظرة من المتأنة وهي تستقر على المرأة التي كانت تتحدث بمحبوبة. وحدثت نفسها.. إنه مشدود إليها وبعدها مرغوبية.. أوه. يا إلهي. لماذا يجعلني ذلك أشعر... بالبؤس النام؟

طم تأثر الأجيال طويلاً. أستدارت بعيداً وقد دار عقلها مدركاً أنها كانت قلمل المستحيل من وجهين. لقد سقطت في الحب عندما ظلت أنه لا يمكن أن يحدث لها. ولكنها أيضاً وقعت في الحب من رأسها إلى أخص فئتها مع سين وبنت وورث.

وتعجبت بشدة.. كيف خدعت نفسى. وحتى.. حتى بعد رالف عندما قلت ما قلت وأفنت نفسى أنه لابد على حق في أنه قد أصبح يمثل لي شخص الأب... أثره فمن شيئاً؟

وأغلقت عينيها في رعب وأستدارت في رحلة لتصطدم فجأة برجل أسمر طويل كان يقف وراءها مباشرة.

لمست: «آسفة».

أجابها: «لا شيء». في الواقع كنت أريد التحدث إليك لأنني متأكد أنا تقابلنا في مكان ما.

حشدًا من الضيوف يتدافعون في شرك ورعب لدى الباب. وغولت إليها نظراتهم تفاصيلها بدرجات متفاوتة من التأمل... عندئذ أحسست أنها يمكن أن تموت من فورها في هذا المكان... وبحركة متسلقة وجدت ملجاً لها في الفرار بإضطراب إلى الباب. وزاغت من يد سين وأنشرت الجميع الواقف بالباب كى يفسح لها طريقاً.

جرت عبر الردهة ثم صعدت إلى حجرة نومها ذات الألوان البيضاء والصفراء. وأغلقت الباب وأستندت عليه لامه للحظة. ثم أندفعت إلى داخل الحجرة وجذبت حقيبة ملابسها ووضعتها على السرير وفتحتها. لم تتردد لورين في طرق الباب. ولكن كانت سيرينا قد حزمت متعها ماعدا سروال من الجينز وبلوزة وضعتها على السرير. كانت قد خلفت التوب الجميل ذى الألوان الأرجوانية والعاقة. ووقفت في وسط الحجرة بقميص داخلى قصير يكشف عن ذراعيها وعمره تنوءه قصيرة أيضًا.

هتفت لورين وهي تخطو عبر الحجرة. «طلقني العزيزة». أدارت لها سيرينا وجهها معدباً شاحباً. وهمس: «أنا... أنا سأرحل... أرجوك لا تناوليني إيقافي».

«لكن لماذا؟ أنت...»
فاطمها سيرينا: «أنت لا تفهمين. لقد الحلت العاربين. وسيكون هذا هو الحال دائمًا. وليس ذلك فقط. فأنا لست شيئاً سوى المشاكل».
فتح الباب مرة أخرى ودخل سين. وجال يبصره في المكان ورأى استدارة سيرينا بعيداً في عصبيه. وقال: «شكراً يا لورين. سوف أتعامل مع هذا».

ترددت لورين قليلاً ثم خرجت.
قال سين بهدوء شديد: «سيرينا... أنتهى لي».
«أنا... أنا لا أستطيع».
«نعم، يمكنك... هل تعلمين؟... لقد غيرت رأيي» قال ذلك وأنظر.

الفصل السابع



(أقف على رأسي أم على قدمي)

جدت سيرنا.

وهمست: «ننزوح؟»

وغمغم سين ثم قال: «أعتقد أنها فكرة طيبة العدة أسباب». وأخيراً استدارت فائلة: «سين» ثم أضافت بصوت متواصل: «لا... أرجوك لا تفعل. الأفضل أن أرحل تماماً».

وتفحص وجهها الذاهل المكتسي بالارتعاب وهي تحضن ثوب لورين. وكانت العقدة الأرجوانية لازال في شعرها. ولوي شفتيه وقال: «الآن توحد لديك مجرد الرغبة في سماع أسبابي. بالإضافة لذلك فقد كانت فكرتك أصلاً».

وقلعت فائلة: «لقد كان.. لقد كان ذلك فولاً مضحكاً، لا يمكن أن تكون هناك أي أسباب لنا... لنا...»

وتقديم خوها تراجعت وكررت في صوت مختنق: «لا... أرجوك».

«ماذا تظنين أني سأفعل؟»

«لا أدرى.. سين» ولكنه أنتزع الثوب من بين يدها. ولاحظ نظرها اليائسة إلى جسدها الذي يكاد يكون عارياً. والنقطة رداء سميكاً من على السرير وقاوله لها.

«غيرت رأيك؟» وحاولت سيرينا أن تفهم بینا كانت لازال تعطيه ظهرها. وتابعت فائلة: «بخصوص ماذا؟» «بخصوص زواجنا. ولذلك فن الأفضل أن تفرغى محنتك حقيقتك».

ذات مرة أيتها الصغيرة عندما كنت تظنين أنك تتعجبين الرجال إلى حد بعيد». وعده بيسألك بيدها وخذلها بوقتها على قدميها.

وشهقت: «سين».

قال ساخراً: «أنا أفهم... في الحقيقة لقد سرقت تلك القبلة، ولكن للحظة قصيرة وقبل أن تتمادي في الشجار والتزمت القاسى كنت قد... ثم خداعك. حسناً سأخذ خطوة للأمام لأنني أظن أن مرور الوقت وكونك... تفين بي الآن ربما يسفر عن مفاجأة».

وhest: «سين... سين» وتناولتها ثوبات الحرارة والبرودة، ولكن جذبها بين ذراعيه وقال بإتسامة مفتضبة: «بالمناسبة أنا لا أحجد فكرة أستهار شخص ما في توجيهك في هذه الأمور».

وفيما بعد، عندما هدأت أنفاس سيرينا أخيراً.. احتواها بين ذراعيه مرة أخرى.

كانت مترجمة متخيّرة لدى ما يبدّر منها... ولكن لسته وقبلاته المخبيّة أثارتها وجعلتها ترحب في الاستجابة. ولقد فعلت فعلاً ولكن في إرتياح. كان ذلك بعد أن نجح بطريقة ما في أن يهدّي من روعها. لقد فعلت ذلك إلى حد أنه لم يعد لديه شك في أنها -سيرينا سانت جوف- قد سقطت في الحب معه لأن كل ما كانت تحاول إخفاءه كان في الواقع يخوبها ويُفضح عنها.

وحادثت نفسها بإستغراق: «ربما يمكنني أن أبّرر».

وhest: «سين».

أجاهها بهمة خافته وهو يرتب على شعرها.

«سين» وملخصت منه وجنت على ركبها في الفراش. وأخذت تحدق فيه وقد أتسعت عينها البنفسجيتان. وقالت: «كبير... كبير جداً من الأشياء حدث خلال اليومين الماضيين».

دفع بده خلف رأسه ونظر لها متهكماً.

«حسناً» ولعقت شفتها. وتابعت: «ربما.. لأنني لا أدرى إن كنت أتف

وأندفعت بداخله. وبينما كانت لازالت تشد المزام فادها إلى كرس أمام منضدة الزينة وأمرها بالجلوس.

وجلست بها مستند بأحد كفه إلى الحائط بجوار منضدة الزينة وفى ذراعيه فوق صدره وهو يرقب وجهها المأساوي المرتict تماماً.

ثم لوى فسمات وجهه وقال: «إن نهاية العالم لم تأت بعد.. أيتها الصغيرة».

همست في بأس: «إنه يبدو كذلك بالنسبة لي».

«لأنني أريد أن أتزوجك».

أندفعت عيناهما لتلتقي بعينيه وقالت: «لكتنى لا أفهم».

«لماذا؟»

وجه سين نظرة حافظة لأسفل إلى بده... بده التي ضرب بها رج فيندلن. ولاحظت وضعه ساخرة في عينيه الخضراء الرمادية. وعلق قائلاً: «قد لا أكون في متوسط العمر من ناحية أخرى». ثم تابع «على الأقل لعرف الجميع أنك لي فسوف يتراجعون».

ونوسلت سيرينا فائنة: «أوه... أرجوك لا داعي للمزاح في هذا الأمر». وتابعت «أقصد أن الجميع سيصيّبهم الرعب إذا عرفوا أنك... زوجتني.. إنه.. إنه لن يحافظ بالأمر لنفسه الآن... هل سمعت..»

«سمعت معظمها».

«حسناً. على أية حال كان يمكن أن يكون هناك مئات من الرجال الآخرين الذين..» وأصابتها رげة. وأضافت: «وكان يمكن أن يتكرر»

وتابعت «و رغم أن ذلك مجرد أحتمال على أية حال».

رفع أحد حاجبيه وسألها: «أليس كذلك؟»

قالت بحزن: «لا... لأنني سوف أرحل. ولن يوقفني أي شيء قوله بما سين» ونظرت له بعيون دامعة ولكن يملؤها التصميم.

إعتقد في وقتها وقال بدهوه: «حسناً. إذا لم تسمح لي بأن أذكر أسبابي فاضطر لبيان الأمر لك. أنت تعلمين أنك سمعت بأن أفيلاك

على رأسى أم على قدمى... فقد حدث هذا». «ماذا؟»

«أنت... أنت تعرف ما أقصد... هذا».

رسالها بتکاسل: «خن... هذا ما تقصدين؟»

قالت في يأس: «سين... بالأس ففقط أخبرتني أنتي صغيرة جداً بالنسبة لك وأنتي لست من طرازك... وأنتي لن... حسناً».

«هل تدفعيني للكلام؟ في الواقع لقد قلت لي كل ذلك يا سيرنا» وعقب «ولم تعطيني فرصة لاؤكده أو أنفيه».

«ولكنت عندك لم يراودك مجرد تفكير في الزواج مني»

«لم أحسب عندك أنك قد وقعت في الحب معنـى» ثم أضاف «ليس تماماً».

«أنا... أوه... أنت فعلتـ. أظنـ أنـك قد عرفـت قبلـ أنـ أفعلـ» ثمـ سـألهـ فـي إـهـامـ: «أـلـيـسـ كـذـلـكـ؟» ثمـ عـضـتـ عـلـىـ شـفـتهاـ وـغـضـبـ وجـهـهاـ خـجـلاـ.

لوي سين شفته ولكن كانت عيناً متباعدة وحادية. وقال: «الا ترين
أنتا تجادل في أمور نافحة يا سيرنا وكانتا حاول شق الشعرة إلى
نصف؟»

وهيست: لا، بل إنه يعني أننى حتى لو كنت... سقطت فى الحب
معك وهذه معجزة حقيقية كما تعلم..»
«أنا أعلم فعلاً».

«ولكن لا يعني ذلك قد سقطت في الحب معي. هذا ما أحاول أن أ قوله».

مد يده وتناول العقدة الأرجوانية التي نقلت منها شعرها وتناولت خصلاته. وقال بهدوء شديد: «أنت على خطأ في ذلك. فأننا أحبك فعلاً».

وتعلمت: «ولكن ... ولكن أنا لا أفهم» ثم تابعت في عتاب: «أنا متأكدة أنني صغيرة جداً بالنسبة لك ... على ما أظن. من الأفضل أن تنسى تماماً أن هذه المخادنة قد جرت بيننا. إن ما أحببته بي قد يكون هو ماحسنه تجاه ... ربما أخت أو أي شخص يعاني من خط عائز»

«أنا لا أفهم على وجهي محاولاً إقامة علاقة حب مع أي شخص أقابل له يعاني من خط عائز».

أرجعت سيرنا. وقالت: «حتى هذه الليلة لم نكن قد أظهرت أي علامة لـ... لذلك».

قال بلهجة جافة: «ولن أهم على وجهي مقارلاً البنات الصغيرات اللاتى يفقدن صواihن رعباً من الرجال» ثم صاح «سربنا ..» هست: «سين» ثم نابت: «لقد كنت طلياً جداً معنى .. أنا أعرف أنك .. حسناً، لابد أنك قد أعجبت بي ولكن هذا ليس سبباً كافياً .. غلط في التعبير منه .. أرجوك .. هل كنت صريحاً معنى؟»

يرجع إلى طلاقه... ونزع رباط عنقه وأجرى يده خلال شعره فائللاً: «حسناً... جلس...»... أعتقد أن كلاماً هنا يحتاج للأخر...» وعندما أهتزت سيرينا وحاولت الكلام قال: «لا، أنسني لي. أنت تحتاجين إلى من يدافع عنك. أعرف أننا يمكننا أن نستمر كما كنا. ولكن يبدو سخيفاً الآن. الا ترين ذلك؟ وأنا أحتاج...» وتوقف وتأملها بهدوء وتتابع: «سيرينا.. شيء ما حدث لي ذات مرة لكنه لم يكن درامي مثل غياريك. وعلى أيه حال فقد كان ذا آثار مدمّرة على... لقد تركته... ساخرأً وعراً من وهم الحب».

فجأة سررتني بـ«الله» فلما رأيتني أنت تنظر إلى سمعك، قلت لها: «أنت... أنت تقصد أنك قد
وقفت في الحب مع شخص ما لم تستطع الحصول عليه أو... شخص ما لم يكتسب بـ«يدك؟»

«حسناً» ولاحظ نظرة ساخرة في عينيه. وقال: «شيء بذلك». «

«أنا أعيش من ذلك..»

قال ساحراً: «لazلت أذكره».

«ولذلك...؟ ورغم هذا لا يمكنني تغيل أنسانه لاتریدك. ولكن..»

لوى سين شفبه ولكنه قال بصوت خفيض: «شكراً لك. و...»

ولكن برغت نظرة فهم في عيني سيرينا البنفسجيتين. وسألته بصوت

مبحوح: «والآن فأنت تفضل أن تتزوج إنسانه... تتق ها من أن تتزوج

إنسانه تحيا بعقوله؟ هل هذه هي الحقيقة؟»

ضاقت عيناه وزرم الصمت للحظة ثم قال: «وأحبها كثيراً وأعني

بها».

«أوه» كان دور سيرينا لتلوذ بالصمت وغضض بصرها عدقة في

غطاء السرير الأبيض. وسألته فائلاً: «هذه الـ... المرأة الأخرى...»

أليس هناك أىأمل».

«على الأطلاق» قالها بهدوء ولكن تأكيد شديد. وبنوع من...

وتساءلت أى نفحة تلك التي تبدو في صوته؟ الفسفة التي يستحب

أنسترحامها؟

قالت بصوت مخادع ترمي إلى إيقاعه: «أيكن... أيكتنا أن نعملها

صفقة عمل؟»

أجابها: «أنا أستطيع.. إذا رأيت أنك تستطيعين». ثم أضافت عندما

رأى الحيرة في عينيها: «ما ظننته ذات مرة حباً كان نوعاً من الجنون.

وها... نحن كذا قلت أنت منذ قليل... ضرب عذباً من رجاحة العقل

على ما أعتقد. الا ترين ذلك كفياً بخلق تقاهم طيب؟»

«سين...»

«بل حسب وجهة نظرك فقد قلت لي ذات مرة أنك ترين لدى

الكثير مما يمكنني تقديمها».

نور ووجه سيرينا شرعت تقول: «إن...»

ولكنه تابع فائلاً: ومن وجهة نظري - وبصرف النظر عن وضيح ذلك -

فإن بیننا أموراً كثيرة مشتركة أنت تحبين نوع الحياة التي أسمى إليها. والآن



الفصل الثامن

(باندورا)

فتحت سيرينا عينها. ووجدت نفسها خدق في عيني سين.

قال: «هيه».

هست: «هيه».

على مايرام؟

أظن ذلك.

ابسم إتسامة بسيطة.

وصححت سيرينا قوفها: «أقصد أنتي بخير... بل إنه... حسنا إنه شيء لم أفعله من قبل على الأطلاق. ولذلك فإذا كنت أشعر يا حسام غريب فانا هكذا أنه سيزول...» وتوقفت فجأة في أرائك ثم تابعت: «ورغم ذلك فانا لا أحبه. ولكن...» وأضافت بسرعة «لا... لا شيء».

قال سين بترحاح: «عزيزتي سيرينا... أرجوك، أخبرني بما يدور في عقلك. ولا فسوف أنساءل عما إذا كانت لديك أفكار أخرى لأنني عاشق وضعيف».

«أوه... لست أنت» قالها مؤكدـة بفمه ثم تابعت «ولكنني لا أستطيع منع نفسي من تذكر شيء ما فلتـه لي ذات مرة... هذا هو كل ما في الأمر».

وغمـهم: «أهـذا الحـد؟ أنا الآـن متـزعـجـ حقـيقـة» ولف يديه حول جـسـدهـا الأـهـيفـ. وـقـالـ بـلـهـجـةـ آـمـرـةـ هـادـهـةـ: «ـأـخـبـرـنـيـ».

غمـهمـتـ بينـ كـفـيـهـ: «ـحـسـنـاـ». لـقـدـ كانـ شـيـئـاـ ماـ حـولـ... مـفـاتـشـ الصـبـيـانـةـ الفـجـهـ».

أـحـسـتـ بـصـحـكـهـ وـهـرـ يـقـولـ: «ـلـقـدـ قـلـتـ ذـلـكـ لـطـمـائـنـكـ... لـوـكـنـتـ تـذـكـرـنـ. فـىـ هـذـاـ الـوقـتـ ظـلـتـ أـنـثـيـ قـدـ رـبـتـ أـنـ يـكـونـ رـيـشـارـدـ فـىـ قـدـ عـنـادـهـ وـأـنـ يـفـرـكـ جـوـادـكـ وـبـأـنـيـ جـوـادـكـ وـبـأـنـيـ قـدـ أـمـرـتـ السـيـوـلـ أـنـ خـتـاجـ النـطـقـةـ.. كـلـ ذـلـكـ لـغـرـضـ مـحـدـدـ هـوـ إـغـوـاءـكـ».

أـجـفـلـتـ سـيـرـيـنـاـ ثـمـ أـضـطـرـتـ لـلـفـقـهـةـ. وـقـالـتـ بـخـجلـ بـعـدـ لـخـطـةـ:

«ـوـرـغـمـ ذـلـكـ... فـقـدـ كـانـ شـيـئـاـ مـعـبـطـاـ جـداـ أـنـ تـقـولـهـ لـفـتـاهـ».

«ـوـرـغـمـ أـنـكـ كـنـتـ سـتـاجـيـنـتـ كـنـتـرـةـ صـغـيـرـةـ لـوـ تـقـدـمـتـ خـطـوةـ وـاـحـدـةـ أـوـ قـلـتـ كـلـمـةـ رـاـحـدـةـ خـطـأـ؟ـ» ثـمـ أـمـنـ عـلـىـ قـوـلـهـ بـصـوـتـ رـصـبـنـ قـائـلـاـ:

«ـبـالـطـبعـ».

وـرـغـمـ أـنـهـ كـانـ لـاـ قـرـالـ تـبـسـمـ إـلـاـ أـنـهـ قـالـتـ بـلـهـجـةـ مـوـيـخـهـ: «ـأـنـتـ تـعـرـفـ مـاـ قـصـدـهـ».

وـغـمـهمـ: «ـأـظـنـ أـنـتـ أـعـرـفـ»ـ. ثـمـ دـفـعـهـ عـنـ صـدـرـهـ قـائـلـاـ: «ـأـنـتـ تـرـجـهـيـنـ لـىـ الدـعـوـةـ لـأـعـرـضـ ذـلـكـ الـفـلـمـ الـكـيـبـ الـذـيـ سـيـبـيـهـ لـكـ...ـ حـسـنـ جـداـ»ـ. أـزـاحـ النـطـاءـ جـانـبـاـ وـأـمـسـكـ بـسـيـرـيـنـاـ فـحـأـةـ لـدـرـجـةـ أـنـهـ توـقـرـتـ وـأـصـدـرـتـ صـوـتـاـ مـكـرـمـاـ وـلـكـهـ لـمـ يـعـرـ ذـلـكـ أـدـنـيـ التـفـاهــ.ـ وـبـدـأـ يـعـدـ مـفـاتـشـهـ وـهـوـ يـجـوسـ بـأـصـابـعـهـ فـيـ جـسـدـهـاـ وـهـمـسـتـ: «ـأـوهـ..ـ لـاـ تـفـعـلـ»ـ.

سـأـلـهـ بـصـوـتـ رـفـيقـ: «ـأـلـاـ تـجـبـنـ ذـلـكـ»ـ.

شـهـقـتـ: «ـبـلـيـ...ـ لـاـ...ـ لـسـتـ أـدـرـيـ.ـ إـنـهـ شـيـئـ مـنـ الصـعـبـ شـرـحـهــ.ـ وـلـكـهـ يـدـوـ أـنـهـ يـعـملـ كـلـ جـسـدـيـ بـتـلـيـ بـ...ـ بـالـأـثـارــ.ـ هـاـذـاـ تـفـعـلـ الـآنــ»ـ.

وـفـيـهـتـ عـلـىـ يـدـهــ.

خـفـشـ سـيـنـ بـصـرـهـ بـخـدـقـ فـيـهــ وـقـدـ بـدـاـ فـيـ عـيـنـهـ اـخـضـرـاءـ الرـمـاديـةــ.

فضاض وهي تأكل نمار العنبر بينما غمر الحجرة ضوء شمس الأصيل .
مرة أخرى كانت رفاهية حجرة النوم هذه تعيد إلى ذهابها كرم
أصحابها .

عندما خرج سين من الحمام الداخلي الملحق بالغرفة لم يكن يتر
جسده سوى مشفقة يلفها حول رديفه . قالت له سيرينا: هل تعرف ...
أنت لازلت متدهشة من عطف الجميع وخاصة ديس ولورين . أقصد
ترتيب مثل هذا الخلل البسيط الجميل للزفاف في مثل هذا الوقت
الضيق . وإعانتها متزهداً لنا لنقضى فيه شهر العمل وذهابهم إلى روزوورد
للعناية بريشارد وكاميرون . لقد بدأ علينا السعادة لزواجهك مني ». .
إيسم سين وقال: «لقد كانت لورين تحاول التخلص مني بترويجي
على مدى أعوام ». .
«ليس إلى إنسانة غريبة تماماً . الإنسانة التي سببت ليها مشاجرة
في حفلتها و...» .

قال سين مداعباً: «لابد أنها أحبتكم رغم كل ذلك ». .
فكرت سيرينا ملياً وهي تدمي ثمرة عنبر خضراء نهرة في قلها . وأخيراً
قالت: « ومع ذلك فلا بد أنه فاجأ الكثيرين من الناس . ديلفين على
سبيل المثال .. لا أدرى ما رأيا في ذلك ». .
قال سين بلا مبالغة: «أنا أشك فيها إذا كانت قد عرفت أصلاً ». .
وجلس على حافة السرير .
«أوه؟» .

«لقد كانت على موعد للذهاب إلى جولة سياحية قبل أن يحدث
ذلك فعلاً ». .
«أوه . سين» قطبت سيرينا جبتيها وهي تلتهم ثمرة عنبر أخرى
وتابعت: «أنا قلقة بخصوص شيء ما ». .
«لم أعرف أطلاقاً من بعد الكبير بمثل هذا الحد ليقلق حوله» ثم
أضاف مهيكماً: «أو له مثل هذا الوع بالعنبر .. ماذا يكون في هذه

غموض غريب ثم سادها والهدوء والرقه وهو يقول: «كنت سأبين لك
مفاتنك لكن لا تشعرني بالصبيةانية وعدم النضج . ولكن أظن أننا سنفعل
ذلك ببطء أكثر» ثم وضعت على فه أبتسامة وهو يضيف: «سوف
أحادذنك بدلاً من ذلك . أنت جميلة يا سيرينا ومرغوبة جداً . وأنا أشك إذا
كان هناك من يجادل في ذلك ». .

ملاً الحرج عبيها مرة أخرى عندما التقت بعينيه . وقالت: «أنا
أيضاً .. غرة جداً وعديمة الخبرة . وأظن أن هذا كان واضحأ؟» .
وعق: «المداري يكن هكذا دائمًا» . ودس يده في شعرها وهو يضيق
بنسماً: «إنه جزء من سحرهن . فلا تقلقي كثيراً . وأقول لك شيئاً ...
دعينا نراهن على ذلك مثلاً خلال أسبوعين سوف لا تشعرين بالقلق تجاه
عدم خبرتك . وخلال ذلك الوقت دعينا نتحذق فرارنا ». .
«هل ستفعل؟» .

وأصحابها بهممة ولم يقل شيئاً بل طبع قبلة على شفتيها . وقال: «هذا هو
اليوم الأول من حياتنا الزوجية . فضلاً عن شهر العمل . ولذلك فيجب
أن خطط كيف سنمضيه . يمكننا أيضاً أن تبقى هنا طوال اليوم ...» .
«منعاذهين؟» !

لمت عبياه: بريق منهج وهو يجيبها: «أنا متأكد أنه قد حدث» ثم نابع:
«أو يمكن أن نستفظ .. لبرة». .

«سـ ..» خرج صوتها رفقاً ورفعت ذراعيها وأحاطت بها عنقه قائلة:
«شيء واحد تعلمته خلال ملازمتي لك . وهو أنك غالباً ما تذهبين ببراعة». .
رفع حاسمه وقال بصوت غابة في الوفار: «هل تريدين الرهان؟» .
بعدما بقرب من أسبوعين كانت سيرينا تخلس القرفصاء في سرير ديس
ولورين . وهي حجرها صحفة بها عنبر . ومثل باقي منزل جزيرة كاميرون
كانت حجرة رب البيت المزينة بالألوان الفضية والأرجوانية حلماً لأى
فنان ديكور . وبخالت الرفاهية في السرير الذي خلس عليه سيرينا وقد
ظللت محمول على أربعة أعمدة . لم تكن سيرينا ترتدي سوى رداء حمام

«قبلة وعنان؟ وبالطبع رغمًا عنى إلى حد كبير، ولكن الرهان رهان». وحررت إحدى يديها وأخذت تعبث بالشعر الأسود المصفر الذي تدللي على جين سن.

قال : إن قبلاً أو عناق شيء لا يرضيني تماماً الآن ». « لم أظن أطلقاً أنها سيفعلان » قالها سيرينا بجرأة سلطة ثمتابعت : « لقد كنت أعرف منذ البداية أنك ستفعل معن ما تريده ... فالرجال الذين يعتقدون المراهقات يفعلون ذلك في الغالب ». « يفعلون ما ي يريدون ؟ »

أرتفعت شفتها وغمضت : «أو... هه». «من واقع تعبيرتك؟» . «أوه... نعم». .

سأله: هل تعرفين ما سأقوله؟ ... أنت تتقديرين بسرعة جداً. بل إنك أدهشتني».

قالت بلهجة جادة: «أظن أن الفضل يحب أن يعود ملعمي... أو اللوم أيضاً. ما رأيك؟»

«أظن أنني يجب أن أبتكر عقوبة للجراوة المتناهية». أرغيفت شفنا سيرنا مرة أخرى ولكن في هذه المرة لم تستطع كتم ضحكتها.

وأثناء عودتها للمنزل بعد العشاء أوقف مبن السيارة بالقرب من شاطئ البر. كانت ليلة صافية مع درجة معينة من البرودة في الهواء ولكنها لم تصل إلى برود روزورود الآن. وكانت الأمواج المتكسرة تتجمع في عقب أصطدامها في تكامل بالشاطئ تحتم. وكان القمر يتألق في السماء ويكسو مياه الخطيب بغلالة فضة».

أراحت سيرنا رأسها على كتف سين وفعمت: «إنه رائع الجمال». «نعم... سندع ملزتنا في الغد. ولكن أعتقد أننا سنسلك طريقاً جانبياً قصيراً أثناء عودتنا».

۱۰۵

نهدت سيرنا وقالت: «إنها السيدة دينبي. ماذا ستظن بي...
وبي! ... لا بد أنها سيفاجئن تماماً».

«من الممكن أن يكون ظننا أسوأ نجاحي».

حدقت فيه سيرنا فائلة: «أنت؟»

«صغيرتني... بعض الناس قد يهموتنى باختطاف طفلة من مهدها».

زدت سیرنا شفتها وقالت بجدية: «سوف أكون في التاسعة عشرة خلال شهر» وذكرنه قائلة: «وقد كنت أيضاً أشعر بالقلق تجاه ذلك. فقط من وجهه نظرك لو كنت تعرف ما أقصدة».

٤٤٠ سأله بيراءه عندما طلب منها أن تغلق عينها. وسرعان
حوت سرعان دراعيه وغاصت في أحضانه.

وَكَرِهٌ فَانْتَهٰ : «سُوفَ خُرُجٌ لِلْعَثَاءِ بَعْدَ قَلِيلٍ ... لَقَدْ فَنَا بِالْحَزْرِ» .
عَبْ رَهْبَةٍ : تَفَكَّرَ مَلْفِهِ بِإِذْنِ الْمُهَبَّةِ فَأَذْهَبَهُ الْمُهَبَّةُ إِلَيْهِ

فُلْ كِرْ عَنِ الْجَعْلِ وَالْقَلْقِ بِخَصْرَوْ ذَلِكُ عَلَى الْأَقْلِ . الْمُتَرَاهِنُ عَلَى
سَيْ « فِي سَادِه شَهْرِ الْعِصْلِ هَذَا؟ »

قالت سربا بخلافية «حسناً». قبل أن أسلم بذلك فإنك لم تذكر ماء صبيحة للهظر ولا .. للخاسر».

ويرت عباء وهو يقول: «أوه هناك عقوبة مروعة تم تحصيها للخاسر». وأدعي العهم فائلة: «لقد ظنست أنه قد تكون هناك ... قبلة تحت

«؟
أمراً».

«إلى أين؟»

«إلى ونادتها.. هل ترثدين رؤتها؟»

«أنا أتفق بذلك».

«حسناً.. وبالمناسبة هل تعرفين... لا يجب أن تفلقي حول ما سيظنه بيل وديبي. فقد وجدتها أناسًا عفلاً. ولا يستسلمان للأحكام المترسعة العارضة. وخاصة على من يحبونها».

وارتسمت على شفتي سيرينا نصف أبتسامة.

«يمكنني فقط تخيل رينشارد وكاميرون وقد أصيّب بالذهول. وبالمناسبة فلدي فكرة بشأنها».

«أوه».

قال مبتسمًا: «نعم. إنها ستحاجان مربية أخرى الآن».

«ولكنها يستلزمان عملاً طوال الوقت ببنا قد تكون مشغولة».

«بأى شيء؟»

رفع أحد حاجبيه قاتلاً: «بكوكنك زوجة».

«كثيرات من الزوجات يجذبن التعامل مع الأطفال أيضًا. أنا متأكدة أنها تستطيع وعلى أية حال. فلديها بعض الحساسية تجاه موضوع المربيات. دعنا ننتظر ونرى... أرجوكم».

«مادمت تقولين هذا... حسناً. فستعطي فترة للتجربة. ولكن إذا بدأت أشعر بأنني ممثل..»

«أعدك بأن هذا لن يحدث».

وغمغم: «سوف أكتفى بذلك» ثم أحاطتها بذراعيه وقال: «آخر مرة فعلنا ذلك كانت المياه تمطر».

«لا... لم نكن... أوه.. أنت تقصد...؟»

«نعم... كانت الرمال تقطلك وأنت ترثدين ثياباً نكشف من جملة أكثر مما تستره». وأجرى عينيه على فستان السهرة الأزرق الذي كانت

ترتبه - لقد أحضر لها ضمن ما أحضره خلال شهر العمل.. ما يقرب من خزانة ثياب جديدة كاملة -. وتأمل شعرها الذي كانت تعقده فوق رأسها كي يبدو أكثر أناقة. كانت أهدابها المسدلة تلقى بظلالها على وجهها. وقال بدهوة: «ورغم ذلك فقد كنت جبلة إلى حد مذهل».

إلهعت أهدابها. وهى: «القد قلت لي أنت تحصل نائل أكبر قليلاً وأنظر كثيراً».

قال ساحراً: «أعرف أنتي قد قلت لك ذات مرة أشياء كثيرة يجب أن أكرر عنها» ثم تابع: لكن هناك شيء واحد إعتقدت أن قوله لي ... من حين لآخر. وعلى ضوء ذلك فهل لديك أي ندم الآن؟» ومس فها ثم أفرزق بأصابعه إلى حلقتها.

أرجعت سيرينا رأسها للخلف وأستندته إلى ذراعه كي يمكنها أن تخدقه في وجهه..... في هذه العيون التي جعلتها ترتعش من الخوف ذات مرة. كل شيء حولها كان قد جعلها تشعر تماماً بأنها ليست من فئتها... يالها من فتاة غرة حقيقة... إلى أن تروجها وفجر خلافاً أحاساماً لم تكن تصرف أنها قادرة عليها... ولتزداد من حبها له. وحدّثت نفسها سوف أحجه حتى الموت. وسوف أغوصه عن تلك المرأة الأخرى حتى يمكنني ذات يوم بنفس الدرجة...

قالت بصوت مبحوح: «لا... على الأطلاق» وقبّلت أصابعه عندما عاد يمر بها على شفتيها وقالت:

«هل تهدى أنت أى ندم؟»

«لا» وخفض رأسه منادياً لها.

كان أول رد فعل لدى رينشارد وكاميرون عند وصول سيرينا للمنزل هو كيف أن روبرت قد ثما كثيراً.

قال كاميرون وقد أتسعت عيناه: «بأولاد... أو... يا أولاد. هل يسر الأطفال بثل هذه السرعة؟»

قالت سيرينا ضاحكة: «لا... ما الذي يدفعك إلى هذا الفتن؟»

بمرارة ثم أستدارت إلى سين وفدي ملأ الدموع عينها وصافحته . ولكن سين لم يقنع بذلك .

قال بصوت وفور : « ديني ... أنت تعرفيني لمدة أطول من أن أذكريها . وكم كنت تعافيتي وفسترلين غضب الرب على رأسى ... والآن أعتقد أنتي أستحق أكثر من الصافحة » .

أبسمت السيدة ديني من خلال دموعها . وأرنكرت على رؤوس أصابع قدميها لثقله . وقالت : « أنت على حق ... أرجو أن تكونا معاً في غاية السعادة » .

قال بيل لسيرينا : « إنه اختيار حكيم ذاك الذي فعلته .. أيها الفتاة » .

* * *

على مدى الأيام التالية كانت الحياة في منزل روززود منعة بالخوبية والمحايدة . وكفتة أتنقال من هريرة إلى سيدة المنزل لم تستطع الأمور أن تمضي بسلامة بالنسبة لسيرينا . لقد صدمها أن الجميع يتكلفون تأكيد ذلك . ولقت نظرها عطفهم غير العادي . وإن بدا مفاجئاً إلى حد ما . حادت نفسها بأن الجميع يفسحون الطريق كما لو كانوا عاقدي العزم تماماً على جعل هذا الزواج يشق طريقه ... حسناً . هذا مفهوم الآن مادام قد حدث . وباعتبار أنتي لم أكن إلى وقت قريب غريبة تماماً ... لماذا تبرز هذه الجملة في تفكيري بأستمرار؟ وتأملت ملياً فائلة : « هل هو خيال أم أن الجميع شديدي اللهفة على تسهيل الأمور لي » .

وهزت رأسها . وربما كاستطراد تلقائي غولت أفكارها إلى سين . ورأته يتصرف على سجيته تماماً ... على سجيته ... ورقيق حتى في وجود الآخرين . ولا بد أن هذا يعني شيئاً . أليس كذلك؟ حتى لو لم تكن هي حب عمره .

« لا بد أنها ... من يمكن أن تكون؟ » سالت نفسها بصوت مسموع

قال ريتشارد بلهجة خشنة : « إن كاميرون يفكر فيما منذ زواجك أنت وسين . وربى سامي بانكس أن ذلك سيكون الخطوة التالية » .

تورد وجه سيرينا ببطء تبادل ديس ولورين - اللذين كانا يقضيان أياماً فلائل أخرى في روززود - نظرات ضاحكة . وقال سين جل فيه : « قال ذلك ... هل قاله؟ »

قال ديس مهكماً : « إن سامي بانكس قوة يحسب لها حساب ... وإذا سألتني يا سيرينا فأنت تستحقين وساماً لنجاحك في التعامل مع ثلاثة » .

وعندما أحتجدوا في اللايندروفر التي كان ديس قد قادها إلى مهبط الطائرات لاستقباها فقد رد سين على قوله قائلاً : « قد تكون تعرف نصف ما يفعلون » .

وعجائب فيها سالت لورين بأسى : « كيف نجحت في التعامل معهم » .

أجبت سيرينا بلهجة تعلقها السخرية : « أنا أشير إلى سين من حيث إلى آخر . ودائماً نتطلع عليهم الحيلة ... كيف تلقوا الخبر؟ »

« حسن جداً في الواقع فإن حتى ريتشارد فقد فوجيء . ولكن قال : على الأقل فهو ستبقي معنا الآن » .

لوك سيرينا فسادات وجهها وقالت : « أنا ... وماذا عن السيدة ديني؟ »

تساءل ديس : « عن أي شيء تباهسان أيها الفتائين؟ »

قالت لورين بمحاجة : « لا شيء ... حديث بنات . هذا كل ما في الأمر ». ولكن ضاعت الفرصة لمعرفة رد فعل السيدة ديني عند سماعها النباء لأنهم كانوا قد وصلوا للمنزل . وغاص قلب سيرينا في قدميها عندما سمعت السيدة ديني وبيل يقفنان لدى بوابة الحديقة وكأنهما لجنة استقبال .

هد سين يده إلى يدها وضقطت عليها مطمئناً .

ولكن إذا كان للسيدة ديني أن تحفظات على هذا الزواج المفاجيء فقد فضلت الا تزدهر . وبطلاً من ذلك أحتجزت سيرينا بين ذراعيها وضمها

«لدى أغراء أن أظن نفس الظن». براءة ونقاء وفتاة في محنة حقيقة كما أخبرتني وكما أكدت سين. ومن الواضح أيضاً أن لديها نزوة خاصة بها. ولذلك لا يبني أن فلقن بهذا الصدد؟»

قالت السيدة ديني بلهجة جافة: «كانت هناك الكثيرات من أمثال ذلك على مر السنين».

«في الحقيقة فإن ريتشارد وكاميرون شغوفان بها. رغم أن ريتشارد سيكون آخر من يعرف بذلك ولكن هل رأيت كيف أضاءات وجههما عندما وقع نظرهما عليها مرة أخرى؟ وبالمناسبة فكيف أستمعنا ياقامتها مع دبلفين؟ إنها لم يقولوا الكثير عنها؟»

«هدان الآنان» ونهدت السيدة ديني وتابعت: «يزيد حذرها كلها كبيرة».

«ماذا تقصدين؟»

«حسناً، إنها لم يعودا يتقبلان الأمور بقيمتها الظاهرية. فقد حدث لها الكبير جداً في صغرها. وأعتقد أنه حتى دبلفين أن تلك الأيام التي كان يامكانها فيها مجرد أن تأتى وتتأسر لهم قد ولت. ولكن يجب أن أعرف بأنها كانت صادقة بخصوص ذلك».

«هل وقفت فيك؟»

«نعم، حسناً، أناأشكر الرب لأجل سيرينا. لقد جعلتنى أدرك أننى كنت أعيش شاردة في أرض طير الوقا (التي لا تجيد التربية صغارها) «إبهم لم يعودوا أطفالاً».

ساد الصمت لما يقرب من دقيقة. وعندئذ قالت لورين: «لقد كانت دالماً صادقة... أليس كذلك؟»

«هناك بعض الأشياء التي لا أستطيع أن أغفرها لها. سواء كانت صادقة أو لا».

ردت لورين: «أنا أيضاً» ولكن لنعد إلى سين: «هل يمكن أن يكون فعلها؟»

وقد فطلبت جيبها. وتابعت: «لماذا أشعر وكأنني باندورا» عندما أفكر فيها؟»

«أتراها تعرف؟»

توقفت سيرينا وهي في طريقها إلى حجرة النوم عندما سمعت لورين تلقي هذا السؤال على السيدة ديني. كانتا تجلسان حول إحدى زوايا المنزل على الدرج الخلفي في بقعة من ضوء شمس الأصليل. وقد أدركت سيرينا خلال اليومين الماضيين، أن السيدة ديني ولورين كانتا صديقتين منذ زمن. وفي الواقع فقد نزوح ديس ولورين من منزل روز وود.

وسمعت السيدة ديني تغيب: «لست أدرى».

قالت لورين: «لابد أنها سترى عاجلاً. ولا أستطيع تمالك نفسى من التساؤل عما ستفعله وعن رد فعلها».

ووافقت السيدة ديني: «الله يساعدنى... ولا أنا أقدر».

«هل ما يتحدثان عنى؟» سالت سيرينا نفسها في عجب عندما وجدت نفسها لا إرادياً تسترق السمع مرة أخرى. في هذه الأثناء كانت قد أخذت ريتشارد وكاميرون إلى الجدول للصيد. ولكن ديس وسين لحقاً بها وعرضوا أن يجعلوا محلها. وحيث أنها لم تكن ذات خبرة كبيرة في الصيد فقد غلت عن مكانها ضاحكة. ووقفت أن تبقى لتعلم. وأمنت ظهر سالي عائنة إلى المنزل. وكان من الواضح أن لورين والسيدة ديني لم يتبنوا لذلك لأنها وأصلاً حديثها بجريدة.

قالت لورين بأسى: «لقد كان يمكنكم أن تصرعنى بضررها ريشة لدهشنى عندما أعلن سين أنه سيتزوجها».

«وأنا أيضاً عندما سمعت ولكن..»

فاطعنتها لورين: «أنا أعرف... من الواضح أنها تهم به».

غضبت سيرينا شفها.

قالت السيدة ديني ببطء: «كان يمكن أن يفعل ما هو أسوأ من ذلك. في الواقع أنا أظن أن هذا هو أفضل ما حدث له».

«أوه... لابد... لماذا لا ينبعي عليه أن يفعل؟»

«عكن أن يكون سن فاسياً. أنا أعرف. وكلنا نعرف على ما أظن»

«إذا ماسلتني عن ذلك فقد فات الوقت ... أما إذا كان من حق سربنا فهذه مسألة أخرى».

ثم أضافت السيدة دينبي: «حسناً. يجب أن أبدأ الآن في إعداد
شرع للعشاء».

وأبعدت سيرنا مسرعة. ولكن طوال ما تبقى من اليوم كانت شديدة الخبرة. وسألت نفسها كيف سيكون رد فعلى إذا عرفت ذاك لا أعرفه أياً ما يكون؟ من الواضح أبهم لا يعترفون أن سن كان صادقاً معنى».

جاء العشاء ذا طابع خاص بالسيدة ديني: لحماً مشوياً وكعكة بوركشائر (التي تعد من اللحم والدقيق واللحم والبيض) * وتبغها حلوي صنعت من المخمر والقشدة. وفتح سين زجاجة خمر. كانت آخر ليلة للدرس ولورين:

وكان من دواعي سرور رششارد وكمامبرون أن سمع لها بتناول كأس من الخمر أيضاً.

ونصحهما سهـ قائلـاً: «أـدـشـفـاهـ».

قال ريتشارد بلبهجة توحى بالآلهية: «هذه ليست أول مرة عتنس فيها». الطب». 

1186

«لقد صحتنا أميناً للقضاء خارج المثل». - كوكيل بادن

وكان لهم ملائكة من ربيهم يحييهم **فَلَمَّا تَحْسَبُهُمْ أَنْ يَعْجِلُوا**

فهقه كامبرون قالوا: «لم نفعل» وكان معروفاً بالتزامه الصدق دوماً.

فإن ريسارد بعمامه: «لقد كانت سمبانيا: كانت مدينة المغولين ولكنها...» وتغضن وجهه محاولاً التذكر وأضاف: «كانت لاذعة جداً». في كل شفاعة: فلان: «هذه قدرة الله».

غمض مين بوجه جامد حال من التعبير: «يسعدنى أنها أعجبتك» ولكن تلاقت عيناها بعيني سررتنا التي أستدارت ونظاهرت بالسعال.

رن جرس التليفون مجرد أن أنهوا من تناول حلوى المخوخ والقشدة، وكانت السيدة دينبى تجمع الأطباق فذهبت لترد على التليفون.

وعادت قاتلة: «لك ياسين». ورفع حاجبيه ناظرًا لها ولاح في عينيه عدم الأرباح بينما تابعت قاتلة: يدو الصوف أنه ... ت. ٣».

صافت علينا سين ثم هب وأخذ التليفون إلى حجرته وأحکم إغلاق
باب.

لن تلق سيرنا بالآ لذلك ، وأخذت هى ولوتين تساعدان فى رفع الأطباق . غالباً ما يجري بين مكالمات تليفونية خاصة بالعمل . وبعد مدة كانت قد بدللت ملابسها وأرتدت فيض نوم وجلست على سريرها نمشط شعرها . وعندئذ رأت سيرن مرة أخرى .

والمفارقة بعجراة دبس ولو زين فقد كانت حجراً رب البيت في متزعم
قديمة الطراز ولكنها مريحة. كان هناك مصطلح تتوهج النار في موقدة
وتفقى بظلاله متراقص على الجدران العاجية اللون. وقد وضع على
جانبي المصطلح كرسيبن كل منها على هيئة سلة وكانت كسوتها ذات
الوان عاجية وفرنقية برسومات صغيرة تتوافق مع ملادة السرير. كانت
حجراً فسيحة. وفي البداية كان روبرت متنيباً إلى حد ما من المساحات
الخاوية على أمتداد السجادة الفارسية الجميلة التي كانت تقطع الأرض
ببدأ من أرجل السرير حتى باب الشرفة. ولكن بعد يومين فقط كان يشب
فوقها فرحاً بكرة الرغب الصغيرة التي صنعتها له سيرينا وكان السجادة
أصبحت ساحة لعب خاصة به. بل إنه دفع سين للاحفته فائلاً: «إنه
كقط صغير جداً وصعب التميز فإنه يعرف بالتأكيد كيف يمتع نفسه».
ولكتها ساءلت نفسها أتراه أدرك أن السجادة تعادل ثروة صديرة؟
وأبانت وأجايتها نفسها بأنها كانت تعلم التحليل بأنفص درجات

لاحظ الحركتين وقال بصوت لا يكاد يسمع ببنا كان أحد أعضاب فكه يتلمس: «هل تعرفين كم تدين كيرة في هذه اللحظة؟» خففت سيرينا وألقت نظرة خاطفة على قبض نومها المصنوع من قماش الفيللا الوردي الرقيق والذي كان يصل إلى كاحليها ثم انتقل بصرها إلى قدميها العاريتين ثم إلى معصمها وقد أحاط بها شريط فيلا مزركش مثل ذاك الذي يحيط بعنقها. وفي حركة دفاعية مقاومة رفعت يديها ودفعت شعرها الذي كان مستراسلاً على كتفها.

ولكن سين منعها بأن قبض على معصمها وقال: «لا تفعل... فإنه لا يفيء... بل إنه يظهرك كيما لو كنت تحاولين أن تكوني أكبر». ففرت سيرينا منها وأتسعت عينها وأجللت بوضوح ثم لفظت أسمه وهي تتنفس أنفاسها.

«ماذا؟»

همست: «لماذا... حدث خطأ... أليس كذلك؟ أنت... أنت... غيرت رأيك بخصوص... بخصوصنا». خفشن بصره وحدق في عينيها المفعمتين بالألم. ورأرت وجهه فاسياً.. بل بدت عليه بعض السخرية. وعلا تنفسها حتى استحال نسيجاً بيضاً، وحاولت تغلط معصمها من قبضته.

جلس سين إلى جوارها وكان معصمها لا يزال في قبضته. وقال بهدوء شديد: «لم أغير رأيي» وما تجاهها قائلًا: «أشكر أنتي يمكن أن أفعل ذلك على الإطلاق». وترك معصمها.

سألته في قلق: «إذن لماذا.. ياسين. أرجوك. أخبرني.. تحدث معي أنا.. أنا لا أفهم».

وغمغم قائلًا: «أنت لن تفهمي حتى لو أخبرتك. أنا نفسى فهمت بالكاد. ولكن حيث أنه قد حدث..» وتوقف وعندئذ.. وبصوت نافذ الصبر.. احتواها بين ذراعيه. وقال: «لاتنظرين هكذا..» وبدأ يقبلها. وفيما بعد... وعندما كانت كل التيران قريباً قد أحترقت في المصطل..

الاحترام ليس فقط للسجادة الفارسية ولكن أيضاً لكل قطع الأثاث والتجهيزات». ولكن الآن.. وببنا غلس سيرينا على سريرها تنشط شعرها فقد كان روبرت متوكلاً في سنته ينطف في سبات عميق.. على الأقل مثل باقي سكان المنزل. وكان الهدوء الشديد يسود المكان. لقد أخلدت لورين للنوم مبكراً قائلة أن صحبه التوأم وهواء الريف المنعش على مدى الأسبوعين الماضيين قد نالا منها أخيراً. وأسحببت السيدة دينبي مبكراً كما أن ديس ذهب لفراشه منذ ما يقرب من نصف ساعة. وكانت سيرينا قد أعادت فرشتها لمكانها وتأهبت للذهاب لترى ما الذي يمنع سين من الجيء. وفي تلك اللحظة فتح باب حجرة نومها ودخل سين.

قالت مبتسمة: «لقد كنت على وشك الجيء إليك لأدرى ما يعنك» ثم تلاشت أبتسامتها وقطبت جنبيها قائلة: «هل هناك شيء خطأ؟»

ولم يجدها ولكنه أستند إلى الباب المغلق وتنى ذراعيه فوق صدره وأستقر بصره عليها في نظرة جامدة.

كان قد بدل ملابسه لتناول العشاء وأرتدى سرواله الجينز وفيصاً رعاياً مع سترة سوداء. وكان شعره الأسود المصفف مشعاً كيما لو كان قد أجرى يده خلاله بعصبيه ربما لعدة مرات. ورحا بسبب ملابسه التي ذكرتها بمقابلة في حجرته ذات مرة، أو بسبب وجهه أو ربما بسببها معاً وجدت نفسها تقول في إرتياه: «هل فعلت أنا شيئاً خطأ؟»

سألها بحدة: «لماذا يجب أن تخيلي ذلك؟»

قالت بتعلم: «أنا... أنا لست أدرى... أنت تبدو» وتوقفت وأشارت في عجز».

أعندل سين وتقدم حتى وصل السرير ووقف منتصبأً أمامها وقد دس يديه في جبيه فأحضرت أن تبل رأسها للوراء حتى تستطيع النظر إليه. وشبكت يديها في حجرها وضفت ركبها معاً بعصبيه.

تحركت سيرينا في حرص . فلم يتحرك سين ..

ورفدت على ظهرها مفتوحة العينين مضطربة . لقد كان سلوكه منها حاداً
بل عنيفاً وكانت هذه هي المرة الأولى التي يحدث فيها ذلك .

حدّثت نفسها وهي تحدّق في السقف ... لقد حدث شيء ما هذا
ال مساء ... شيء ما جعله يتغيّر . ماذا يمكن أن يكون؟ لابد أنّي قد فعلت
شيئاً ما ...

ورغم أنها أجهدت عقلها كثيراً ... فلم تصل إلى شيء . وندّكرت أنه
كان في غاية الرقة حتى جاءت المكالمة التليفونية ... وأنا حتى لم تره بعد
ذلك إلى أن ...

وقوّرت فجأة . المكالمة التليفونية ... أتراها كانت بشأنها؟ رالف ...
ربما ... أو زوجة أبيها؟ هل أخطرها سين بالزواج؟ ولكن أي شيء على
ظهر الأرض توصلها إليه يجعله يمثل هذه ... الحالة التي كان عليها؟

تهدت في يأس وهي تتوّق إلى طلب الراحة والحماية بين ذراعيه .
ولكّها تعرف أن هناك حاجزاً ما بينها الآن . ظلت متقطّلة في مرقدّها
حتى ساعات الصباح الأولى . وعندئذ غطّت في نوم عميق .

أوقفتها ريتشارد وكاميرون على نيا أن ديس ولورين على وشك الرحيل .
إرتدت سيرينا ثيابها بسرعة عندما أدركت أنها نامت لما بعد وقت الأفطار .
وتعجّبت لماذا لم يوقفها أحد قبل ذلك . لم يكن هناك أثر لسين .
كانت السيدة ديني أول من قابلها فقالت: «لماذا لم توظفيني
باديبي؟»

«لقد طلب سين أن ندعك نائمة يا سيرينا . والآن سأعد لك بعضًا من
الكوب . وهذا هو كل ما يسمح لك الوقت به إذا كنت تريدين توديع
سين ولورين» .

«بالطبع أنا أريد ... ماذا يمكن أن يظنناه بي؟»
جاّدها صوت ديس من وراءها: «فقط أنت عروس جديدة حيث أنك
كنت لاتزالين نائمة» .

وقفت وأستدارت لترى أن سين كان معه . وتغضّب وجهها قائلة:
«أوه ... أقصد ... أوه» .

همست ولورين في أذنها: «خن نفهم . لا تدعهم يستغرون بك» .
ورغم أن سين أقسم إلا أنها كانت أبسامه روتيبة فاترة . وكانت عيناه
متقطّلان على نحو غريب . ولأول مرة وجدت سيرينا نفسها غير قادرة على
مواجة هاتين العينين .

ولكّها أستطاعت بعض الجهد الوااعي لإرادتها أن تعكس صورة
مبتهجة طوال رحلة الذهاب إلى مهبط الطائرة . وأظهرت أمتناناً حقيقياً
لديس ولورين عند معاشرتها .

وعندما أختفت الطائرة وتوقف التوأم عن التلوّح لها بخامة بدأ
سين يقول شيئاً ولكن أحد رجاله الذين يرعون الماشية أقبل بجواده وهو
يلوح بقبعته بفورة .

أخذ سين يسب ويعلن سراً . ولكن أتفصح أن أحد الرعاة قد سقط
من على جواده بينما كانوا يقودون قطيعاً من الماشية التي سحقته تحت
أقدامها . وقد أصيّبت إحدى ساقيه بشدة .

ولدى تسلمه هذا الفيض من المعلومات من ذلك الرجل اللاهث
المراهق الذي أوقف جواده بجوار اللاندروفر فإن سين لم يضع وقناً حتى في
الأحسان بالذنب . وأعطى الرجل بعض التعليمات السريعة ثم قال
بأنفاسه للعشد الموجود باللاندروفر: «سوف أعيّدكم للمنزل» .

سأله ريتشارد بسرعة: «الا يمكن أن نأتي ونرى؟»

قال سين بلهجة جافة مقتضبة: «لا ... لا يمكنكم» ثم تابع «دينى ...
هل يمكنك بعث رسالة باللابلسكى إلى الأسعاف الطائرة . يبدو أنّا
سحتاجه . شيءٌ مثل للرقاء أنا فقدنا بيل في النور» .

قالت السيدة ديني بهدوء: «حسناً . هل يمكن أن ترتب بمحى
شخص ما لمقابلته ونقله بالسيارة؟»
«نعم . حسناً . انزلوا» أوقف سين اللاندروفر لدى بوابة الحديقة .

وبدا على التوأمين السخط ولما يقزان مع السيدة دينبي. وضع سين بدء على ذراع سيرينا عندما كانت على وشك التزول والفتت تنظر إليه.

قال بهدوء: «على ما يرام؟»

«بخير» كذبت وأسلبت أهدابا على عينها البنفسجيتين كي لا يرى الحقيقة».

«سيرينا... سوف أعود بأسرى ما يمكثني..»

«بالطبع. أرجو أن يكون بخير. سوف تبقى أصابعى مشابكة فلماً» وأنزلقت من السيارة. ورغم ذلك فقد ظلت للحظة قبل أن تغلق الباب بأنه كان على وشك أن يقول شيئا آخر. ولكنه لم يفعل آخر الأمر. وأنطلق بالسيارة مسرعاً.

كان يوماً طويلاً. وكانت الأخبار التي وصلتهم أخيراً تقول أن سين قد رافق الرجل في الأسعاف الطائر إلى المستشفى المركزي وقد يبيت معه.

«إيهم يذلون أقصى الجهد لإنقاذ ساقه» هكذا أخبرهم بيل الذي كان قد عاد بعد ما أوصل ديس ولورين لمتزها. وتتابع فائلاً: ولكنه وضع خطراً... بالله من فن مسكن. في الواقع هو لا زال مجرد طفل».

أجللت سيرينا لأول مرة نفذ صبرها مع ريتشارد وهي تضع التوأمين في فراشها. كان ذلك عندما بدأ ريتشارد طرح نظراته عن مدى صعوبة فقدان ساقه.

قالت ياقضاب: «بل صلى كيلا يحدث».

بدأ على ريتشارد بعض الأسئلة وقال: «أنا فقط أسأعل ..» تهدت سيرينا وشعت شعره بيدها فائلة: «أنا أعرف، أنظر. سوف أقرأ لك قصة أخرى. وعجب أن يجعل ذلك خلدا للنوم».

وقد حدث. ولكن ذلك ترك سيرينا لإرادتها الخاصة. وهو ما حاولت أن تتجنبه طوال اليوم. إن السيدة دينبي التي تستيقظ مع الطبر قد ذهبت هي الأخرى لفراشها. ونقى هو أيضاً طائر مبكر. ورغم أنه لم

يصح مبكراً مثل السيدة دينبي إلا أنه يجب قضاء الساعة الأخيرة من يومه في القراءة في هدوء وعزله حجرة نومه.

بدلت سيرينا ملابسها وقررت أن تذهب هي نفسها للفراش. ثم غابت رأسها وأخذت تتجول مهوممة في الحجرة.

جلست إلى مكتب سين وعيت أصابعها بشرائط «الروب دي شامبر» الأزرق الفطني المطرز الذي كانت ترتديه. وكادت تفزع من جلدتها عندما ردت التليفون.

أجابت على التليفون وقد تلاحت دقات قلبها فرعاً يكون سين، «آلو؟»

كان هناك سكوناً ثم سلسلة من القرقة والطفطقة. مرة أخرى قالت: «آلو»

«سيرينا. أهذه أنت؟ أنا... إه... أنا ديلفين؟»

«أوه... مرحباً. كيف حالك؟»

كان هناك بعض التردد ثم قالت ديلفين بهدوء: «بخير... سيرينا... هل سين موجود؟»

أوضحت لها سيرينا ماحدث وسألتها: «هل يمكنني أن أبلغ رسالة؟»

«لا» قالتها ديلفين بنفس اللهجة الهاذة الغامضة ثم أضافت: «والمتناسبة. تهنئني».

وفرد وجه سيرينا وقالت وهي تخبس أنفاسها: «شكراً لك. لم أكن متأكدة إذا ما كنت قد عرفت. أنا... لقد حدث على نحو غير متوقع تقريباً».

قالت ديلفين: «نعم.. في الحقيقة لم أعرف حتى اتصلت سين تليفونياً الليلة الماضية. حسناً..»

قالت سيرينا مباشرة: «أنت اتصلت بين الليلة الماضية؟»

«نعم» بدا صوت ديلفين مجدها ومرهقاً إلى حد لا يمكن وصفه.

الفصل التاسع

(السيدة وينت وورث)

«لا شيء» إندرفت سيرينا فائلة: «لا شيء» وحكت جبينها في استغراق وقالت: «كل ما في الأمر أنتي قد أستجعى ذلك». قال بيل بلهجة آمرة: «أيتها الصغيرة أنصتني لى» ثم نابع «كان ذلك منذ وقت طويل مضى. إنها مياه تحت الجسر... شيء من هذا القبيل». «حسناً...»

«ولا تدعها تقول لك شيء آخر. في الواقع. لقد أحدثت ما يكفي من المشاكل في هذه العائلة. ولكن كنت أنت من تزوجها سين أيا كان ما حدث منذ أعون مضت».

كانت سيرينا شديدة الشحوب. ولكنها قالت بدرجة هادئة إلى درجة كافية: «هل كانت تأمل أن يتزوجها سين؟». قال بيل بجدية: «إذا كانت قد فعلت فإنها تكون قد أخطأت فهمه. إنه ليس ذلك النوع الذي يشتهي زوجة أخيه».

«ولذلك فإن سين وديلفين لم يتقابلا حتى تزوجت أندرو؟» «لا.. لم يتقابلا... أنتي. هناك شخص واحد يمكن أن يعكر لك عن ذلك. وهو سين نفسه يا سيرينا».

وقالت: «أنظري يا سيرينا. أنا لن أعطلك. أبلغني حبي للتأمين. والآن إلى اللقاء».

رفعت سيرينا سماعة التليفون عن أذنها وحدقت فيها. وعندئذ أغلقت عينيها لأنها تعرف أن كانت هناك مكالمة تليفونية واحدة ليلة واحدة ليلة أمس. وأخيراً أضحت الأمور.

«من كان هذا؟»

ففرت ورفعت بصرها لتجد بيل واقفاً في المدخل. سألهَا: «سين؟ أى أبناء؟» وخطا إلى داخل الحجرة وقابع: «لا أستطيع أن أخرج الطفل البائس من رأسى».

قالت سيرينا بصوت مبكي: «لا.. لا.. لقد كانت ديفين يا بيل» وأعادت المساعة إلى مكانها وسألته: «بيل... هل كان بينها حب في وقت ما؟ أقصد سين وديلفين؟» تغير وجه بيل ببطء وأنقدت عيناه الزرقاء ونان بالغضب وقال: «ماذا كانت تقوله لك يا سيرينا».

«أوه.. لقد فعل».

سألها بيل : «إذن لماذا تبدين هكذا؟»

«إنه.. لم يخبرني من.. كانت هي».

صمت بيل للحظة . وعندئذ قال : «هل يحدث ذلك أى فرق؟»

«إنه يحدث .. لست أدرى لماذا . ولكن يفعل» هكذا همست سيرينا لروبرت الذى كان قد تکور في حجرها وهي تجلس في حجرة نومها على أحد المقعدين المخاورين للمصطلي . وبطريقة أو بأخرى أستطاعت أن تطمئن بيل أن هذا قد خطر لها فجأة ولكتها سكون بخير . وناظرت بالرفاد في فراشها .

لكن كان النوم هو أبعد شيء عن عقلها الآن . وأستغرقت في التفكير متسائلة : «لماذا لم يخبرني؟ ... أنا... أوه . هذا ما كانت ديني ولورين تتحدثان حوله ... ليس عن رد فعل ولكن عن رد فعل ديلفين عندما فهم بما زواجنا . أظن أنها أظهرت رد فعل شيء إلى حد أنها أصابت سين بالأحباط . لقد كان غريباً جداً الليلة الماضية . كما لو أن رواحه مني كان شيئاً لا يجب أن يفعله» .

أغلقت عينيها وأسندت رأسها للخلاق وتحدت متسائلة : كيف كانت عياء إلى هذا الحد . وعندئذ عاد إلى عقلها السؤال الذي حيرها تماماً . لقد كان سين صريحاً معها إلى حد معين . لقد حكى لها عن حب سار في الأنجاه الخطأ ... لماذا لم يخبرها أنها كانت ديلفين؟ كان من المؤكد أن تكتشف ذلك آ杰لاً أو عاجلاً .

وهيست ... «ربما لأننى لم أكن لأتزوجه لو كنت عرفت؟ لم أكن أبداً ... إنه شيء ما يجب معرفته بشأن أمراً غامضه لم يستطع الحصول عليه . ورغم أن الأمور ليست بهذه الصورة تماماً . إلا أنه شيء آخر أن تعرفهاحقيقة . بل وتبها ... وأن تسأعل عنها إذا كان سين قد تزوجها كـ... كموع من العقاب لهذه المرأة . الم تقل له ... متى تتوقف عن عقابي؟»

سالت دمعة صامتة على وجنتها . ولعقتها من على شفتها عندما طرح السؤال التالي نفسه في عقلها .. وسألت نفسها... ما الذى ييفيها متباعدين عن بعضها مثل هذه الصورة؟ كان يمكن أن أفهم ذلك إذا كانت لاتزال متزوجة من أخيه . بل إذا كان أندرو لا يزال حياً . ولكن الآن ..

أترى ... هل كرهها سين - رغم سقوطه في الحب معها - لتدخلها بينه وبين أخيه... . وعندئذ مات أندرو فأصبحت الأمور أشد سوءاً؟ وعندئذ أصبحت حرة تماماً . أليس كذلك . ربما تعبه وتربيه في بود يأس . ولكنها لاتزال تريد أن تختفظ بتجاجها في عملها على ما أظن ... ليست مثلى أنا ... الزوجة الكاملة ليسين وينت وورث من كل التواحي ما عادا ناحية واحدة . وهذه الناحية أنه يجب أمراً أخرى . لست أدرى كيف يمكن أن أتعايش مع ذلك . وليس في هذه الظروف ... أعتقد أنه ربما يجب أن أرحل قبل أن تتعقد الأمور على غوا لا يصدق ويؤدي كل منا الآخر بدرجات أشد .

وينهضت ووضعت روبرت برقة في سلة . وفجأة أستدارت وأندفعت إلى الفراش وقدفت نفسها عليه وأنكبت على وجهها .

ويكت قائلة : «أنا أحبه بشدة . كيف يمكنه أن يفعل ذلك لي؟ ولكنني سأريه ... ماذا؟»

ودارت حول نفسها وجلست في فراشها وقد وضعت وجهها بين يديها وسألت نفسها ياستراق: أنت لا تستطيع تحمل الأذى؟» وأجابت نفسها : «نعم . وأيضاً هو يطنى طفلة إلى حد أنى لا أستطيع الفهم ... أنا أفهم جداً الآن . وأرحل ولكننى سأكتب لك كلمة ياسين وينت وورث . وفي هذه الكلمة سأخبرك بقليل من حقائق الحياة . إنه شيء طيب تماماً أن تكون صلباً وغير مسامح . ولكن الطريق الوحيد لأن تخبا سعيداً هو أن تصفح عنها تماماً . هل هي جريمة أن تجد أنك تزوجت الإنسان الخطأ؟ كم يجب أن تستمر تدفع نفس ذلك؟ بقية حياتك؟

أشجار الموجا وكتل العشب الخشن . وعندنـذ أحسـت ببساطـة أنها منهـكة تمامـاً . كان ذلك عندـما قرـرت أن تـوقف وـتأمـل مـوقـعـها . وعندـذ أـوقفـتـ المـحرـكـ فيـ حـماـقـةـ .

وـوـجـدـتـ منـ تـأـمـلـاتـهاـ أنـ الشـءـ الـوحـيدـ الـذـيـ يـمـكـنـهاـ عـمـلـهـ هوـ أنـ تـدورـ عـلـىـ أـعـاقـبـهاـ وـتـحـاـولـ إـقـتـفـاءـ أـثـرـ طـرـيقـهاـ إـلـىـ حـيـثـ أـنـحـرـفـ دـونـ قـصـدـ عـنـ الطـرـيقـ الصـحـيـحـ . وـعـنـدـذـ رـفـضـ مـعـرـكـ الـلـانـدـرـوـفـرـ الـعـملـ مـرـةـ أـخـرىـ .

قالـتـ بـصـوـتـ عـالـ .. سـأـضـطـرـ لـلـمـسـيرـ . ثمـ أـرـتـعـدـتـ عـنـدـمـاـ تـذـكـرـتـ المـرـةـ الـأـخـيـرـةـ التـيـ اـتـخـذـتـ فـيـهاـ قـرـارـاـ مـشـابـهـاـ لـذـكـرـ وـمـاـ تـرـتـبـ عـلـيـهـ . وـأـضـافـتـ تـحـدـثـ نـفـسـهاـ .. وـلـكـنـ لـدـيـ مـسـارـ أـتـبـعـهـ هـذـهـ المـرـةـ . وـاجـتوـ ليسـ مـظـلـماـ . وـيمـكـنـشـ أـنـ أـتـاـوـلـ جـرـعـةـ طـيـبـةـ مـنـ الـكـيـسـ الـمـوـجـودـ بـمـقـدـمـةـ السـيـارـةـ . بلـ يـمـكـنـ أـنـ

أـخـذـهـ مـعـيـ ..

وـأـخـتـمـتـ كـلـامـهـ بـثـقـةـ أـكـبـرـ قـائـلـةـ .. إـنـ كـلـ الـأـمـورـ تـسـيرـ لـصـاحـبـ . وـعـنـدـنـذـ نـظـرـتـ حـوـلـهـ مـرـةـ أـخـرىـ . إـلـىـ السـمـاءـ الـمـتـدـةـ بـزـرـقـتـهاـ الشـتـوـيـةـ .. وـإـلـىـ الـأـرـاضـىـ الـمـبـسـطـةـ بـلـاـ نـهـيـةـ وـالـتـسـ كـانـ يـمـدـوـ جـلـياـ أـنـهـ غـيـرـ مـأـهـوـلـةـ . وـيـدـتـ كـانـهـ شـاهـ وـحـيـدةـ . وـلـلـحظـةـ غـلـبـهـ اـحـسـاسـ قـوـيـ بالـضـائـةـ وـالـعـزـزـ . وـهـمـسـتـ .. مـاـذـاـ لـاـ تـوـقـفـ لـأـنـكـرـ قـبـلـ أـنـ أـفـعـلـ مـثـلـ تـلـكـ الـأـشـيـاءـ . رـبـماـ لـاـ أـزـالـ طـفـلـةـ أـكـثـرـ مـمـاـ أـدـرـكـ ..

كـانـ لـحظـةـ مـؤـلـةـ عـنـدـمـاـ صـدـرـ أـزـيـزـ مـنـ لـوـحةـ أـجـهـزـةـ الـقـيـاسـ الـمـوـجـودـةـ بـمـقـدـمـةـ السـيـارـةـ أـمـامـ السـاقـ .. كـانـ أـزـيـرـاـ وـاضـحاـ .

حـدـقـتـ فـيـهـ سـيـرـيـناـ وـفـيـ الـأـجـهـزـةـ .. وـيـدـاـ قـابـرـاـ يـخـافـقـ بـقـوـةـ وـظـنـتـ أـنـ هـذـاـ بـالـطـبـعـ لـابـدـ أـنـ يـكـونـ جـهـازـ لـاـسـلـكـيـ لـلـاـرسـالـ وـالـاستـقـبـالـ أـوـ شـءـ مـنـ هـذـاـ القـبـيلـ . وـهـذـاـ هوـ سـبـبـ وـجـودـ مـثـلـ هـذـاـ الـتـوـانـ الـطـوـيلـ .. مـاـذـاـ لـمـ أـنـكـرـ .. فـيـ هـذـاـ ؟ تـرـدـدـتـ يـدـهـاـ وـجـفـ حـلـقـهـاـ لـأـنـهـ أـدـرـكـتـ .. أـدـرـكـتـ تـمـاماـ أـنـهـ لـابـدـ أـنـ يـكـونـ سـيـنـ . وـرـبـماـ يـكـونـ غـاضـبـاـ مـنـهـاـ إـلـىـ درـجـةـ لـمـ تـحـدـثـ مـنـ قـبـلـ .. وـلـكـنـ هـلـ يـجـبـ لـأـتـجـيـهـ ؟ أـنـ يـضـاعـفـ ذـلـكـ مـنـ حـمـاـقـهـ؟

كـنـبـتـ سـيـرـيـناـ «ـ .. وـهـذـاـ هوـ سـبـبـ رـحـبـلـ يـاسـينـ . لـأـتـرـعـجـ بـسـبـبـ ذـلـكـ . عـلـىـ الـأـقـلـ فـهـنـاكـ نـتـيـجـةـ وـاحـدـةـ طـيـبـةـ لـاـ حدـثـ . أـنـ حـرـةـ وـمـسـتـقـلـةـ الـآنـ . هـلـ نـجـدـ باـسـاـ كـبـيـراـ فـيـ أـنـ هـمـ بـرـوـرـتـ لـأـجلـ؟ـ ..»

وـتـوـقـفـتـ وـعـضـتـ عـلـىـ مـؤـخـرـةـ الـقـلـمـ ثـمـ عـاـوـدـتـ الـكـاتـبـةـ: «ـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ الـطـرـيقـ الـذـيـ سـارـتـ فـيـ الـأـحـدـاتـ .. فـسـابـقـيـ دـافـعـاـ مـنـتـهـ لـكـ لـإـنـقـاذـيـ مـنـ رـالـفـ . سـيـرـيـناـ»ـ .

وـفـرـاتـ وـأـعـادـتـ قـرـاءـةـ كـلـمـتـهاـ . وـعـنـدـذـ طـوـبـاـ بـحـرـصـ ثـمـ .. هـطـلتـ دـمـوعـهاـ . «ـ كـلـ مـاـ يـجـبـ أـنـ أـفـعـلـهـ الـآنـ هوـ أـنـ أـكـتـشـ كـيفـ يـكـنـىـ مـفـادـرـ الـمـكـانـ . أـنـ مـتـأـكـدـةـ تـمـاماـ أـنـ بـلـ لـنـ يـتـلـقـنـ بـالـطـائـرـةـ .. لـسـتـ أـدـرـىـ، أـعـرـفـ أـنـيـ لـمـ أـفـعـلـ ذـلـكـ مـنـ قـبـلـ عـلـىـ الـأـطـلـاقـ .. حـسـاـ . مـاـعـداـ الـدـرـسـ الـوـحـيدـ قـبـلـ وـفـاةـ وـالـدـىـ، لـكـنـيـ رـأـيـهـ يـجـدـتـ عـدـةـ مـرـاتـ .. نـعـمـ . هـوـ ذـلـكـ»ـ .

«ـ هـذـهـ لـانـدـرـوـفـرـ جـيـدـةـ»ـ . قـالـتـ سـيـرـيـناـ بـعـدـ مـاـسـاعـاتـ قـلـائـلـ فـيـ قـبـلـ أـنـبـلـاجـ الـفـجـرـ مـبـاشـرـةـ . وـهـمـسـتـ: «ـ أـنـتـ تـبـدـيـنـ عـلـىـ غـوـ سـاحـرـ . وـالـآنـ كـلـ مـاـ يـجـبـ أـنـ نـفـعـلـهـ هوـ أـنـ نـتـبـعـ الـطـرـيقـ إـلـىـ حـدـودـ الـمـقـاطـعـةـ وـالـتـيـ أـعـرـفـ أـنـهاـ تـبـعدـ خـيـرـ مـيـلاـ فقطـ . وـهـنـاكـ تـلـاقـيـ طـرـيقـ جـونـدـيـ وـبـنـدـيـ الرـئـيـسـ . وـيـكـنـىـ هـنـاكـ أـنـ أـشـرـ إـلـىـ أـىـ سـيـارـةـ .. أـوـهـ بـاـهـيـ .. لـأـتـنـظـرـيـنـ خـلـفـكـ يـاسـيـرـيـناـ . مـاـذـاـ سـتـنـظـنـ دـينـيـ وـالـنـوـأـمـانـ؟ـ مـنـ اـخـتـمـلـ أـنـ تـسـقطـ مـغـشـيـاـ عـلـيـهاـ مـنـ الـفـلـقـ . وـلـكـنـ بـعـدـ خـرـوجـ بـلـ وـوـجـودـ سـيـنـ بـعـيـدـاـ لـنـ يـكـونـ هـنـاكـ الـكـثـيـرـ مـاـ يـكـنـىـ عـلـيـهـ وـحتـىـ يـأـتـيـ ذـلـكـ الـرـوـقـ . فـلـنـرـجـوـ أـنـ أـكـونـ قـدـ أـبـعـدـتـ إـلـىـ حـدـ كـافـ بـجـيـثـ لـأـسـتـطـعـونـ إـقـتـاءـ أـخـرىـ . فـقـطـ .. أـذـهـبـيـ»ـ .

وـبـعـدـ ثـلـاثـ مـاعـاتـ أـدـرـكـتـ سـيـرـيـناـ أـنـاـ قـدـ ضـلـتـ الـطـرـيقـ . فـرـحـلـةـ الـخـمـسـينـ مـيـلاـ إـلـىـ الـطـرـيقـ الرـئـيـسـيـ كـانـ يـجـبـ أـنـ تـأـخـذـ سـاعـةـ وـاحـدـةـ أـوـ أـكـثـرـ قـبـلـأـ . وـأـحـبـتـ سـيـرـيـناـ بـالـرـاعـبـ . وـتـوـقـفـتـ الـلـانـدـرـوـفـرـ عـنـ الـمـرـكـةـ فـجـاءـ .

وـهـمـسـتـ: «ـ وـعـاـ أـكـونـ فـدـ أـنـقـلـتـ كـثـيـرـاـ فـيـ نـشـيـقـ صـنـدـوقـ الـسـرـعـاتـ . إـلـيـاـ تـأـخـذـ بـأـنـهـاـ . وـلـكـنـاـ لـنـ تـسـيرـ . مـاـذـاـ سـأـفـعـلـ؟ـ ..»ـ .

وـحـدـقـتـ حـوـلـهـاـ فـيـ ذـهـولـ . لـقـدـ كـانـتـ سـيـرـيـناـ مـاـ طـوـالـ الـوقـتـ . وـلـكـنـ عـلـىـ مـدـيـ النـصـفـ سـاعـةـ الـأـخـيـرـةـ كـانـتـ هـمـ بـوـضـحـ بـدـونـ هـدـفـ بـيـنـ

ورفعت الساعة وضغطت أحد الأزرار.
«آ... آلو؟».

«سirina؟» كان صوت سين. ولم يستطع التشویش في جهاز اللاسلكي أن يخفى البرودة الفاسية في صوته. وتتابع: «أهذا أنت؟». لعقت شفتيها وقالت: «نعم. إنه أنا يا سين».

مررت لحظة صمت وظننت أنها سمعت تنهي. ولكن كان مجرد خيلتها إذ سرعان ما سألاها: «في أي جحيم دموعي أنت؟». «أنا... لست أدرى».

قال ساخراً: «أنت لا تعرفين... قد يكفي أن أخن. ولكنك لا تزالين على الأقل مع اللاندروفر. ياما من نعمه... ولكنني لم أعرف أنك تحدين القيادة».

أبليت سيرينا لعلها وقالت: «في الواقع ليس لدى رخصة ولكنني تلقيت درسين وقد قطعت هذه المسافة بدون مشاكل، فقط... أنا الآن معطلة عن الحركة... إن المركب يرفض الدوران».

قال ساخراً: «يبدو أنك تخيلين سيارات اللاندروفر آلات قادرة على السحر» ثم أضاف بلهمجة جافة: «إذا كنت قد سرت بالسيارة كل هذا الوقت فمن المتحمل أن يكون الوقود قد نفذ». عضت سيرينا شفتها.

قال بعده: «حسناً... أريدك أن تجاري وتصفي الطريق الذي سرت فيه... بفرض أنك قد سلكت طريقاً ما... وعندئذ أريدك الا تبرحي مكانك. هل تفهميني يا سيرينا؟». «أنا... نعم».

* * *

ولم يأت في لاندروفر أخرى كما كانت تتوقع بل على جواده وكان يسحب وراءه سالي. كانت سيرينا تجلس مكتبة على غطاء محرك السيارة. ولم تتبه له إلى أن

رفعت بصرها وأستدارت لدى ساعتها صوت حلقة أحد الأغصان. وكان هو هناك. طويلاً.. جامداً.. يتعطى جواده الأسود وقد خرج ساقيه... ويرتدى ملابس ذات لون كاكى وقبعة ذات حافة عريضة.

وهتفت: «أوه» ووضعت يدها على فها وقالت: «لقد روّعني». رفقتها بثبات للحظة ثم ترجل وربط الجوادين إلى شجرة ثم أقبل عليها وقال بهدوء: «لقد روّعت الكثرين يا سيرينا».

لم تجد في نفسها القدرة على النظر في تلك العيون الخضراء الرمادية. ونشيّج عكبوت دست وجهها بين يديها فأضافت الكثير إلى الخطوط المتسلحة المرسومة عليه.

قبض على معصميها وجذب يديها من على وجهها وأضاف: «ولا النمou... ستفيد» ثم قال بصوت هادى آخر: «أنظرى لي».

وعندها فعلت كانت تسرى بها رفة داخلية إذ أدركت أنه لا بد غاضب منها جداً. كانت عيونها البنفسجية الدامعة بادية الفزع. ولكنها كانت عنيدة أيضاً.

هست: «أنا آسفة... لذلك. ولكن لم يكن واجباً أن تفعل ما فعلت يا سين».

ترك معصميها وأخذ ذقnya في يده قائلاً: «أتخيل أنك تشيرين إلى موضوع ذلك الخطاب الطويل الذى تركته لي.. كيف تقومين حياتي بخطوبتين بسيطتين. وبكلمات أخرى بواسطة فتاة صغيرة تعتبر نفسها نبأ خالصاً من الحكمة فى هذا الصدد».

فأطعنه سيرينا في تمرد: «أنا لست فتاة صغيرة». وعقب قائلاً: «بالتأكيد أنت تتصرين كإحداهن في بعض الأحيان» ونعقب أثر دمعة على وجنتها ثم قال: «ولكنك وافقت على هذا الزواج و...».

قالت سيرينا في أستماتة: «لأنني لم أكن أعرف» ثم تابعت: «لم أكن أعرف أنها دبلفين. لقد حاولت أن أشرح في الخطاب... لماذا...» ورفقت

صاحت: «ولكن هذا لا يجدي» ورفعت بصرها إليه وتابعت: «ليس عندما
غبها وتعبك و... سين» وتغيرت نبرة صوتها عندما وضع يده على
خصرها. وسألته: «ماذا تفعل؟».
قال بملء فيه: «أنزلك إلى الأرض» وقرن القول بالفعل. ولكنه أحفظ
يده حول خصرها بعد أن أصبحت تقف على قدميها.
«سين...».

«وسأعد لك فنجاناً من الشاي. إناء ذلك يمكن أن تحدث في هذا الأمر
مرة أخيرة وشاملة. هل لديك بعضاً من الملابس الثقيلة في حقيبة؟».
قالت بتلعم: «أنا... نعم. ولكن أنا لا أفهم فانا أشعر بالحرارة».
«لن تكون كذلك إناء هذه الليلة».
«الليلة... سين». ولعقت شفتيها قائلة: «ماذا ستفعل معن».
ترقصت أبتسامة سريعة على شفتيه وقال: «لاتدين خاتمة هكذا. سوف
نمسك في العراء الليلة».
«ماذا؟».

قال باستخفاف: «لماذا يا سيدة وينت وورث؟ لأنه بسبب رغبتك في
المجرة إلى الأدغال وقد ان الطريق فأعتقد أن هذا هو الوقت المناسب لأعطيك
دروساً في الأحياء بالأدغال. وعندئذ». ورفع يده وأزاح بعض من خصلات
شعرها بعيداً عن عينها قائلة: «إذا كنت لا تزالين أسريرة رغبة ملتبة في المرب
مني فقد تحظين النجاح في ذلك... فهذا هو السبب».
رشقت سيرينا الشاي من فنجانها في صمت عبيط. ولم تستطع مقاومة
أحساسها بأنها قد فقدت شيئاً ما في مسار الأحداث وأن سين بدا مختلفاً مجرد
أن أفقد النار وعلى غلابة الشاي ونشر ملاعة على الأرض في ظلال الأشجار
وسفي الجودلين. لقد بدا واضحـاً أن غضبه قد ذهب.
عاد سين من عند الجودلين وتمدد أمامها على الملاعة متكتأ على مرفقه.
عندئذ قالت سيرينا في تردد: «سين».
نعم فبنته وأجري يده خلال شعره وقال: «نعم؟».

وطرفت عيناهـا. ثم قالت عندئذ في وقار بالغ: «أنا أريد الحديث عنه
أكثر من ذلك. وفجأة بدا التحدى في عينيها البنفسجيتين وهي تقول: «أنا
آسفة إذا كنت لا تفهم ما أحس به لكنني لا يمكن أن أغيره. وهذا هو
سبب عزم على الرحيل يا سين».
بعد لحظة قال بصوت هادئ: «أنت متبعـرة جداً، ولاحت في
عينيهـا ومضة غامضة».

والتقطت أنفاسها ولكنها نظرت بعيداً. وبدت الكبرياء على وجهها
رغم العلامات المتسخة على وجنتيها وأضطراب هندامها. كان شعرها
قد تفلت من العقدة التي كانت تربطـه بها وكان سروالـها الجينز وبلوزـتها
متسخـين ومجعدـين بعد ثلاث ساعات من مكافحة اللاـندروفـر عبر
طريق كثـير الأدغال.

وعلق سين على صمـتها قـائلاً، «وأيضاً غـاضبة منـ على ما أـظنـ».
خفـضـت سـيرـينا نـظرـها إـلى يـديـها ثـم نـظرـتـ حولـها إـلى الأـدـغالـ
الـساـكـنةـ الـحـارـةـ وإـلىـ الـجوـادـينـ الصـبـورـينـ وـقـدـ وـقـنـاـ بـيـنـماـ تـلـامـسـتـ آـنـوـفـهـاـ
وـكـانـتـ ذـيـولـهـمـ تـطـرـدـ الـبـعـوضـ بـعـيدـاـ».

وقـالتـ: «ـنعمـ.ـأـناـ كـذـلـكـ»ـ ثـمـ تـابـعـتـ بـقوـةـ: «ـيـجبـ أـنـ تـخـبـرـنــ.
ولـكـنـ تـصـرـ عـلـىـ مـعـاـلـمـيـ كـطـفـلـةـ بـلـ طـفـلـةـ مـتـخـلـفـةــ.ـ وـالـآنـ...ـ وـهـذـاـ
صـوـتـهـاـ قـائـلـةـ:ـ أـنـظـرـ أـيـنـ أـنـاــ»ـ.

علـقـ قـائـلاـ:ـ وـسـطـ الجـدرـانـ بـدـونـ مـعـدـافـ كـمـاـ يـقـولـ المـثـلـ الـقـدـيمــ.
وـالـتـهـبـتـ عـيـنـاهـاـ الـبـنـفـسـجـيـتـاـنــ.ـ وـلـلـحـظـةـ أـحـسـتـ كـمـاـ لوـ كـانـتـ تـرـيدـ
أـنـ تـضـرـبـهــ.ـ وـمـرـتـ عـلـىـ أـسـنـانـهـاـ وـهـيـ تـقـولـ:ـ لـاـ...ـ سـوـفـ تـرـىـ...ـ
سـأـتـنـلـبـ عـلـىـ الصـعـوبـاتــ»ـ.

قال في صوت غير عادي: «ـسـيرـيناــ.ـ لـقـدـ ظـنـنـتـ أـنـكـ لمـ...ـ لـمـ تـكـوـنـ
تعـيـسـةـ لـزـواـجـكـ مـنــ»ـ.

أـسـدـلـتـ أـهـدـابـهـاــ.ـ وـأـجـابـتـ بـعـدـةـ:ـ لـمـ أـكـنــ.ـ تـابـعـتـ:ـ بـلـ إـنـسـ إـذـاـ
كـانـ لـأـبـدـ أـعـتـقـدـتـ بـأـنـيـ سـأـكـونـ زـوـجـةـ طـيـةـ جـداـ بـالـنـسـبـةـ لـكــ»ـ.
قال بـيـطـاءـ:ـ وـلـذـلـكــ»ـ.

«نعم ولكن... أنت لم تفعلوا شيئاً» وأوضحت سيرينا قائلة: «أقصد أنكم لم تجدوا فائدة في إظهار رد فعلكم للناس. ليس كذلك؟ ولكنكم لم تفعلوا...». قال سين موكداً: «لا. لم تفعل».

«وهي لم تكن الزوجة الصالحة على أية حال» قالت سيرينا ذلك وصمتت «ليكن ذلك كما يكون. لقد كانت زوجته».

قالت سيرينا بصوت لا يكاد يسمع: «ولذلك... فأنت على مدى الأعوام الستة الماضية تعتبرها مسؤولة عن كل ما حدث. هل أنت... تزوجتني لتزيد من عقابها؟».

إعتدل سين في جلسته وأستند إلى جذع الشجرة التي تظللها. وقال: «لقد قررت أن أتزوجك في ذروة الأحداث».

أجللت سيرينا تحت وطأة نظره الخضراء الرمادية، وأضاف: «ولم يكن في تفكيري أدنى اعتبار للديلفين. ولقد تزوجتك لأنني لم أستطع تحمل فكرة أصابتك بالأذى أو الخوف» وأتسم قليلاً وأضاف: «ولأنني لم أطق فكرة وجودك في أحشان غيري... ولأنني لم أستطع أطلاقاً الأبعاد عنك، ولا حتى بعد تلك الليلة الأولى عندما ظننت أنك رعا... الماء تعلم ماذا ظننت».

وهمست: «لكنك فعلت».

«أفعلت أنا؟ وأعترف قائلاً: «لقد ذهبت أيضاً إلى ملهى بليكان في اليوم التالي. وكانت تلك هي المرة الرابعة التي أذهب فيها لتل هذا المكان محاولاً أقصياء أنك وقد راودتني فكرة انتزاعك منه. وهكذا عرفت أنه قد تم صرفالك من الخدمة».

دار عقل سيرينا بسرعة رهيبة. وقالت: «كنت أتمنى أن أساشك كيف عرفت ذلك».

ولو لم تطرقي يابس بتقدمك لشغل الوظيفة التي كنت قد عرفت مكان سكنك وكنت قد عقدت العزم على زيارتك لأرى إذا ما كنت قد قررت الأخذ بنصيحتي».

ولكيما لم تستطع أن تترجم أفكارها إلى كلمات.

وأنتظر برهة مستترفاً بينا كانت يده تعثث بغير فنجانه. ثم رفع بصره ونظر إلى عينها مباشرة وقال: «سيرينا. إذا كنت قد تخيلت ذات مرة أنتي فقد سقطت في الحب مع ديلفين فإن ذلك لم يعد موجوداً. إنه لم يعد حقيقياً منذ أن أفقدت... طفلة شاردة بنفسجية العينين من وحل الطريق».

إرتعش فم سيرينا وحاولت الكلام. ولكن مرة أخرى لم تأت أي كلمات. وتتابع قائلاً: «ما قلته لي في خطابك» وأضاف بلهمجة حادة « وهو فهمك لكيفية حدوث كل شيء هو لأول وهلة مضبوط إلى حد كبير. لقد كنت أدرس الإدارة و التربية الماشية بالخارج لما يقرب من عام. وبينما كنت بعيداً تزوج أندى من ديلفين. ورغم أنها كانت حامل عند عودتي إلا أنه كان من الواضح أن الأمور لا تسير على ما يرام بالنسبة لها وكان واضحاً أيضاً...» ووضح الضجر في صوته وهو يتتابع «أن نوعاً من الجاذبية المغناطيسية يبدو وكأنه يتدفق بيننا رغم ذلك. فليساعدني الله. لا أستطيع مطلقاً أن أفهم كيف أردت أمراً أنا..... أحقرها».

وخفض بصره ناظراً إلى فنجانه مرة أخرى وففرت سيرينا منها وهي تخدق في خطوط وجهه القاسية.

ولكن رغم محاولاتها أن تذكره وأحمدده وأن... أتجاهلها فإن أندى أحسن به. لقد عرف. ولم يعرف فقط ما لم تكن قادرة على إخفاءه ولكن أيضاً ما كانت أحاول كتمانه. ولذلك أخذتها بعيداً إلى سيدنى لأن ذلك كان هو الشيء الآخر الذي أرادته. وبعد ستة أشهر ولد ريتشارد وكامبرون. وبعد عامين عاد بهما أندى إلى روز وود وأخبرنى بطلاقهما... هو وديلفين. كان... كان مدمرًا، وإلى هذا اليوم لست أدرى إذا ما كانت حالته النفسية هي التي أدت إلى الحادثة».

وشهدت سيرينا.

أوه. إنه لم يتحرر ولكنه كان منظوم على نفسه شارداً و... حساً، لابد أن هفوه في التركيز قد أحدث ذلك. إذا أستطعت أن تخيل ما أحسست به...»

حدقت في سيرينا بعيون حاجحة.

ولوى شفتيه ياتسامة غريبة وقال: «كل الأمور تؤكد أنه منذ اللحظة التي قابلتك فيها أنه من الصدق أن أقول بأنك سحرتني وأسرتني. ولاكون صادقاً فلقد أثرت غضبي أيضاً وبعضاً من الأشياء الأخرى ولكن الفتنة كانت هناك دافعاً». وعندما حاولت انكلام منها سين عاماً وأضاف: «ما حدث كان... شيئاً. أنا آسف إذا كنت عاملتك كطفلة من وقت لآخر ولكنك صغيرة جداً وقد أصبح واضحاً يا طراد أنك بربة جدأ. وعندئذ» وتوقف ثم أضاف: «كنت أنا نفسى. ظللت أفكراً بأن هذا لا يمكن أن يحدث لي».

همست: «سين... لما؟».

هز كتفيه بضجر ونظر إلى عينها مباشرة وقال: «عندما تعيشين على طاحونة من الرغبة والكراهية، والانهياز والأشمئاز، وكراهية الذات وذلك على مدى فترة طويلة مثلاً حدثت معى، وعندما تصلحين عن قصد سلسلة متالية من النساء يجعل نفسك تسين أو على أقل أن هذه أول تلك متكون المرأة التي تمحو كل شيء ثم لا تفعل.. عندئذ من الصعب جداً تصديق أن هذا يمكن أن يحدث. ولكن عندما تكون واحدة تعرفين أنك يجب لا... تظنين إلها».

وسقطت دمعه على يد سيرين عندما قالت: «ليس للأبد؟ أقصد..»

قال سين بهدوء: «أوه. لقد رأيت نفسى على أن أنتظر يا سيرينا. لقد طلت بعد رالف.. حسناً.. أنى قد أصبح لدى بعض الوقت الآن فى صالحى. وقت لى تكبر وتحدد إذا ما كنت أنا من تحبه أم أنت أنفذهما من موقف مروع بشع. وقت لى تتطلب على خوفها من الرجال.. ولكن فى اليوم资料二: عرفت أنى لا استطيع الانتظار وقتاً أطول و...» وأضاف بصوت كثيف: «ولم أعطك خياراً حال ذلك».

قالت بتلعم: «حسناً... حسناً» وأضافت: «رغم أنى لم أعرف ما أفعله عندئذ. وبعد ما فعلته..» وأضافت فى رحمة: «كان ذا أثر طيب على... ولكن...»

سألها: «ولكن إذا كنت قد حكبت لك عن ديلفين.. هل كنت

ستفهمين؟ أم أنك كنت متشعرين بوخر الضمير مثلاً فعلت ليه أمن؟»

لوات سيرينا يدها وقالت: «ولكن كان لابد أن أعرف فى وقت ما ياسين. وهنداً أدركت.. أقصد.. أستنتجت أنك قد تغيرت بعد تلك المكالمة التليفونية، وعندما عرفت أنها كانت هي فعندئذ وضعت كل النقط على الحروف. الطريقة التي كنت...»

أغلق سين عينيه للحظات ثم قال بهدوء شديد: «تعالى»

وترددت سيرينا ثم زحفت إلى ما بين ذراعيه.

سألها: «هل آذيتك؟»

«لا.. ولكنك جعلتى أشعر... أو أظن أن مكالمة واحدة منها وكتت ستدم على ما فعلت»

«وكان ذلك بالضبط هو سبب أنى لم أعرف كيف أخبرك بأنها كانت هي.. هل تفهمين ذلك؟ وقد فكرت مرة أخرى وفي ذروة الأحداث بأنك عندما تكتشفين ذلك سيكون الوقت قد ولى تماماً سألت سيرينا بتردد: «وعندئذ... ماذا حدث؟»

مسح سين شعرها وضمها إلى صدره وقال: «عندما حدثها عنا أهمنى بأننى تزوجت فتاة صغيرة طاغية أسرتني بفتتها المراهقة.. وذلك لأننى لم استطع أن أغفر لها ما فعلته مع آندي. وأنا أعرف أنها كانت إلى حد ما على حق. ليس...» ووقفت عندما أجهلت سيرينا ودم أصابعه بين أصابعها وتتابع: «ليس في الجزء الثاني من قوتها. ورغم ذلك أحنت عليك كى تزوجينى» وأضاف بلجاجة حادة: «بل إننى لم أحلك لك الحقيقة، وليس فقط بشأنها. فقد كنت حذراً جداً بل ما كراً لأننى رغم معوقتى بأنك تتظررين لى كأننى فارس يحمل درعاً لاماً لأننى كنت أخشى أن يرببك التصريح الملتب بالحب. ولذلك فقد تعاملت مع الأمر ببطء ورقه. ولقد أتعجبنى أيضاً قلبك الرقيق وأظن أنى قد أشعرتك بقدرتك على رد الدين الذى تشعرين به تجاهى بأن تزوجينى مدركة أنه لم يعد هناك أى أمل.. للحب الآخر»

قالت سيرينا: «أوه.. لقد فعلت»

أحدئه هذا الصباح عندما عدت للمنزل ووجئتك قد رحلت. وكان الجميع يحرون ويدورون حول أنفسهم «
أجللت سيرنا.

قال واعداً: «سوف أغوضهم عن ذلك»
قالت بصوت مبحوح: «ربما يدركون.. هل تعلم بأنهم جميعاً مفتعمون بأنفس
أفضل شيء حدث لك على الأطلاق وليس لديهم أي شئ في أنفسهم
بك»

سألها: «هل قالوا لك ذلك؟»
ارتجفت شفتها وقالت مبتسمة: «لقد قالوه لبعضهم.. وقد تصادف أن
تนาهى إلى سمعي»
وغضبت عيناه وهو يقول: «على ما أظن أنك تعرفي كل هؤلاء الناس الذين
كنت قاسياً جداً معهم هذا الصباح؟»
«بعضهم»

«إذن.. أعتقد أنه من الملائم أن نبدأ زواجهنا من جديد» وظل مركزاً نظره
إليها حتى أومأت برأسها.. وقال يوجهها: «في هذه الحالة أظن أنك تستطيعين
تفسيلي الآن» وتتبع عبiquit لها قائلاً: «يبدو أنه يرودس الوحش بداخلي».
وقلت..

قالت سيرنا بلهجة حملة: «ولذلك فهذا ما خططت منذ البداية لتفعله
من الليلة»..
فهم سين ثم قال: «برغبتك أو بدونها.. بل إن لدى خططاً بشأنك أكثر
شراً»

ابتسمت سيرنا ابتسامة خافتة وقالت: «يمكن أن أتخيل»
كانا يقعان على أرضية اللاندروفر وقد تراقصت على جوانب خيمتها
المسلدة طلال ألسنة التيران التي كان سين قد أوقفها بالخارج.. وقد كان يوماً
لا ينسى رغم بدايته المشوقة.. كان سين قد أقبل مزوداً بالطعام.. وبعد أن بعث

قال بلهجة سادة نوعاً ما: « بينما كان في قلبي غمراً إعنان راسخ بأنك لي..
سواء أردت ذلك أم لا أو كنت صفيرة جداً لدرجة لا تستطيعين معرفة وأينك
الخاص.. وأيضاً كنت موفناً بأن أي رجل آخر لن يعطي الفرصة ليس فقط
ليرذيك أو يرعبك ولكن ولا حتى ليغير ذلك»

حدقت فيه سيرنا ذاهلة وقالت: «سين؟.. أوه.. لم أعرف.. هل هذه
هي مشاعرك الحقيقة؟»

هدأت عيناه وقال: أنا خائف لذلك.. لكنني أشعر أحياناً بذنب مثل المجرم
لدفعت بهذا الأسلوب... وخداعك.. وعندها قالت ديلفين ما قالته فقد كان
واحداً من تلك الأحيان»

هست: «سين.. أوه سين» وعدت يدها قلم و وجهه وقالت: «هل
تعرف كيف يكون إحساسك عندما لا أكون معك؟ إنه يكون كما لو أن كل
الأمور قد أطلقت.. إنه ليس مرعباً فقط بل يشعرني بوطأة الوحشة بدرجة لم
أعرفها في حياتي.. هل تعرف كيف يكون إحساسك عندما.. عندما أراك مع
فتاة أخرى؟»

قطب جبينه قائلاً: «متى.. من؟»
«في الحفلة.. كنت تتحدث إلى امرأة ذات شعر فاحم.. فستان ذهبي
وكتت تنظر إليها.. بنوع من..»

ابتسم سين وغمض: «غميتي سيرنا.. هذا صحيح إلى أن قذفك ريح
فيندلى بالكلمة الجارحة.. كنت أصبع عليه أقسى لعناني» ولوى قسماته قائلاً:
«الخطوة (أ) التي تتضمن ليس فقط قوة الإرادة.. وهي المعركة التي خسرتها..
بل كانت تتضمن بعض الحيل.. أنا حتى لا أذكر اسم هذه الفتاة»

«أوه.. حسناً.. كنت أتمنى أن أعرف لأنني أحسست.. ببعض شديد وغيره
وكل أنواع الأشياء المرعبة.. وإنني في أوقات كهذه أشعر بأن دنياي قد
انشطرت وأنني أفعل.. وأهافت بهدوء: «وأنني أفعل أشياء مجنونة كهذا»

وأحاط وحنتها بكلفة وقال: «إن عالمي يتوجه إلى الجنون.. وأنا أتشاجر مع
الناس ليس فقط جسدياً.. ليست لديك فكرة عن مدى الأذى والفراغ الذي

برسالة إلى بيل بأن كل شيء على ما يرام – وكان هذا حقيقياً – فإنه لم يفتصر على أن أراها بعض العجائب في الأدغال بل أعطاها أيضاً بعض الدروس في كيفية الأحياء بها. وعندما أقبل الليل ببرده المفاجئ فقد أوقى النار وأعد لها عشاء ثم كرمه النار لتدوم بضع ساعات. وبعد ذلك أعد فراشها لقضاء الليل. وشدق سين قائلاً: «هل يمكنك؟» وأزاح الأغطية جانبًا كي يستطيع مشاهدة جسدها العاري تماماً على مهل.

«لا» ولكنها أرتعفت لدى لسته.
وحيث بخلمتها فائلاً: «أخبرني بما طاف بخيالك»
قالت بصوت رقيق: «حساً.. لقد قالت لي ذات مرة..»
وتأوه سين ونظر إلى عينها بندم.
وتفاہرت سيرنا بالرزانه وهي تتابع: «أنك لو كان لديك بعضاً من حسن
التدبیر لكتن وضعيتى على ركبتك وأوسعتنى ضرباً حتى تسحق أنفاسى مجرد
آن تعلمى أن أتوقف وأفكراً قبل أن أرتكب مثل تلك التصرفات العلائشة...»
وقاطعها فائلاً: «لو كنت أعرف أنك ستذكرين كل شيء لعين فلتنه
لث..»
قالت بهجهة مفيدة ساخرة: «لكتن أصبحت أكثر رقة معى ولم توعدنى
بالعنف؟»
واقفالها فائلاً: «رعا» وكانت عباءة تضحك اعينها. وتابع فائلاً: «ولكتك
أخطاء فهيه»
«أفعلت أنا؟»

قال بعديه: «نعم. قد يكون ذلك صحيحاً كبنات المدارس غير المطبوعات
أما السيدات المتزوجات فإنهن يتطلبن معاملة مختلفة»
تمتنعت سيرينا ببراءة: «حقاً؟» ورفقت ذراعيها بترانح عندما أعاد تركيزه
إلى ندبيها فأحدثت بها غرفاً اجتاج جسدها. ودمت أصابعها في شعره ثم
بخطت بها إلى عنقه وسألته: «معاملة أكثر شراً من هذه؟»
«على طول الخط. ولكن بسبب أحاسى المشاعر باللوك هذا الصباح فقد

يمكتنى أن أقول؟ والآن وقد انتهت سين العذاب بالنسبة لى فيمكتنى فقط أن أشعر بالأسف لأنها لم تنته بالنسبة لها. ولكن رعا نستطيع -حنـ المساعدة فى الحقيقة هذا هو ما اتصلت تليفونيا لتقوله لى فى الليلة الماضية.. إبها المكالمة التي أجبت أنت عليها»
«أوه» تحركت سيرنا لتنظر إلى عينيه.

قال: «لقد اتصلت مرة أخرى هذا الصباح لتعذر عـا كانت قد قالته ولترىك أنها عقدت العزم على أن تحاول وضع كل شيء وراءها الآن... وأن ترتب حياتها بصورة أفضل حتى يستطيع ريتشارد وكاميرون قضاء أطول وقت ممكـن معها. لقد قالت أنها يجب أن تفعل ذلك من أجل نفسها ومن أجلها مع أنا اعتنـا داعـاً أن خـيـرا ونـعـاملـها كـأـيـاعـنا» وأضاف عندما تورـت سيرـنا «أـنا لا أقصد انتـزـاعـها فـجـأـة من روزـوـودـ، ولكن على الأـقـل تـدرـيـجـ خطـة لـدـعـها في حـيـاتـها. لقد قـالتـ أنهاـ أـدرـكـتـ فـجـأـةـ كـمـ كـانـواـ أـثـرـينـ لـدـهاـ. وأـنـهاـ أـحـسـتـ بالـذـنـبـ الشـدـيدـ لـأـنـ الـأـمـرـ قـدـ اـسـتـلزمـ كـلـ هـذـاـ الـوقـتـ لـكـيـ تـفـهـمـ» طرفـتـ سـيرـناـ عـيـنـاهـاـ لـتـدـفعـ دـمـعـةـ سـالـتـ عـلـىـ وجـهـهاـ فـأـخـىـ رـأـسـهـ وـفـيلـ جـفـنـيهـ. وقال: «أـعـتـقـدـ أـنـىـ فـدـ أـقـعـتـهاـ بـأـنـ تـفـمـنـ أـنـ مـعـظـمـ اللـوـمـ لـذـلـكـ يـقـعـ علىـ أـنـاـ وـلـكـنـاـ يـجـبـ أـنـ...ـ نـلـقـيـ ذـنـونـاـ خـلـفـ ظـهـورـنـاـ وـنـرـكـزـ عـلـىـ مـاـ هـوـ أـفـضـلـ هـمـ وـطـاـ».

طـوقـتـ سـيرـناـ عـنـقـهـ بـذـرـاعـيـهاـ.

سألـهاـ: «ـعـلـىـ هـاـيـرـامـ؟ـ»

قالـتـ بـرـقةـ: «ـنـعـمـ.ـ فـقـطـ مـجـرـدـ شـءـ أـخـيـرـ.ـ شـكـرـ لـكـ عـلـىـ هـذـاـ الـيـومـ الجـمـيلـ»

«ـسـيرـناـ».ـ كـانـ صـوتـ سـيـنـ غـيرـ مـنـظـمـ.ـ وـشـدـ حـضـنـهـ حـوـلـهـ لـلـحـظـةـ بـدـرـجـةـ لـأـنـكـادـ خـتـمـلـ،ـ ثـمـ أـرـخـىـ ذـرـاعـيـهـ وـتـهـدـ قـائـلاـ:ـ «ـأـنـاـ أـعـبـدـكـ»ـ.